توزيع جائزة خادم الحرمين الشريفين الملك عبد الله بن عبد العزيز للترجمة في جنيف



الأمير عبد العزيز بن عبد الله يسلم أحد الفائزين جائزته في جنيف البارحة الأولى (واس)

في 15 كانون الثاني/يناير 2015 رعى الأمير عبد العزيز ابن عبد الله بن عبد العزيز نائب وزير الخارجية رئيس مجلس إدارة مكتبة الملك عبد العزيز العامة ورئيس مجلس أمناء جائزة خادم الحرمين الشريفين العالمية للترجمة، حفل تسليم الجائزة للفائزين في دورتها السابعة الذي أقيم بمقر منظمة الأمم المتحدة في جنيف، بحضور ماورو دل أمبروقيو وزير الدولة للشؤون الاقتصادية والتعليم والبحث في سويسرا، والبروفيسور مارتن فورستر الأمين العام للمؤتمر الدُّوَلي الدائم للمعاهد الجامعية لإعداد المترجمين التحريريين والفوريين، وفيصل بن عبد الرحمن بن معمر المشرف العام على مكتبة الملك عبد العزيز العامة عضو مجلس أمناء جائزة خادم الحرمين الشريفين العالمية للترجمة، والسفير فيصل بن حسن طراد مندوب المملكة الدائم لدى الأمم المتحدة في جنيف، وحازم بن محمد كركتلي سفير خادم الحرمين الشريفين لدى سويسرا وليختنشتاين وعدد من المسؤولين السويسريين والمثقفين العرب.

وتقرر منح الجائزة في مجال جهود المؤسسات والهيئات مناصفة إلى (المركز القومي للترجمة بجمهورية مصر العربية) و(المجمع التونسي للعلوم والآداب).

فيما نال الجائزة في مجال ترجمة العلوم الطبيعية من اللغات الأخرى إلى اللغة العربية الدكتور مروان جبر الوزرة والدكتور حسان سلمان لايقة، عن ترجمتهما لكتاب (طب الكوارث.. المبادئ الشاملة والممارسات) من اللغة الإنجليزية إلى العربية، مناصفة مع الدكتور سليم مسعودي، والدكتور عبد السلام اليعفوري، والدكتورة سامية شعلال، عن ترجمتهم لكتاب (التحليل الدالي، دراسة نظريات وتطبيقات من اللغة الفرنسية إلى العربية).

وتوج بالجائزة في مجال ترجمة العلوم الإنسانية من اللغات الأخرى إلى اللغة العربية، الدكتور مصطفى محمد قاسم عن ترجمته لكتاب (مأساة سياسة القوى العظمى) من اللغة الإنجليزية، والدكتور بسام بركة عن ترجمته لكتاب فلسفة اللغة من الفرنسية إلى العربية، والدكتور عبد العزيز عبد الله البريثن عن ترجمته (موسوعة اضطرابات طيف التوحد) من اللغة الإنجليزية للعربية.

وفي مجال ترجمة العلوم الإنسانية من اللغة العربية إلى اللغات الأخرى، حصل الدكتور صالح ضحوي العنزي - رحمه الله - على الجائزة عن ترجمته لكتاب (تاريخ المملكة العربية السعودية) لمؤلفه عبد الله العثيمين إلى اللغة الفرنسية، مناصفة مع كل من الدكتور بيتر آدامسون والدكتور بيتر بورمان عن ترجمتهما لكتاب (الرسائل الفلسفية للكندي) لمؤلفه أبو يوسف يعقوب بن إسحاق الكندي إلى اللغة الإنجليزية.

ومنحت الجائزة في مجال جهود الأفراد لكل من البروفيسور تشوي وي ليه ويعمل بجامعة شنغهاي بجمهورية الصين، تقديرًا لجهوده في نقل الثقافة الإسلامية والعربية إلى اللغة الصينية عبر ترجمة كثير من الأعمال، منها ختم القرآن الكريم وصحيح البخاري وتحرير المعجم العربي - الصيني الميسر، مناصفة مع البروفيسورة السويسرية هانا لورا لي يانكا، التي تتولى منصب الرئيس الفخري للمؤتمر الدولي الدائم للمعاهد الجامعية للمترجمين، تقديرًا لجهودها في تطوير دراسات الترجمة وتدريب المترجمين وتأهيلهم.

انطلاق فعاليات سوق عكاظ وعمرو بن كلثوم فارس المهرجان

في 15 كانون الثاني/يناير 2015 انطلقت فعاليات مهرجان سوق عكاظ الثقافي السياحي في دورته الثامنة، وألبس الأمير مشعل بن عبد الله بردة عكاظ لشاعر عكاظ التونسي محمد المنصف الوهايبي. بعد ذلك سلم سموه جائزة شاعر عكاظ وقيمتها 300 ألف ريال، جائزة شاعر شباب عكاظ وقيمتها 100 ألف ريال للشاعر السعودي علي ابن واصل علي الدندن. ونوه المنصوري إلى أن جائزة لوحة وقصيدة فاز بها: يوسف عبد القادر، وإبراهيم محمد سعد الخبتي وصادق غالب يماني، فيما حصل محمد بن حسين البيروتي على جائزة الإبداع والتميز العلمي. وأشار أمين سوق عكاظ إلى أن جائزة التصوير الضوئي حجبت هذا العام لعدم ارتقاء الأعمال المقدمة إلى المستوى، وفاز بجائزة الخط العربي كل من عبد الرزاق محمد المحمود (سوري مقيم في الإمارات) بالمركز الأول ومصطفى فلوح (مغربي) ومهند جابر السباعي (سوري) بالمركز الثاني مناصفة، وكذلك المركز الثالث مناصفة بين عبد الناصر مصطفى مشعان (سوري مقيم في السعودية) وعبيد فهيد النفيعي (سعودي).

واحتفت الدورة الثامنة لمهرجان لسوق عكاظ بالشاعر الراحل غازي القصيبي من خلال ندوة تتحدث عن شعره وتجربته الكتابية. شارك فيها كل من: الدكتور صالح زياد، وحاتم التهامي، ومحمد الصفراني، وأحمد اللهيب. وأعقب هذه الندوة أمسية شعرية شارك فيها كل من الشعراء: محمد المنصف الوهيبي (شاعر عكاظ)، وعبد الله الزيد، ونبيلة الخطيب، وأحمد نبوي، وعلي الدندن (شاعر شباب عكاظ). أدار الأمسية أحمد الطامي.

كما أقيمت ندوة تتحدث عن شعر عمرو بن كلثوم يشارك فيها كلٌّ من الأدباء: أيمن ميدان، ومحمد عمار، ومحمد المكي، وتغريد حسن، ويديرها صالح الزهراني.

ويلي الندوة أمسية شعرية يشارك فيها الشعراء: الطيّب برير، ومحمد تركي حجازي، ومحمد العمري، والشاعرتان: هند المطيري، وسنية الفرجاني.

مؤتمر فكر 13.. وتوزيع جوائز الإبداع العربي



جانب من مؤتمر فكر 13 بالمغرب

في 3 كانون الأول/ديسمبر 2014 انطلق بالمملكة المغربية مؤتمر (فكر 13) الذي تنظمه مؤسسة الفكر العربي تحت عنوان (التكامل العربي: حلم الوحدة وواقع التقسيم)، واستمر المؤتمر حتى 5 كانون الأول/ديسمبر تحت رعاية الملك محمد السادس ملك المغرب.

وتخلل المؤتمر الإعلان عن محتوى التقرير العربي السابع للتنمية الثقافية (العرب بين مآسي الحاضر وأحلام التغيير، أربع سنوات من الربيع العربي).

وفي 5 كانون الأول/ديسمبر 2014 اليوم الثالث والأخير من مؤتمر فكر 13، في مدينة الصخيرات في ضواحي العاصمة المغربية الرباط، كرمت مؤسسة الفكر العربي الفائزين بجائزة الإبداع العربي، وجائزة أهمّ كتاب عربي، وجائزة (مسيرة عطاء).

وسلم الأمير خالد الفيصل، رئيس مؤسسة الفكر العربي (الدروع التقديرية للفائزين)، على النحو التالي:

- جائزة (مسيرة عطاء)، لمنتدى أصيلة في المغرب، عن مهرجان أصيلة الثقافي الدولي، للأمين العام لمنتدى أصيلة، محمد بن عيسى.

- جائزة أهم كتاب عربي، الدكتور خالد عزب من مصر، عن كتابه (فقه العمران: العمارة والمجتمع والدولة في الحضارة الإسلاميّة).

- جائزة الإبداع العلمي الدكتور الفرد نعمان والدكتور عصام خليل (لبنان) عن مشروع (تطوير دواء MM-MTA للعلاجات اللبيّة).

- جائزة الإبداع التقني: الدكتور مشهور مصطفى بني عامر من الأردن، عن (النظام العلاجي الذكي).

- جائزة الإبداع الاقتصادي: الدكتور سالم توفيق النجفي من العراق، عن كتاب (سياسات الأمن الغذائي العربي في حالة الركود في اقتصاد عالمي متغيّر).

- جائزة الإبداع المجتمعي: عبد الرحمن محمد السقاف من اليمن، عن برنامج (حضرموت للتمويل الصغير).

- جائزة الإبداع الإعلامي: عبد السلام محمد هيكل من سوريا، عن موقع (اقتصادي دوت كوم).

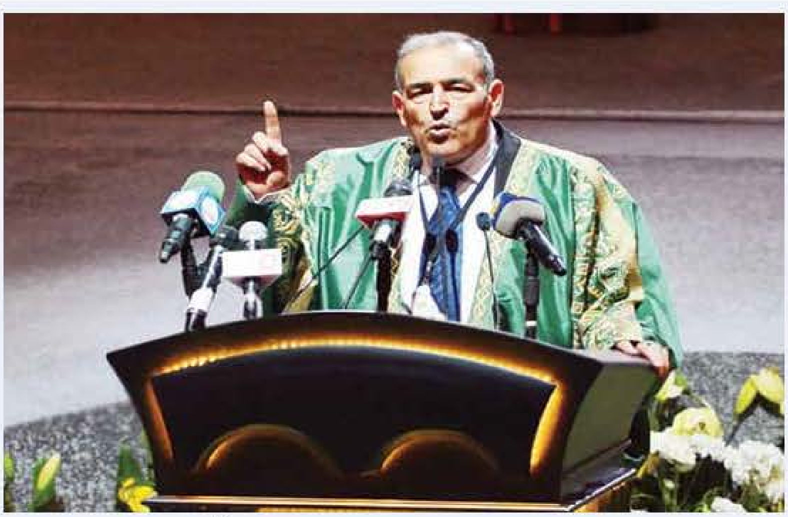
- جائزة الإبداع الأدبي: الدكتور نجم عبد الله كاظم، من العراق، عن كتاب (نحن والآخر في الرواية العربيّة المُعاصرة).

- جائزة الإبداع الفني: المطربة ريما خشيش، من لبنان، عن عملها الفنّي (هوى).



مؤسسة الفكر العربي الفائزين بجائزة الإبداع العربي وجائزة أهمّ كتاب عربي، وجائزة (مسيرة عطاء)


الأمير مشعل بن عبدالله مقلدًا الوهايبي بحضور الأمير سلطان بن سلمان


شاعر عكاظ التونسي محمد المنصف الوهايبي يلقي قصيدته أمام الحضور

سنان أنطون يفوز بجائزة سيف غباش بانيبال للترجمة

منحت جائزة سيف غباش - بانيبال للترجمة الأدبية للعام 2014 للكاتب والمترجم العراقي سنان أنطون عن ترجمته روايته (وحدها شجرة الرمان) الصادرة باللغة الإنكليزية عن مطبوعات جامعة يال الأمريكية تحت عنوان (غاسل الجثث) The Corpse Washer، وكانت صدرت الرواية بالعربية عن منشورات الجمل والمؤسسة العربية للدراسات والنشر (2010)، وحصلت المترجمة الأمريكية بولا حيدر على ثناء خاص من لجنة التحكيم عن ترجمتها رواية (مطر حزيران) Juna Rain للروائي اللبناني جبور الدويهي الصادرة عن دار بلومزبري قطر للنشر.

وتألفت لجنة التحكيم من المترجم البريطاني جوناثان رايت، والكاتبة والمترجمة البريطانية لولو نورمان، والكاتب والإعلامي بول بليزار، ومحرّر مجلة بانيبال صموئيل شمعون.



سنان أنطون

الأسترالي ريتشارد فلانغن ينال جائزة (مان بوكر) البريطانية

أعلن عن فوز الأسترالي ريتشارد فلانغن (53 عامًا) بالجائزة في قاعة غيلد هول في لندن، وتسلمها من دوقة كورنيول.

وقال رئيس لجنة تحكيم الجائزة آي سي غريلنغ: «إن رواية فلانغن تجمع بين قصة حب رائعة وبين معاناة الإنسان وحياة المحاربين»، مضيفًا أن أحداث الرواية تجري خلال بناء خط السكك الحديدية في بورما المعروفة باسم ميانمار خلال الحرب العالمية الثانية.

وأوضح غريلنغ أن «أعضاء لجنة التحكيم صوتوا بالإجماع لصالح رواية فلانغن بعد مناقشات دامت 3 ساعات»، مشيرًا إلى أن «هذه الرواية الرائعة تجمع بين الحب والحرب، وهي مكتوبة بطريقة أنيقة، كما أنها تجمع بين الشرق والغرب، الماضي والحاضر في قصة تعكس البطولة والإحساس بالذنب».

وتعد رواية The narrow Road to the Deep North السادسة لفلانغن المولود في ولاية تسمانيا الأسترالية، وهو ثالث أسترالي يفوز بجائزة مان بوكر، إذ سبقه توماس كينيلي في عام 1982 وبيتر كاري و لوشيندا في عام 1988.



ريتشارد فلانغن

انطلاق مهرجان الجواهري في بغداد

انطلاق مهرجان الجواهري الذي ينظمه اتحاد الأدباء والكتاب بالعراق تحت مسمى (دورة السياب في الذكرى الخمسين لرحيله)، التي استمر من 25 إلى 27 كانون الأول/ديسمبر 2014، وبواقع جلستين شعريتين صباحية ومسائية، وشهد حفل الافتتاح قصائد تنقد الوضع السياسي الحالي وانتشار الفساد المالي والإداري.

قال إبراهيم الخياط المتحدث باسم اتحاد الأدباء والكتاب بالعراق -الذي ينظم المهرجان سنويًا- إن الدورة الحالية متميزة وتختلف عن الدورات السابقة.

فالدورة الحالية تحمل أكثر من رسالة -على حد قوله- أولها انتهاء القطيعة بين المؤسسة الثقافية الرسمية والمثقفين، والذي جسده وزير الثقافة فرياد رواندزي، وحضور اسم السياب بعد قيام اتحاد أدباء العرب بتسمية عام 2014 للسياب.



في 2015.. العالم يحتفل بالضوء وابن الهيثم



«ابن الهيثم أول من قال: إن العدسة المحدبة ترى الأشياء أكبر مما هي عليه، وأول من شرح تركيب العين، ووضّح أجزاءها بالرسوم، وأعطاها أسماء أخذها عنه الغربيون وترجموها».

انطلقت في 19 كانون الثاني/يناير 2015 الاحتفالات بالسنة الدولية للضوء بناء على قرار أصدرته الأمم المتحدة عام 2013 لتكون 2015 أولى السنوات الدولية للضوء والتكنولوجيات المتصلة به، وذلك لمدة يومين بمقر اليونسكو في العاصمة الفرنسية باريس.

ويوافق هذا العام وقوع أحداث مهمة في تاريخ علم البصريات أبرزها مرور ألف سنة على تأليف العالم العربي ابن الهيثم كتاب (المناظر) الذي وضع فيه أسس هذا العلم، ونظمت بهذه المناسبة العديد من التظاهرات العلمية والثقافية والمعارض التفاعلية حول مكانة الضوء والتكنولوجيات المرتبطة به في حياة الإنسان وبناء الحضارة في العصر الحديث.

يُذكر أن مقترح اعتماد سنة دولية للضوء تقدمت به غانا والمكسيك عضوًا مجلس منظمة الأمم المتحدة للتربية والعلم والثقافة (يونسكو) وتبنى القرار المجلس التنفيذي للمنظمة و28 عضوًا آخر. وفي تشرين الأول/أكتوبر 2012 عرض أمام الدورة الـ190 للمجلس التنفيذي مقترح قرار باعتماد 2015 أولى السنوات الدولية للضوء، وتم اعتماد القرار في اجتماع الجمعية العامة للأمم المتحدة في ديسمبر/كانون الأول 2013.

تكريم الشاعرة لميعة عباس عمارة في أمريكا



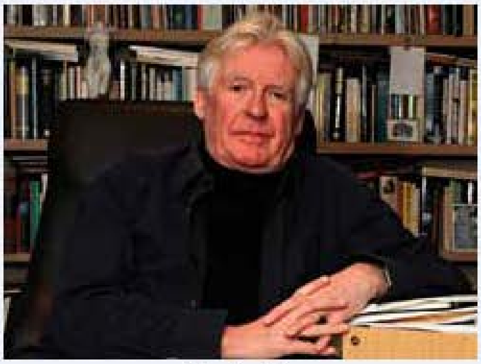
الشاعرة لميعة عباس عمارة في أثناء تكريمها

سان دييغو :

افتتحت الشاعرة الكبيرة لميعة عباس عمارة معرضًا تشكيليًّا ضمن احتفالية تكريمها في ولاية كاليفورنيا الأمريكية حيث تقيم الشاعرة هناك منذ سنوات. ورافق الشاعرة في افتتاح الحفل والمعرض مجموعة من الإعلاميين والفنانين العرب المغتربين في أمريكا ومن بينهم عضو ملتقى الروح الثقافي في شيكاغو نجوى عبدالله وأعضاء المركز الثقافي العراقي في واشنطن الذي يتألف من الدكتور محمد الطريحي رئيس المركز الثقافي في واشنطن وعماد جاسم ودنيا مخيائيل وعقيل الجبوري ومجيد الياسري وبالتعاون والتنسيق مع جمعية الثقافة والفنون في سان دييغو.

وقد قدم الفنان النحات علاء الصفار تمثالاً سومريًّا يمثل وجه الشاعرة لميعة عباس عمارة كما نحت لها هدية التكريم، وهي إناء عليه الزخارف السومرية، ومطلي بالذهب، وكذلك قدم الفنان قيس السندي لوحاته التشكيلية وكذلك بورتريه للشاعرة القديرة وشارك في المعرض مجموعة من الفنانين الشباب المغتربين أيضًا في ولاية كاليفورنيا، وهم كل من الفنانة خمائل طه وعروبة العاني ونوار رسول (فوتغراف) وطيف ومحمد الخفاجي بالإضافة إلى المعرض التشكيلي كان هنالك معرض للكتاب العربي، وأيضًا معرض فوتغراف يضم أشهر الصور للشاعرة لميعة عباس عمارة تمثل مراحل حياتها وتجربتها الشعرية في محافل ومهرجانات الشعر ومع الشخصيات الأدبية والسياسية المهمة. وقد عبرت الشاعرة عن التكريم والحفل بأنها محظوظة من بين الشعراء، لأنها تكرم من قبل العراق والدموع تذرف من مقلتيها كما قدمت مجموعة من قصائدها الشعرية هذا. وقد نال المعرض وحفل التكريم نجاحًا ساحقًا ورضا الحضور من قبل أبناء الجالية العراقية المغتربة في ولاية كاليفورنيا.

الشاعر الإنجليزي هارسنت يفوز بـ"جائزة إليوت"



ديفيد هارسنت

فاز الشاعر الإنجليزي ديفيد هارسنت بجائزة (تي، إس، إليوت) للشعر عن ديوانه (فاير صونجس) الذي قال: إنه استلهم كلماته من (الخراب الذي يعم الكوكب) من جراء تغير المناخ.

وحصل هارسنت (72 عامًا) على الجائزة القيمة في الذكرى السنوية الخمسين لوفاة إليوت، الأمريكي المولد، الذي يعد أفضل شعراء القرن العشرين، ويشتهر بقصيدتي الأرض الخراب (ذا ويست لاند) و(ذا لف صونج أوف جي، ألفريد بروفلوك).

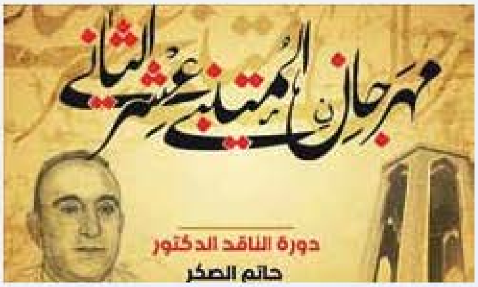
وقال هارسنت: إنه استوحى كلمات بعض أشعار (فاير صونجس)، وهو ديوانه الحادي عشر، من مخاوف نجده، مما أطلق عليه (الموت الساخن للكوكب).

وأضاف لـ(رويترز) في حفل تسليم الجائزة، في أحد متاحف لندن: «أود فقط أن يقوم الساسة بشيء لتغيير هذا الاتجاه».

وضمت لجنة التحكيم 3 شخصيات، واختير هارسنت من قائمة مختصرة شملت 10 متنافسين.

وتنظم المسابقة جمعية كتاب الشعر، وتبلغ قيمتها 20 ألف جنيه استرليني (حوالي 30 ألف دولار)، ممولة من ممتلكات أليوت.

انطلاق فعاليات مهرجان المتنبي الشعري بواسط العراقية



تحت شعار (بالقصيدة تسمو الحياة) انطلقت في 22 كانون الأول/ديسمبر 2014 بمدينة النعمانية شمالي محافظة واسط جنوب العاصمة العراقية بغداد، فعاليات مهرجان المتنبي بنسخته الـ12 التي أطلق عليها دورة (الناقد العراقي الدكتور حاتم الصكر) احتفاء بتجربته النقدية الإبداعية وأثرها في الخارطة الأدبية على المستويين العراقي والعربي.

وابتدأ حفل الافتتاح عند ضريح المتنبي في قضاء النعمانية (40 كلم شمال مدينة الكوت) وتستمر فعاليات المهرجان، الذي ينعقد بالتنسيق والتعاون بين دائرة العلاقات الثقافية بوزارة الثقافة والحكومة المحلية واتحاد الأدباء والكتاب وجامعة واسط على مدى يومين، ما بين رحاب الجامعة وقاعة الإدارة المحلية في الكوت بواقع ثلاث جلسات شعرية صباحية ومسائية يوميًّا فضلاً عن محاور نقدية وفعاليات فنية ومعرض تشكيلي.

جدير بالإشارة إلى أن مهرجان المتنبي يُعد واحدًا من بين أهم أربعة مهرجانات شعرية تقام سنويًّا، إلى جانب مهرجان المربد في البصرة ومهرجان الكميت الشعري في ميسان ومهرجان الجواهري ببغداد.

معارض الكتاب وصناعة النشر

«هناك شريحة واسعة من محبي الكتاب الورقي يرون أنه لا غنى لهم عن ذلك الكتاب في رحلاتهم وإجازاتهم التي يقضونها في مختلف بقاع العالم، بل إن هناك شريحة واسعة ترى أن الكتاب الورقي يقضي على الملل والسأم في الرحلات الطويلة ويساهم في قضاء وقت ممتع قبل الوصول إلى الوجهة المحددة في السفر. ومازال الكثير من القراء يفضل استخدام الكتاب المطبوع، والإحساس بملمس الورق ورائحة الحبر»

تعد معارض الكتاب في الدول العربية، فرصة حقيقية لتلاقي الأفكار وتبادلها، ويحفل العالم العربي بالمعارض التي يشارك فيها أهم الكتاب والمثقفين العرب بالإضافة إلى أهم دور النشر ومؤسسات الإنتاج الثقافي.

وكذلك المؤشر المساعد في قياس الحالة الثقافية والأدبية التي تعيشها وتمر بها أي أمة، وهو كذلك انعكاس لحركة التأليف والنشر والتوزيع.

يُعد معرض الكتاب مقياسًا مهمًا لدور النشر وتوزيع الكتاب، ومعرفة كل دولة باهتمامها بالكتاب، الذي يساعدهم على التفكير بالخوض أو المشاركة فيه من عدمه، فالأمة التي تقرأ وتهتم بالقراءة، نجدها تهتم بكل ما من شأنه المساعدة في ذلك، كالاهتمام بصناعة القراءة، على سبيل المثال، وما تتطلبه هذه الصناعة من أدوات وعمليات وخدمات عرض وتسويق، ولا شك أن ذلك يساعد أفرادها في الانخراط في (مجتمع اقرأ أتعلم)!

وولدت فكرة إقامة معارض الكتب من رؤيتين، الأولى اقتصادية وتقوم على تضييق المساحة الجغرافية أمام طالب الكتاب والباحث عن الجديد في عالم الثقافة، ومن ثم إتاحة الفرصة أمام الناشر لعرض جديده أمام أكبر شريحة ممكنة من الناس.

والثانية ثقافية، فتبدع جوًّا من التفاعل الفكري أولا بين رواد المعرض، وبأنه يشكل منبرًا مفتوحًا على كل الثقافات، فتظهر الإبداعات الأدبية بكل مجالاتها الشعرية والروائية والنقدية والفكرية والسياسية والعلمية، فيقدم نتاجات النخب المخضرمة مع الأجيال الصاعدة في هذه المجالات.

إلا أن هناك عقبات تواجه إقامة مثل هذه المعارض، إذ لا يزال المجتمع العربي يضع تصورًا تقليديًّا لفكرة تنظيم المعارض، من خلال التركيز على هدف استقدام القراء وبيع الكتب، في حين أن معارض الكتب في الغرب تجاوزت ذلك وأوكلت هذه المهمة للمكتبات.

البداية من بيروت ..

بيروت كانت البداية والرائدة في إقامة هذا النوع من المعارض حين انطلق النادي الثقافي العربي من عام 1956 بأول معرض للكتاب في بيروت والثاني على مستوى العالم العربي بعد معرض القاهرة.

وبادر النادي الثقافي العربي حينها إلى إقامة المعرض من خلال رسالته الثقافية والقومية التي أنشئ على أساسها النادي لـ(تعالج من منبره قضايا ثقافية واجتماعية تهم المجتمع وتتصدى للهجمات التي تتعرض لها المجتمعات العربية من إسقاطات ثقافية تنشئ إشكاليات فكرية في أوساط الشباب العربي).

وقد قامت إدارة المعرض في سنواته الأخيرة بإدخال فعاليات جديدة عليه كل سنة كإقامة الندوات الفكرية واللقاءات الثقافية والأمسيات الشعرية، وحفلات التوقيع التي تشمل تقريبًا كل الأجنحة لتقديم المؤلفات الجديدة بتواقيع أصحابها.

أما معرض القاهرة الدولي فيعد من أكبر معارض الكتاب في الشرق الأوسط، وقد بدأ في عام 1969، وحينها



كانت القاهرة تحتفل بعيدها الألفي، فقرر وزير الثقافة ثروت عكاشة الاحتفال بالعيد ثقافيًا، فكان بإقامة أول معرض للكتاب.

وجرت العادة به أن يكون اليوم الأول للافتتاح يوم رسمي، واليوم الثاني للناشرين وما يليه للجمهور ويشارك فيه ناشرون من مختلف الدول العربية والأجنبية ويقام به أيضًا العديد من الندوات الثقافية بالإضافة إلى عروض السينما والمسرح والمعارض التشكيلية والعروض الموسيقية.

الصراع على البقاء بين الكتاب الورقي والإلكتروني:

المتتبع لمعارض الكتاب في شتى أرجاء العالم التي تقام بشكل دوري يصل إلى نتيجة مفادها أنه ومهما قيل عن التقنية وتطورها إلا أنه لا يمكن الاستغناء عن الكتاب الورقي في القراءة في مجال النشر، وفي كل ما يكون مفيدًا للإنسان، حيث تعد تلك المعارض الكتاب الورقي أساسًا في الحراك الثقافي بين مختلف شعوب العالم، وبذلك يكون الكتاب الورقي قد تمكن – ليس من التغلب على المعرفة والكتب الإلكترونية – لكن كل تلك التقنيات فشلت في إسقاط أو التقليل من شأن الكتاب الورقي.

ويرى الكثير من محبي القراءة والاطلاع أن هناك الكثير من المميزات التي يتحلى بها الكتاب الورقي، بل ويتغلب على الكتب الإلكترونية المنتشرة في شتى المواقع، إذ يتميز الكتاب الورقي بخفة حجمه والتمكن من حمله في الرحلات والاستمتاع به تحت أي ظرف من الظروف، وهناك شريحة واسعة من محبي الكتاب الورقي يرون أنه لا غنى لهم عن ذلك الكتاب في رحلاتهم وإجازاتهم التي يقضونها في مختلف بقاع العالم، بل إن هناك شريحة واسعة ترى أن الكتاب الورقي يقضي على الملل والسأم في الرحلات الطويلة ويساهم في قضاء وقت ممتع قبل الوصول إلى الوجهة المحددة في السفر.

ومازال الكثير من القراء يفضل استخدام الكتاب المطبوع، والإحساس بملمس الورق ورائحة الحبر.

يتحدث الدكتور إبراهيم السعافين، أستاذ الأدب العربي الحديث في الجامعة الأردنية، قائلاً: «ما زلت أعتقد أن الكتاب الورقي له جمهوره وجاذبيته، ذلك لأن شكل الكتاب وطريقة إخراجه من العناصر التي تلفت النظر إليه، بالإضافة إلى سهولة الحمل بخلاف القراءة بواسطة الحاسوب أو الهاتف، وفي الغالب نجد أن الكثير عند القراءة يحيل الإلكتروني إلى الورقي لسهولة التحكم فيه، ولا أظن أن الكتاب الإلكتروني منافس سلبي، لكن قد يكون الكتاب الإلكتروني داعمًا للكتاب الورقي».

وقد أصبح توقعات الناشرين مبالغًا فيها وقت هوس الناس بالإنترنت، ولكن إذا باعت مؤسسة بنغوين 40 ألف نسخة من كتاب مطبوع، فإنها ستبيع أربعة آلاف نسخة مسموعة و400 كتاب إلكتروني. وقال ديفد شتاينبرغ المدير بدار نشر هاربر كولينز: إن الكتب الإلكترونية لا تشكل سوى جزء قليل جدًا من النشر الإجمالي، وإن المبيعات السنوية لأعمال الروائية الإنجليزية أجاثا كريستي التي أنتجت (هاربر كولينز) كل أعمالها إلكترونيًا تزيد بنسبة 30 %.

وفي هذا الإطار تشير دراسة إلى أن 29 % من المواطنين الألمان القارئين الذين تقدر الدراسة نسبتهم بـ 75 % من مجمل عدد سكان ألمانيا باتوا يفضلون الكتاب الإلكتروني على نظيره الورقي، وأن 27 % من الأشخاص الذين شملهم المسح لا يعارضون استبدال الكتب المطبوعة بكتب إلكترونية، ما يشير إلى زيادة الظاهرة وإلى تحويل هذا الموضوع لمادة نقاش أساسية في فعالياته ومناقشاته، فيما يرى ألكسندر سكيبيس الرئيس التنفيذي لرابطة تجارة الكتب الألمانية، أن مبيعات الكتاب المطبوع مازالت تشهد رواجًا فبخلاف السنتين الماضيتين التي شهدت انخفاضًا في المبيعات، فإن المبيعات ارتفعت في السنوات التسع الأخيرة من 0.8 إلى 1.4 في المئة، وهذا يعني أن الطلب على الكتاب المطبوع مازال كبيرًا.

صناعة النشر في العالم العربي والعوامل المؤثرة

«كان يقال دائمًا: إن القاهرة تكتب، لبنان يطبع، والعراق يقرأ، هل ما زال لبنان هو مركز صناعة النشر في العالم العربي؟ ولكن في الوقت الحالي تفككت هذه المقولة، لأن العراق لم يعد لديه القدرة إنه يقرأ، لبنان طبعًا ما زال ينشر بكثرة، إنما أصبحت هناك مراكز نشر محلية في كل قطر عربي»

«إن ارتفاع مستويات الفقر والأمية العربية التي جعلت الكثيرين بعيدًا عن عادة القراءة»

أدت الإنجازات الحضارية المختلفة دورًا رئيسًا في ظهور حركة نشر الكتب وانتشارها ومن ثم ظهور المكتبات المختلفة، وهذه الإنجازات هي:

أولاً: اختراع الكتابة الذي يُعد أعظم اختراع في تاريخ البشرية، حيث هيأ هذا الاختراع للإنسان إمكانية تسجيل المعرفة والأفكار والمعلومات ومن ثم نقلها للأجيال القادمة، لولا الكتابة لما وصلنا تراث البشرية العظيم في الآداب والعلوم المختلفة.

ثانيًا: اختراع أدوات الكتابة وخاصة الورق على يد الصينيين.

ثالثًا: اختراع الطباعة بالحروف المتحركة على يد الألماني غوتنبرغ مع منتصف القرن الخامس عشر، حيث ساهمت في سرعة انتشار الكتب وغيرها من المطبوعات.

تاريخيًا:

نشرت الكتب قديمًا في بلاد اليونان على شكل مخطوطات معدّة للبيع، كما كان النشر عملاً منظمًا في الإمبراطورية الرومانية، وفي العصور الوسطى تركزت عملية إصدار المخطوطات في أيدي الرهبان، ثم توقف هذا النوع من النشر، ولكن أعيد إحياؤه في عصر النهضة، بعد إدخال الطابعة الآلية إلى أوروبا في منتصف القرن الخامس عشر للميلاد، حين أصبح من الممكن إصدار كمية كبيرة من المواد المطبوعة، وقد لعبت حركة الوراقين دورًا رئيسًا في نشر المخطوط العربي الإسلامي، وقد انتشرت الطباعة بسرعة في أوروبا بسبب الخلافات الدينية التي تلت عصر الإصلاح الديني، حيث تعددت المؤلفات الجدلية، وقديمًا كان المؤلف والمطبعة والناشر شخصًا واحدًا أحيانًا، ولم يصبح التمييز بين الناشر والطبّاع وبائع الكتب دقيقًا حتى القرن التاسع عشر للميلاد، وتعد فيينا وفلورنسا وميلان وزيوريخ وباريس ولندن وأدنبره من المدن الأوروبية ذات التاريخ الطويل في النشر، وفي الولايات المتحدة الأمريكية تزعمت بوسطن وفيلادلفيا أعمال النشر في القرن العشرين، وتعد مصر ولبنان في طليعة البلاد العربية في مجال نشر الكتب.

والثقافة طريق للتطور الاقتصادي والاجتماعي ومن هنا جاءت أهمية الاعتناء بصناعة النشر العربية.

ومتوسط طباعة العنوان الواحد للكتاب العربي تتراوح بين 5 آلاف نسخة في المتوسط مقابل 85 ألف نسخة لطباعة العنوان الواحد في بريطانيا مثلاً، الإنتاج العربي من الكتب لا يتجاوز 1.1 % فقط من إجمالي الإنتاج العالمي رغم أن السكان العرب يمثلون 5.5% من إجمالي سكان العالم، العالم يستهلك نحو 100 مليون طن من أوراق الطباعة سنويًا نصيب العرب منها يتضاءل بالتأكيد فالإحصاءات تقول: إن النشر باللغات الإنجليزية والفرنسية والألمانية والروسية يستحوذ على 95 % من أوراق الطباعة العالمية بينما تقاسم باقي دول العالم النسبة المتبقية، والعالم العربي يشهد سنويًا 16 معرضًا للكتاب وعلى الناشر توزيع ما لديهم من كتب، بينما يراها البعض دافعًا للقارئ العربي أن يصوم عن عادة شراء الكتب سنويًا إلا في هذه المناسبات فقط.

وفقًا لتقارير اتحاد الناشرين الأمريكيين لعام 2008، ونفسه عام 2009 وصلت أرباح الناشرين بالولايات المتحدة الأمريكية وحدها إلى 24 مليار و 255 مليون و25 ألف دولار ، هذه الأرباح التي تعني وتؤكد وجود صناعة للنشر ناجحة في هذا البلد الواحد! أما عن حجم صناعة النشر في العالم العربي مجتمعًا ومداولات سوق الكتاب فيه بيعًا وشراءً، فلا تتجاوز 4 ملايين دولار أمريكي سنويًا، وفيما يصل عدد النسخ المطبوعة من الكتاب العربي الواحد من 1000 إلي 5000 نسخة، نجد في مقابلها 85 ألف نسخة في دول الغرب.

كم تعاني صناعة النشر العربية من أزمة خانقة تتفاقم باستمرار، بعد أن أصبح الكتاب في رأس سلم قائمة الشطب عند الأزمات، وفي آخر سلم المشتريات في حالة الرخاء! ويؤكد كذلك على احتياج الكتاب، كمنتج ثقافي خاص، إلى سوق واسعة، ولكن للأسف، فإن سوق الكتاب العربي مقطعة الأوصال، بين أجزاء متفاوتة في السعة والقوة الشرائية، ومستوى التعليم والثقافة، وتطبق فيها قوانين مختلفة، سواء من حيث الرقابة، أو من حيث الاستيراد والتصدير.

ومع نهاية القرن العشرين كان ينشر حوالي مليون كتاب جديد سنويًا على مستوى العالم، وتصدر هذه الكتب في أكثر من 20 مليار نسخة، وتحتاج لحوالي 30 مليون طن من الورق، ويكفي هذا الورق لتغليف الكرة الأرضية كاملة سبع مرات، وتعد قارة أوروبا أنشط قارات العالم في مجال نشر الكتب، وفيها أكثر من نصف المطابع وأكثر من نصف دور النشر، كما يعيش في أوروبا أكبر عدد من المؤلفين في العالم، وترتب قارات العالم وفق حجم الكتب التي تصدرها على النحو التالي:

1 - تنتج أوروبا 53 % من الكتب.

2 - تنتج آسيا 22 % من الكتب.



3 – تنتج أمريكا الشمالية 12 % من الكتب.

4 – تنتج أمريكا الجنوبية 8 % من الكتب.

5 – تنتج أستراليا 2.5 % من الكتب.

6 – تنتج أفريقيا 2.5 % من الكتب.

أما أكبر عشر دول منتجة للكتب فهي على النحو التالي:

الاتحاد السوفيتي (سابقًا) الولايات المتحدة الأمريكية، ألمانيا، اليابان، بريطانيا، فرنسا، إسبانيا، الصين، كوريا الجنوبية، وكندا.

بالنسبة لترتيب اللغات التي تنشر فيها الكتب على مستوى العالم فتأتي اللغة الإنجليزية في المقدمة، حيث يصدر أكثر من 60 % من الكتب في العالم باللغة الإنجليزية، ثم تأتي بعدها اللغة الفرنسية، فاللغة الألمانية، فاللغة الروسية، وهذه اللغات الخمس ينشر فيها أكثر من 95 % من الكتب في العالم، وتبقى هناك أكثر من 4000 لغة في العالم، ومن بينها اللغة العربية، وتنشر مجتمعة 5 % مما يصدر في العالم من الكتب.

أما حجم ما يصدر في الوطن العربي من كتب باللغة العربية فيشكل 86 % تقريبًا، ويصدر ما نسبته 5 % من الكتب في البلاد العربية باللغة الإنجليزية، وما نسبته 3 % باللغة الفرنسية، والباقي باللغات الأخرى، أما الكتب المترجمة إلى العربية فتشكل ما نسبته 11 % من الكتب المنشورة، ويشكل إنتاج الوطن العربي كاملاً من الكتب ما نسبته أقل من 1 % من الناتج العالمي، على الرغم من أن عدد سكان الوطن العربي يشكل ما نسبته 7 % من سكان العالم تقريباً.

مشكلات صناعة الكتاب في الوطن العربي:

كانت القاعدة قديمًا تقول: القاهرة تكتب، وبيروت تطبع وتنشر وبغداد وغيرها تقرأ.

يواجه الكتاب العربي عامة الكثير من المشكلات التي من أبرزها ظاهرة العزوف عن القراءة لدى معظم أفراد المجتمع.

– تدني مستوى عدد كبير من الكتب المنشورة.

– الرقابة بمختلف أشكالها: السياسية والاجتماعية، والدينية.

– انتشار ظاهرة السرقات الأدبية (القرصنة) والاعتداء على حقوق المؤلف والناشر.

– انتشار وسائل الإعلام الجماهيرية كالإذاعة والتلفزيون والمسرح والسينما، وأخيرًا وسائل التواصل الاجتماعي.

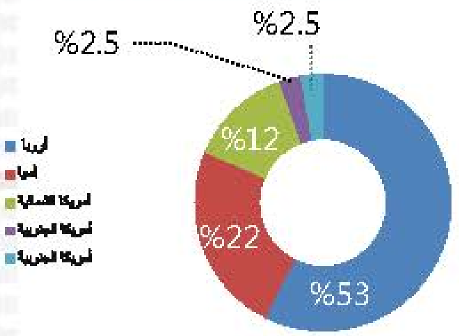
– العلاقة غير السليمة بين المؤلف والناشر الموزع والقارئ.

– انتشار شبكات المعلومات والنشر الإلكتروني.

بالنسبة لمشكلات النشر في الوطن العربي الأساسية هي على النحو التالي:

غياب المصداقية في كمية الكتب المطبوعة والمباعة، والتزوير والاعتداء على حقوق الملكية الفكرية.

إن ارتفاع مستويات الفقر والأمية العربية التي جعلت الكثيرين بعيدًا عن عادة القراءة أم ارتفاع مستلزمات الطباعة من أحبار وأوراق وضرائب وجمارك وغيرها مما زاد كلفة الطباعة النهائية عن قدرة مستهلك الثقافة العربي، هي إذن مهنة تترنح ولا تموت قد يكون هذا وصفًا



قارات العالم وفق حجم الكتب التي تصدرها

دقيقًا لحال صناعة النشر العربية، فالناشرون العرب مجتمعون لا يصدرون إلا نحو 7 آلاف عنوان كتاب سنويًا فقط مقابل ربع مليون عنوان كتاب تصدره بريطانيا وحدها فقط سنويًا. أضف إليها حالة عدم الثقة المتبادلة التي وصف بها اتحاد الناشرين الأردنيين العلاقة بين أطراف صناعة النشر والكتاب العربي.

يقابل الكتاب العربي أكثر من 20 رقيب ارتفاع تكلفة الشحن، ارتفاع تكاليف المعارض على مستوى الوطن العربي، ارتفاع أسعار الإعلانات.

كان يقال دائمًا إن القاهرة تكتب، لبنان يطبع، والعراق يقرأ، هل ما زال لبنان هو مركز صناعة النشر في العالم العربي؟

ولكن في الوقت الحالي تفككت هذه المقولة، لأن العراق لم يعد لديه القدرة إنه يقرأ، لبنان طبعًا ما زال ينشر بكثرة، إنما أصبحت هناك مراكز نشر محلية في كل قطر عربي.

صناعة النشر في الدول المؤثرة عالمياً



صناعة النشر في ألمانيا:

لدى ألمانيا منظومة متنوعة وفعالة من دور النشر التي تلبي احتياجات جمهور القراء بأكمله سواء الشغوفين بالمعرفة أو الباحثين وكذلك الذين يقرءون من أجل المتعة.

يضم (دليل المكتبات الألمانية) حوالي 15000 شركة، التي يمكن أن تنسب إلى سوق إصدار الكتب ومنهم بضع ألاف يقدمون على نشر الكتب في بعض الأحيان فقط. ولمعرفة أي الشركات تقوم بالفعل بنشاط ذي صلة في مجال النشر يفضل الرجوع إلى إحصائية ضريبة المبيعات التي تضم 2200 دار نشر.

إن الوضع الاقتصادي لصناعة النشر في ألمانيا يعد صحيًا بشكل عام؛ إذ إن هذه الصناعة استطاعت أن ترفع حجم مبيعاتها منذ عام 1992 بنسبة 53 بالمئة. وتشير التقديرات الأولية إلى وصول الحجم الإجمالي للمبيعات في عام 2010 إلى 5.4 مليار يورو.

صناعة النشر في الصين:

تشهد الصين نجاحات مذهلة في شتى المجالات، وتنمو صناعاتها المختلفة بشكل غير مسبوق، لا تزال تقبع خلف دول كثيرة في مجال صناعة الكتاب ونشره، وإن كانت من حيث عدد العناوين المطروحة سنويًا والحجم الكلي للمنتج تأتي ضمن أكبر دول العالم. وبعبارة أخرى، يمكن القول: إن الصين لا تبدو في موقع متقدم إذا ما أخذنا في الاعتبار نصيب الفرد السنوي من الكتاب، وشكل وجودة المنتج، والطرق المستخدمة في الطباعة والتوزيع، والتشريعات الخاصة بحماية حقوق المؤلفين والناشرين.

صناعة الكتاب في الصين تقدمت في السنوات الأخيرة، ولاسيما منذ انضمام البلاد في عام 2001 إلى منظمة التجارة العالمية، حيث شكلت عضوية الصين في هذه المنظمة بما فرضته من شروط ومعايير وقواعد عالمية تحديًا لدور النشر المحلية. وهناك ثمانية آلاف دار نشر متخصصة في صناعة الكتاب - من أصل 82 ألف دار للطباعة يعمل بها نحو 3 ملايين نسمة- لا تزال تراهن في بقائها في سوق المنافسة على العامل الأخير، أي على عدد قراء الصينية، الذين يشكلون ربع سكان الكرة الأرضية، وعلى الأعداد المتزايدة من الأجانب الساعين إلى تعلم الصينية وآدابها.

وتشير الإحصائيات الرسمية إلى أن الصين، التي تفتخر بحضارة ثقافية نشأت قبل 5 آلاف عام، وبأنها البلد الأول في العالم الذي اكتشف الورق والطباعة قبل انتقالهما إلى الغرب عبر طريق الحرير، تطرح سنويًا ما معدله 140 ألف عنوان باللغة الصينية. كما يتضح من هذه الإحصائيات أن أسواق الكتاب في الصين مزدهرة، وتحقق أرباحًا كبيرة للناشرين، بل إن قطاع صناعة الكتاب هو من بين أكبر ثلاثة قطاعات مربحة إلى جانب قطاعي العقارات والتعليم. أما لجهة تصدير الكتاب الصيني والعوائد المتحققة من ذلك، فتشير آخر الإحصائيات إلى أن البلاد صدَّرت في عام 2004 نحو 2.5 مليون كتاب بعائدات إجمالية بلغت 11 مليون دولار.

غير أن هذه الأرقام الكبيرة تبدو صغيرة إذا ما قورنت بأرقام صناعة وتصدير الكتاب في الهند، بل تبدو جد متواضعة عند مقارنتها بصادرات الولايات المتحدة من الكتاب قبل عقد من هذا التاريخ أي في عام 1994 التي بلغت فيها حصيلة الأخيرة من هذه الصادرات 1.7 بليون دولار.

وإذا كانت عوامل مثل ملكية الدولة لدور النشر الكبيرة، وغياب التكامل ما بين عمليتي النشر والتوزيع، وانتشار دور النشر الصغيرة الغير القادرة على المنافسة القوية ومقاومتها لفكرة الاندماج في كيانات كبيرة، ونقص التجديد والتحديث المستمر، وتبديد الموارد، مسؤولة عن تراجع مكانة الصين العالمية في صناعة الكتاب ونشره، فإن السبب الأبرز يكمن في غياب الشفافية ومناخ الحرية اللازم للإبداع الثقافي والفكري.

فالصين لا تزال تفرض الرقابة والقيود على الأعمال الإبداعية والمصنفات الفكرية وتخضعها للفحص الدقيق من خلال الإدارة العامة للصحافة والنشر المعروفة اختصارًا باسم (غاب GAP)، والتي لها سلطة تقرير ما يسمح بنشره، وتقييد حق المبدع في النشر، وإغلاق دور النشر التي تتجاوز التعليمات.

ولعل هذا ما يفسر لجوء الكثيرين في الصين إلى العمل من تحت الأرض وازدهار صناعة النشر السرية وتفشي السوق السوداء للكتاب. فعلى سبيل المثال توجد في العاصمة بكين وحدها نحو عشر دور نشر سرية كبرى والآلاف من المكتبات الصغيرة وعربات الكتب المتنقلة التي تعرض بأسعار رخيصة نسخًا مزورة من كل أنواع الكتب الممنوعة القديمة والحديثة، من تلك الصادرة في هونغ

كونغ أو تايوان أو الغرب. أما في المدن الكبرى البعيدة عن سلطة المركز، فإن العدد أكبر بطبيعة الحال.

ويمكن للمرء أن يكتشف بسهولة النسخ المزورة من أي كتاب، بفضل رداءة مستوى الطباعة والألوان، وما تحتويه من أخطاء مطبعية ونحوية كثيرة، فضلًا عن غياب التراتبية الرقمية لبعض الصفحات، بل واختفاء صفحات بأكملها، طبقًا لإحدى الدراسات. لكن الكثيرين لا يعيرون هذه المسائل أي اهتمام في ظل ولعهم بقراءة الكتب المنوعة وضعف قدراتهم الشرائية.

صناعة النشر في الهند:

تعد صناعة النشر الهندية عن حجم وتنوع شبه القارة الهندية حيث ينشر 12 ألف ناشر 80 ألف كتاب سنويًا بأربع وعشرين لغة رسمية في البلاد، وتقدر دورة رأس مال هذه الصناعة بأكثر من مليار دولار سنويًا، وما زالت تتمتع بإمكانيات كبيرة للنمو.

ويصدر نحو ثلث الإنتاج السنوي للكتب باللغة الإنجليزية والباقي باللغة الهندوسية والتاميلية والبنغالية وغيرها من اللغات الأخرى في البلاد.

ورغم أن نسبة صغيرة نسبيًا من سكان الهند البالغ عددهم 1.1 مليار شخص يمكنهم قراءة اللغة الإنجليزية فإن البلاد ما زالت ثالث أكبر سوق للكتب التي تصدر باللغة الإنجليزية في العالم بعد الولايات المتحدة وبريطانيا. وأدت العولمة وازدهار تكنولوجيا المعلومات وتجارة الخدمات في الهند إلى تحويل الإنجليزية إلى لغة مهمة بالنسبة للشباب والمتعلمين. ويقدم نمو الطبقة المتوسطة في الهند فرصًا كبيرة ويقدر عدد هواة القراءة في جنوب شرق آسيا بستمئة مليون شخص، وهو أكبر عدد من القراء يجري استغلالهم تمامًا من قبل الناشرين الدوليين.

وأدركت كبرى دور النشر في العالم أهمية الهند مما دعا مؤسسات مثل بنجوين وهاربر كولينز وراندوم للنشر إلى إقامة عمليات هناك لنشر كتب هندية باللغة الإنجليزية وتوزيع الكتب الأجنبية في الهند.

غير أنه في بلد يشهد تضاربات واسعة تشير التقديرات إلى أن ثلث الهنود تحت سن 15عامًا لا يمكنهم القراءة ولا الكتابة. ويتوقع أن تصل قيمة الصادرات من الكتب المطبوعة في الهند إلى مئة مليون دولار سنويًا وهناك طلب متزايد بشكل خاص على الكتب المدرسية معتدلة الأسعار في الهند في الدول النامية.

وفي الغرب ما زالت الكتب القادمة من الهند تتمتع بشعبية لا سيما بالنسبة لتلك الكتب التي تجسد ثقافة البلاد الثرية والمتنوعة مثل مجلدات حول القيم الروحية وأسلوب الطبخ.

وشارك نحو 200 ناشر هندي في معرض فرانكفورت وهو الأكبر من نوعه في العالم.

ويوفر معرض الكتاب قاعدة عالمية لصناعة النشر والكتاب الهنود فيما أتيحت فرصة لدعم ترجمة الكتب إلى 24 لغة رسمية و 120 لغة إقليمية هندية.

يذكر بأن الهند تشهد كل عام نشر نحو 77 ألف عنوان جديد لكتب بينها 20 ألفًا باللغة الإنجليزية وحدها مما يجعلها تحتل المركز الثالث على مستوى العالم في مجال نشر الكتب بالإنجليزية بعد الولايات المتحدة وبريطانيا.

صناعة النشر في أمريكا:

يبلغ عدد دور النشر بالولايات المتحدة الأمريكية وفقًا لتعداد عام 2004 أكثر من 85.000 شركة نشر، انضم منهم 11.000 شركة إلى وكالة الترقيم الدولي الموحد The International Standard Book Number (ISBN))، وهي وكالة تهدف إلى وضع ترقيم دولي موحد لطبعة الكتاب؛ لتوفير سبل أكثر كفاءة لتسويق الكتب عن طريق باعة الكتب، والمكتبات، والجامعات، وتجار الجملة والموزعين. ووصل عدد شركات النشر وفقًا لتعداد عام 2007 لما يزيد عن 120.000 شركه نشر انضم منهم 85.000 إلى وكالة ISBN.

ويتراوح عدد شركات النشر التي تنشأ كل عام ما بين 8.000 إلى 11.000 شركة كل عام. ففي عام 2002 على سبيل المثال أنشئت 10.000 شركة بزيادة 15 % عن عام 2001. وفى عام 2003 تم إنشاء 10.877 شركة.

وقد بلغت مبيعات أكبر عشرة شركات نشر في الولايات المتحدة الأمريكية عام 2006 مبلغ 24 مليار دولار. وتتركز معظم شركات النشر الصغيرة في ولاية كاليفورنيا California، حيث تحتوى على أكثر من 60 % من تلك الشركات. وبلغ حجم الكتب المباعة عام 2007 أكثر من 692.3 مليون كتاب بعد أن وصل عدد الكتب المباعة عام 2006 إلى 652.3 مليون كتاب.

صناعة النشر في روسيا:

يعد صناعة الكتاب الروسية في الوقت الحاضر، صناعة رابحة، وقطاع اقتصادي ينمو بشكل ديناميكي، والشاهد على ذلك الأرقام الإحصائية الواقعية في هذا المجال.

ووصل النمو السنوي في نشر الكتب في روسيا في المتوسط إلى 9.4 % ، وأما بالنسبة لعدد النسخ فإن النمو السنوي قد وصل إلى 5 %.

وازداد نشر الكتب في روسيا في العشر سنوات الأخيرة أكثر من مرتين. لقد شهد عام 2006 طباعة أكثر من 100 ألف عنوان، وفي عام 2008 أصدرت روسيا 130 ألف عنوان مقابل نحو 80 ألفًا في منتصف حقبة الثمانينيات من القرن الماضي. وبقي هذا الرقم ثابتًا في عام 2009 . و80 في المئة من الكتب الصادرة في روسيا من تأليف الكتّاب الروس. ويوجد في روسيا نحو ألف دار نشر.

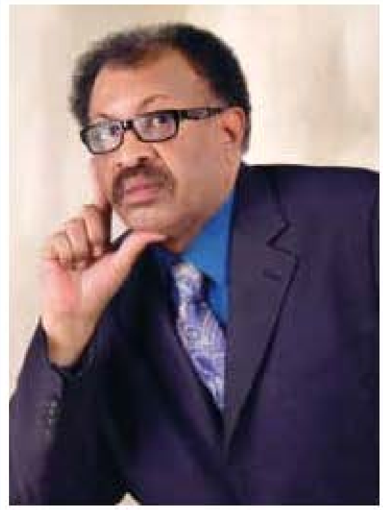
وتزايد عدد قراء الكتب الإلكترونية في روسيا في المدة الأخيرة. وتمثل الكتب الإلكترونية نحو 5 في المئة من إجمالي الكتب الصادرة في روسيا. إلا أن دور النشر الروسية تواجه خسائر كبيرة جراء إقبال (لصوص الكمبيوتر) على نشر الكتب الإلكترونية دون ترخيص.

صناعة النشر في بريطانيا:

أظهر تقرير إحصائي نشر بصحيفة (ذي غارديان) أن دور النشر البريطانية تطبع أكثر من 20 كتابًا جديدًا في الساعة؛ مما يجعل الفرد في بريطانيا هو الأكثر حصة من الكتب في العالم. وصرّحت رابطة الناشرين الدولية في تقريرها أن دور النشر البريطانية أصدرت 184 ألف كتاب جديد في العام 2013، أو ما يعادل 2875 كتابًا لكل مليون شخص من السكان، ويزيد هذا أكثر من 1000 كتاب على تايوان وسلوفينيا اللتين جاءتا بالمركز الثاني (1831 كتابًا لكل مليون من السكان في كل من البلدين). وجاءت أستراليا ثالثة بفارق بعيد بـ 1176 كتابًا، في حين أن الولايات المتحدة نشرت العام الماضي 959 كتابًا جديدًا فقط لكل مليون شخص من سكانها.

وتأتي بريطانيا ثالثة بين دول العالم والأولى في أوروبا، بحسب تقرير رابطة الناشرين الدوليين، مؤكدة تصدر الصين التي تطبع 444 ألف كتاب أو ما يعادل 325 كتابًا لكل مليون شخص من السكان تليها الولايات المتحدة التي تطبع 304912 كتابًا، وفي أيسلندا التي لم تشملها إحصائية الرابطة يُنشر نحو 1000 كتاب جديد سنويًا بلغة لا يتكلمها إلا 320 ألف شخص. كما أظهر التقرير أن بريطانيا تتصدر دول العالم في تصدير الكتاب بإيرادات زادت على 1.5 مليار يورو في العام 2013 تليها الولايات المتحدة ثم إسبانيا ثالثة.

الأوطان ملح الكتابة



د. أمير تاج السر

كاتب وروائي سوداني

«الأوطـــان مـلـح الـكـتـابـة. الأوطـان التي نعيش فيها حتى نشيخ وربما تضيعنا بجفائها، والأوطــان التي نهاجر منها لسبب أو لآخر ونعود إليها أجسادًا بين الحين والحين»

في مقال له يقول أحد الدارسين الغربيين -وقد انبهر بأدب الروائي الياباني الشهير هاروكي موراكامي، وقام بزيارته بالفعل في طوكيو ليقترب من عالمه أكثر- إن ما يميز موراكامي، ليس سعة خياله ولا مثابرته الطويلة، وجديته في العمل على إنتاج نصوص بمئات الصفحات، ولكن كونك تحس بوجوده في تلك النصوص، ووجود وطنه كله معه.

وقد صحبه موراكامي في جولة خاصة بالسيارة في مدينة طوكيو -كما قال- وكان يشير إلى كل شيء بصفاته، الجسور والطرق والمارة، امرأة تقف على رصيف، طفل على عربة أطفال مثلاً، ليقول بأنه كتب ذلك ذات يوم، وموجود في رواياته.

هذا الكلام المنمق لا ينطبق بالتأكيد على هاروكي موراكامي وحده، ولا على كتاب اليابان الذين يعرفهم الغرب والذين لا يعرفهم، فقط، ولكن ينطبق على كل من كتب وطنًا في نص، في أي بقعة من العالم الفسيح.

وإن كان من حظ موراكامي أن الغرب ارتفع بصيته المحلي كثيرًا، وحوله إلى صيت مدو لدرجة أن روائيين غربيين كثرا باتوا يتطلعون إليه باحترام كبير ويتمنون صحبته، ويتزاحم القراء في أي مكان انتظارًا للحصول على نسخة من كتاب جديد يعلن عن صدوره.

وقد ذكر الدارس الذي التقاه أيضًا أن موراكامي يقبع الآن في قلب السياحة اليابانية، إذ توجد نماذج من شخصياته وعبارات كتبها، وحتى أكواب للعصير التي ربما استخدمتها الشخوص في نص له، من ضمن ملصقات هذه السياحة.

قد يبدو ذلك الاحتفاء الخيالي غريبًا على بلد كاليابان، عرف ببرمجة الأدمغة وصناعة التكنولوجيا المتطورة وتصديرها، وشعبه كله إما يعمل وإما يستريح قليلاً ليعاود العمل، لكن بالقطع توجد التفاتات للثقافة، وفي هذا البلد يوجد كتاب كبار مثل: أوسامو دازاي ويوكو ميشيما وياسوناري كواباتا، والمخرج الشهير: أكيرو كوراساوا، الذي وُصف ذات يوم بأنه أكثر المخرجين شعبية في العالم.

أعود لمسألة الأوطان، لأنها في رأيي الشخصي من يهب الإبداع أولاً وأخيرًا، وكل من يكتب أو يرسم أو يصنع شريطًا سينمائيًا عن الوطن سيبدو حقيقيًا وصادقًا.

ففي زمن الشدة والتعثر، تبدو الكتابة شديدة ومبعثرة وصادقة، وأنت حين تصف وطنًا محطمًا تصفه محطمًا، وحين تصف الفقراء تصفهم كما يوصف الفقراء، وحين تنتقد سياسيًا غير عادل تنتقده بنبرة حقيقية، الكوارث هي الكوارث، والنواح الذي يتفصد من الحلوق هو النواح الحقيقي بكل تأكيد.

وفي زمن الرخاء والاستقرار -على الجانب الآخر- ستغدو الكتابة مستقرة وعامرة بمفردات الحياة المسترخية، هنا سيوصف الليل بأنه ليل العشاق الفرح، وسيوصف النهار مثلاً بأنه نهار الضوء، بلا زيادة ولا نقصان.

في كثير من الأحيان، خاصة في بلادنا العربية تبدو الأوطان جافية بالنسبة لمبدعيها، تبدو الأحضان ضيقة، والتزييف الكتابي بلا ثمن ولا احتفاء، لكن ذلك لا يوقف الإبداع في أي مرحلة من مراحله، ولا يكون الوطن لا وطنًا، حتى بالنسبة للذين هاجروا أو اغتربوا عن بلادهم.

فحين يرسم هؤلاء يرسمون باستدعاء الذكريات،

وحين يكتبون قصيدة أو نصًا روائيًا يكتبونه من إيحاء زمن عاشوه في بلادهم، أو متغيرات سمعوا بها، وأجادوا الاحتفاظ بها في الذاكرة، خلافًا للمتغيرات اليومية التي تحيط بحياتهم الجديدة في المهاجر.

وخير مثال لذلك أن روائيًا معروفًا مثل الأفغاني خالد حسيني -الذي هاجر صغيرًا إلى أميركا ويكتب بلغة وطنه الجديد- لم يخرج في نصوصه عن وطنه الأصلي قط، وكذلك كتاب من الجزائر والمغرب وتونس ومصر وسوريا عاشوا سنوات طويلة في الخارج، وتعيش أعمالهم الإبداعية في وسط الطرق الوعرة لبلدانهم، وحين نقرأ نصًا للألماني السوري رفيق شامي نقرأ نصًا سوريًا خالصًا، تتسكع فيه الشخصيات في الشام بكل خصوصياته.

في زيارة لي لبلدي ذات صيف، جلست مع شاعر كان معلمًا في المدارس الابتدائية فيما مضى، والآن بلا وظيفة في بلد لا يحيا فيه الإنسان مسترخيًا حتى لو كان يملك وظيفة، كان بلا مال ولا بيت يستقر فيه ولا هندام يميزه، لكنه كان شاعرًا حقيقيًا، تمامًا مثل موراكامي يفارق الشهرة والوطن.

حتى حديثه المر، كان حديثًا وثبًا عن وطن لا يضمر له شرًا برغم كل شيء، وبرغم أن عشرات من الشعراء جاؤوا بعده واكتسبوا حظوظًا أكثر من حظه، كل قصائده -بحلوها ومرها، وهجائها ومدحها- كانت قصائد للوطن ومن الوطن.

وأذكر أن ناقدًا معروفًا في السودان ذكر مرة في حوار -حين سئل عن كتّاب بلاده المهاجرين في المنافي وعن رأيه في كتاباتهم -أن هؤلاء لا ينتمون للوطن في شيء، ما داموا قد اتبعوا خيار الهجرة، وأن عليهم أن يكتبوا عن أوطانهم الجديدة لأنها تمثلهم أكثر.

على الذي يوجد في هولندا -حسب رأيه- أن يكتب عن أجواء هولندا، والذي في أميركا أن يكتب عن مجتمع أميركا، والذي يعيش في الخليج أن يكتب عما يعيشه هناك.

هذا الناقد بلا شك -إن كان يقصد أو لا يقصد- يحاول أن ينزع ثياب الوطن بسهولة عن مفردات ارتدتها منذ الصغر ولا يمكن انتزاعها أبدًا، ولعله يغير تلك النظرة حين يقرأ لجمال محجوب الذي يعيش خارجًا منذ زمن طويل، وكتب عن الوطن منتبهًا لفوران حليب أرضه الذي رضعه طفلاً، وكذا الزميلة ليلى أبو العلا، وهي حتى في كتابتها لروايات تدور أحداثها في الغرب، إلا أنها روايات سودانية بامتياز.

إذن الأوطان ملح الكتابة، الأوطان التي نعيش فيها حتى نشيخ وربما تضيعنا بجفائها، والأوطان التي نهاجر منها لسبب أو لآخر ونعود إليها أجسادًا بين الحين والحين، لكن تظل هي الأصل في كتابتنا، في رسوماتنا، في نحتنا، في تطلعاتنا، الشيء الحقيقي الذي لن يميز موراكامي وحده، ولكن يميز كل من خطا في سكة الإبداع في أي زمان ومكان.


هاروكي موراكامي

﴿ في كثير من الأحيان، خاصة في بلادنا العربية تبدو الأوطان جافية بالنسبة لمبدعيها، تبدو الأحضان ضيقة والنزيف الكتابي بلا ثمن ولا احتفاء، لكن ذلك لا يوقف الإبداع في أي مرحلة من مراحله ﴾

﴿ الأوطان في رأيي الشخصي من يهب الإبداع أولا وأخيرًا، وكل من يكتب أو يرسم أو يصنع شريطًا سينمائيًا عن الوطن سيغدو حقيقيًا وصادقًا ﴾



نهضة التعليم



د. وليد فتيحي

﴿وشاء الخالق أن تكون المعجزة همسة في الغار، لم يسمعها الله إلا لنبي آخر الزمان. إنها أول أمر.. أول فرض نزل به القرآن، فأصبحت شعار أمة.. (أمة اقرأ).. إنها ثورة العلم على الجهل.. أمة أدركت أن الأخذ بالعلم من أسمى صور العبادة للرحمن.. أمة أخرجت بالعلم العلماء، فتحقق بهم أسرع وأغرب طفرة حضارية في تاريخ الإنسان. إنها البداية.. إنها النهاية، وكل ما بين البداية والنهاية يذكرنا بأول كلمة نزل بها القرآن.﴾

يقول المفكر الجليل مالك بن نبي في كتابه (شروط النهضة) «إن الحضارة إنسان وتراب وزمن. وبذلك فإنه عند نقطة الانطلاق ليس أمامنا سوى هذه العوامل الثلاثة وفيها ينحصر رأس مال الأمة الاجتماعي. وكل ما عدا ذلك من مبان وصناعات، يعد من المكتسبات لا من العناصر الأولية».

إن المحور الأساسي للعوامل الثلاثة هو الإنسان. وبه تعرف الحضارة بأنها جملة العوامل المعنوية والمادية التي تتيح لمجتمع ما أن يوفر لكل عضو فيه جميع الضمانات الاجتماعية اللازمة لتطوره.

والمجتمعات إما أن يغلب عليها روح عالم الأشياء أو يغلب عليها روح عالم الأشخاص والأفكار. فإن غلب عليها روح عالم الأشياء، فإنك تجد الاستثمار في الحجر أكثر من الاستثمار في البشر. وإن غلب عليها روح عالم الأفكار، فإنك تجد الاستثمار في البشر أكثر من الاستثمار في الحجر.

وقد أدركت المجتمعات بالدراسات والأبحاث أن أفضل استثمار يكون في المراحل الأولى من حياة الإنسان. أي مرحلة الدراسة، خاصة في المجتمعات التي يشكل الشباب فيها الأغلبية.

وقد أكدت الدراسات التي منها دراسة كل من McCartney في عام 2009 وكذلك دراسة Lawrence J. Schweinhart في عام 1993م أن كل دولار يستثمر في مراحل التعليم الأولية يدر عائدًا على الاستثمار يصل إلى 17 دولارًا أي سبعة عشر ضعفًا.

تؤكد الدراسات أن أهم عامل في نجاح منظومة التعليم في المدارس هو المعلم، وأن المعلم المتمكن الفعال يؤثر على تحصيل الطالب بمقدار 3 إلى 4 أضعاف معلم آخر ضعيف غير فعال. وأن التأثير التراكمي على مدى ثلاثة أعوام يعادل تحصيل 37% مع المعلم غير الفعال، مقارنة بـ 90% مع المعلم الفعال المتمكن.

وفي فيلم وثائقي بعنوان (في انتظار سوبرمان) (Waiting for Superman) أنتج عام 2010م بين أن نفس الطالب بين يدي معلم فعال متمكن يستطيع أن يحصل على ثلاثة أضعاف العلم مقارنة بالمعلم غير الفعال الضعيف. أي أن تحصيل عام واحد مع معلم فعال أفضل من تحصيل ثلاثة أعوام مع معلم غير فعال.

وبذلك أصبح التحدي الحقيقي الذي يواجه النظام التعليمي أو منظومة التعليم هو كيفية رفع مستوى الملايين من المدرسين. أو: هل هناك طريقة نستطيع بها أن نحرر التعليم لنجعل الطالب يمتلك مفاتيح المعرفة في أي مكان وأي وقت يريد؟ وأن تكون المعلومة متاحة للكل بأفضل طرق إيصالها وشرحها؟ وأن نحمي الطالب من أن يصبح رهينة وضحية معلم غير فعال؟

من أوائل من تنبه إلى هذا الاحتياج ولبى نداء الحاجة شاب أمريكي من أصل هندي اسمه سلمان خان عرف بتفوقه وحصل على درجة الكمال في امتحان السات SAT ويحمل ثلاث درجات من معهد ماساتشوستس MIT (Massachusetts Institute of Technology) وماجيستير في الهندسة وعلوم الحاسب الآلي، وكذلك ماجستير من كلية هارفارد للأعمال.

بدأت القصة في أواخر عام 2004م حيث بدأ في تدريس مادة الرياضيات لأقارب له عبر الإنترنت وعندما زاد طلب الأقرباء والأصدقاء للمساعدة، قرر توزيع الدروس على موقع يوتيوب وأنشأ عام 2006م حسابًا على اليوتيوب، وبسبب شعبية الفيديوهات المعروضة وشهادات التقدير التي تلقاها من الطلاب، قرر سلمان ترك عمله كمحلل مالي في صناديق الاستثمار في أواخر 2009م وتفرغ لتطوير قناة أكاديمية خان على اليوتيوب بدوام كامل.

واليوم تعد أكاديمية خان التعليمية أشهر نموذج عالمي في هذا المجال، فتقوم بتوفير التعليم عالي الجودة لأي شخص في أي مكان في العالم. وقد حققت أكثر من 42 مليون زائر. ويوفر موقعها على الإنترنت أكثر من ثلاثة آلاف وستمئة محاضرة صغيرة بمعدل عشر دقائق للحلقة عبر فيديوهات مخزنة على اليوتيوب لتدريس مواد مثل الرياضيات والفيزياء والكيمياء والأحياء والتاريخ والفلك والاقتصاد، إضافة إلى أكثر من 123 وحدة تدريبات آلية مع تقييم مستمر.

وقد ابتعد خان عن أسلوب المدرس الذي يشرح الدرس على السبورة بتقديم المحتوى بطريقة توحي بالجلوس بجانب الطالب والعمل معه على حل المشكلة، فلا يرى الطالب وجه المدرس إنما يرى كتابته ورسوماته البيانية على السبورة الإلكترونية والفيديوهات التعليمية. حيث بينت الدراسات والمشاهدات أن هذه الطريقة هي أكثر الطرق فعالية للتعليم، وبذلك يستطيع الطالب إعادة تشغيل الفيديو حتى يستوعب الموضوع بلا خجل. وأحدث خان تحولاً وثورة حقيقية في العملية التعليمية حول العالم.

أحدث خان هذا التحول لأنه انتقل من التعليم التقليدي



التقني إلى التعليم التفاعلي النشط والذي بينت الدراسات أنه يزيد من استيعاب الطلاب للمادة بنسبة تعدى خمسين بالمئة. نظرًا لقدرته على تفعيل أجزاء الدماغ المسؤولة عن الفهم والحفظ بطريقة أكثر فعالية. وذلك لانسجامه مع الطريقة الطبيعية الفسيولوجية لانتقال المعلومات في أجزاء الدماغ في عملية التعلم.

ويتطلع خان لأن يجعل من أكاديميته المدرسة الافتراضية الأولى المجانية في العالم، حيث يتاح لأي إنسان أن يتعلم ما يريد بالمجان. وقد استحق خان بذلك أن تصنفه مجلة (التايم) كواحد من مئة شخصية عالمية أثرت بفعالية في حياتنا المعاصرة.

نموذج آخر حذا حذو أكاديمية خان فأنشئ عام 2009م موقع إلكتروني من قبل ريتشارد لادلو Richard Ludlow وأطلق عليه اسم أكاديمية الأرض (Earth Academy) والذي يقدم فيديوهات محاضرات مجانية عبر الإنترنت على أيدي نخبة من الأساتذة من جامعات مرموقة مثل:

هارفارد وإم آي تي وبرينستون وميتشجان وستانفورد وكاليفورنيا وباركلي وييل

Harvard.MIT.Princeton University .University of Michigan .Stanford University .University of California .University of California.Berkeley .Yale University

وفي عام 2011م بدأت تركيا بتطبيق أكبر مشروع استثماري في التربية والتعليم في تاريخها بقيمة 7 مليارات. وأطلق عليه اسم مشروع (الفاتح) تيمنًا بالقائد العظيم محمد الفاتح. ليتم توزيع القارئ الإلكتروني (آي باد) مجانًا مشمولاً ببرنامج الفاتح على 15 مليون طالب ومليون مدرس وتركيب ألواح ذكية بدلاً من الألواح السوداء في 570000 صف دراسي و42000 مدرسة.

ونقل التعليم في تركيا إلى عصر التقنية. لتصبح الكتب الدراسية كلها مضمنة في جهاز الآي باد بالفيديوهات التوضيحية والصور والخرائط والرسوم البيانية. وبذلك يأتي الطالب إلى المدرسة ومعه الآي باد فقط. لا عشرات الكتب التي ترهق كاهله. وتؤدي لأضرار جسدية في الظهر والعمود الفقري خاصة في المراحل الأولى كما تبين الدراسات.

أما في عالمنا العربي فقد تم إنشاء أكاديمية التحرير في عام 2012م بعد ثورة 25 يناير بمصر بمجهودات شبابية على غرار أكاديمية خان من خلال جهود الشاب المصري وائل غنيم وشعارها (ثورتنا على المعرفة التقليدية) وتهدف إلى تحرير المعرفة من شكلها التقليدي عن طريق فيديوهات مبتكرة وجذابة ومنهج مجاني على اليوتيوب. مما يساعد على إتاحة العلوم للجميع في أي وقت ومكان وأي جهاز ورفع فعالية التعليم. وهي تعتمد على الأنظمة المفتوحة التي تزدهر بإسهامات جميع المشاركين وتسعى لأن تصبح النسخة العربية من أكاديمية خان العالمية في جميع التخصصات.

نعود للمعلم والذي يعد من أهم عوامل إنجاح المنظومة التعليمية.. ما هو تأثير تطبيق هذه البرامج التعليمية عليه؟ وما هو دوره؟ إنه من الصعب أن نرتقي بملايين المعلمين في بضع سنين إلى المستوى الذي نأمله.

وبما أن هناك مجموعة من المعلمين المتميزين المبدعين ذوي الملكات الخاصة والقدرات الفائقة في التدريس بأسلوبهم الشيق الذي يأسر الطلاب ويوصل المعلومة لهم بكل سلاسة ويسر. وبما أنهم ندرة. فإذا تم تفعيل هذه الندرة المبدعة في تدريس هذه المواد بأحدث الطرق التقنية والوسائل التوضيحية المتقدمة والفيديوهات وتم تغطية كافة المواد من الابتدائي إلى الثانوي وضمنت في جهاز آي باد. فليس الطالب وحده هو الذي سيستفيد وتزداد فعاليته وتحصيله الدراسي. وإنما الأساتذة أيضًا سيتعلمون..

سيتعلم الأساتذة من الشرح النموذجي. ليصبح هذا الشرح المسجل هو المثال والقدوة لملايين المعلمين. وهذا أكثر فعالية وتأثيرًا من أي دورات تدريبية تقليدية. ويصبح المعلم حريصًا على أن يتنافس في الأداء مع الشرح النموذجي الذي بين أيدي الطلاب. ويصبح الطالب حارسًا على جودة التعليم فلا يقبل بأقل مما يرى. ونقدم كذلك لأولياء الأمور خيار المساهمة والمشاركة في المراجعة والشرح بكل يسر وسهولة دون اللجوء إلى الدروس الخصوصية في المنزل. فالمنهج متاح بين أيديهم في أجمل صوره وأكثرها فعالية بالصوت والصورة.

بل سيصبح المعلم أكثر فعالية. حيث إن الطلبة سيأتون وقد استمعوا إلى الدرس. ويصبح دور المعلم ليس إعطاء المعلومة وإنما تعليم أمور أخرى لا تقل أهمية. وهي الحث والتحفيز والتشجيع على المشاركة والمناقشة والحوار وممارسة التطبيقات العملية على المادة والدعم المعنوي والمادي.

بل ومحاولة إيجاد طرق لتجسيد وتحريك وتفعيل المفاهيم والأفكار الجديدة التي كونتها المعلومة في عقل الطالب. أي تحويل الأفكار من النظرية التجريدية إلى تطبيقات عملية محسوسة وملموسة. وهي بمثابة الاختبار والفحص والامتحان العملي النشط للنظريات والأفكار التجريدية. وبذلك تكون قد اكتملت وتحققت دائرة التعلم في دماغ المتعلم من استقبال المعلومة إلى التفكر فيها لتكوين المعرفة وأفكار جديدة إلى تفعيل هذه المفاهيم والأفكار في الدماغ إلى أنشطة عملية حركية.

هناك دراسات عديدة تؤكد أهمية تقييم المعلم ومكافأته بسخاء لا على سنوات خبرته وشهاداته وإنما على التحصيل الدراسي وأداء طلبته في الاختبارات الموحدة على مستوى الدولة. وبذلك نكافئ المعلم الفعال المتمكن الذي يحمل اهتمامًا حقيقيًا بنجاح طلبته. وينجح في إيقاظ شعلة حب المادة في قلوبهم ويرفع من حماسهم للعلم والتحصيل.



إن الطريقة التقليدية للتعليم التي تعتمد على أحادية المنهج وتنتج نسخًا متشابهة من الأشخاص ذوي الأهداف والرؤية النمطية. أصبحت غير مقبولة لهذا الجيل. فهي لا تفتح المجال للاختلاف والإبداع والتعددية في الأهداف والتوجهات للمتعلمين. ولا تضع بالاعتبار اختلاف القدرات والمهارات والاحتياجات من شخص لآخر.

إننا في أمس الحاجة في عالمنا العربي لثورة في التعليم. وليس علينا أن نبدأ من الصفر. بل نبدأ من حيث انتهى الآخرون. خاصة وأن الدراسات والشواهد والنتائج كلها تؤكد نجاح هذه المشاريع التعليمية الرائدة للنهوض بالمنظومة التعليمية طلاباً ومعلمين.

ولن يكون هناك ما يعود على المجتمع بعائد استثماري أعلى من الاستثمار في التعليم الأولي. ففي هذه السنوات يتم تشكيل دماغ الإنسان وتكوين الشبكات العصبية التي بها يستطيع أن يفكر ويحلل ويخطط للمستقبل.

وكل عام يمر على الطالب بين يدي معلم ضعيف غير فعال هو إهدار لعقل الإنسان. إن هذا النوع من الاستثمار إن لم يوضع في تلك السنوات الأولى.. سنوات التشكيل.. تشكيل عقل الإنسان.. عقل الطالب المدرسي.. طالب اليوم.. رجل وامرأة الغد. فلن تجدي عشرات الأضعاف من الاستثمارات لاحقًا لتعويض ما ضاع في السنوات الأولى عندما كان الدماغ أكثر تأهيلاً وتهيئة للتشكيل والتغيير والتطور المذهل لو أنه أحسن رعايته والاستثمار فيه.

فمتى سنرى في عالمنا العربي ثورات تعليمية كتلك التي يشهدها العالم من حولنا؟

ومتى سندرك أن رأس المال الحقيقي الذي نملكه هو الإنسان الذي يصقل اليوم وبشكل بطرق أقل ما يمكن أن نصفها بأنها متأخرة ومتخلفة عن كثير من شعوب أخرى قد لا تملك ما نملك من ثروات ومقدرات طبيعية واستثمارات واحتياطات مالية.

لمشاهدة ومحياي (نهضة التعليم)
اضغط هنا
أو
اضغط هنا

فن إخماد الأفكار



محمد بن عبدالله الفريح

كاتب ومفكر

@malfriah

﴿عقل الإنسان يتعرض يوميًا ما بين خمسين إلى ستين ألف فكرة، تزداد مع بعض الأشخاص لتصل مايقارب مئة ألف فكرة، وتقل عن البعض لتصل إلى أقل من ذلك بكثير﴾

ترددت كثيرًا قبل كتابة هذه السطور خوفًا من أن يتبادر إلى ظنك أنني أقصد أن تقوم بإيقاف دماغك وعقلك عن التفكير، ولكن القصد عكس ذلك تمامًا. تشير الإحصاءات الحديثة إلى عقل الإنسان يتعرض يوميًا ما بين خمسين إلى ستين ألف فكرة، تزداد مع بعض الأشخاص لتصل ما يقارب مئة ألف فكرة وتقل عن البعض لتصل إلى أقل من ذلك بكثير، من يلاحظ نمط الحياة اليوم سوف يلفت انتباهه بشدة حجم التسارع في حياتنا، مما أدى بالمقابل لتسارع الأفكار ودخولها إلى أدمغتنا بكسل قسري تبعًا لذلك، وتأثيرها الشديد على أدمغتنا،مما أصاب الكثير منا بالتشتت والنسيان وفقد ان التركيز تمامًا عن كثير من أعماله ومهامه اليومية.

إذن ما الحل؟

الحل هو إخماد هذا السيل الجارف من الأفكار بطرق يصفها العلم اليوم لنا أنها أصبحت من الضروريات الملحة لإعادة التوازن والتركيز لحياتنا، ولعل من أهم ما يمكن عرضه هنا للمساعدة بهذا الخصوص ممارسة رياضة التأمل، والخلوة مع النفس والهدوء والسكينة، والتنفس العميق، ولو لأوقات قليلة يوميًا،يساعد بشكل جيد على إطفاء وطرد هذه الأفكار بشكل منهجي، وعندما شرعت بكتابة هذه السطور ورد على ذهني قول أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها في الحديث الذي يرويه الإمامان البخاري ومسلم (عن عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها، أنها قالت: أول ما بدئ به رسول الله صلى الله عليه وسلم من الوحي الرؤيا الصالحة في النوم، فكان لا يرى رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح، ثم حبب إليه الخلاء، وكان يخلو بغار حراء، فيتحنث فيه، وهو التعبد الليالي ذوات العدد قبل أن ينزع إلى أهله، ويتزود لذلك)

أخرجه البخاري في صحيحه (رقم3)، ومسلم في صحيحه (رقم160).

وتعجبت من هذا الأمر الذي أمر الله عز وجل به الأنبياء والمرسلين، لابد أن له سحرًا وتأثيرًا عجيبًا في أداء مهامهم الموكلة إليهم، وأي مهام؟ حيث تبدأ مع ممارسة هذه العادة وغيرها من عادات التأمل والسكينة حركة الأفكار بالبطء، وتخف سرعتها وينخفض صوتها وضجيجها من أدمغتنا، كما وتمنح الشخص سلامًا داخليًا عالي القيمة والتأثير على حياته اليومية، ومن ثم يبدأ في الدخول في دائرة الاستنارة، التي تخوله أداء رسالته على أكمل وجه بإذن الله، وبما أن ظروفنا اليوم تغيرت بشكل جذري، فيمكن أن يمارس الشخص عددًا من العادات أيضًا التي سوف تساعده دون شك على خفض وتيرة هذه الأفكار إلى أقصى حد ممكن ومنها:

قيام الليل

جلوس التشريق وهي: الجلوس من بعد صلاة الفجر لحين شروق الشمس

ممارسة رياضة اليوغا (رياضة هندية قديمة)

ممارسة رياضة تاي تشي (هي إحدى الرياضات الروحية التي تطورت عن الفنون القتالية القديمة في آسيا).

وغيرها من الممارسات التي تناسب ظروف وطبيعة كل شخص.

معلومة:

المخ البشري تمر عليه يوميًا آلاف الأفكار ..

لذلك من الصعب سماع صوت القلب ..

وأحد الحلول ممارسة التأمل

خاطرة:

في عمق الصمت تجد جميع الأجوبة هناك.

الحكيم الصيني أوشو

إقرأ المزيد حول الموضوع

https://www.facebook.com/note.php?note_id=190366137641280

المراجع:

- ترجمة كتاب قوة الآن "The Power Of Now" "إيكهارت تول"

- ترجمة كتاب صوت السكينة silence speaks إيكهارت تول"

رياح الوداع



شعر

الدكتور / حسن كمال محمد محمد

وَدَّعْتُ طِيبَ الْعَيْشِ حِينَ أُوَدِّعُكْ   جِسْمِي مَعِي وَيَظَلُّ قَلْبِي يَتْبَعُكْ
هَبَّتْ رِيَاحُ الْوَدَاعِ وَلَا تَنِي   فِي شِقْوَتِي وَيُقَضُّ مِنْهَا مَضْجَعُكْ
وَتَجَمَّدَتْ أَوْصَالُنَا مِنْ فُرْقَةٍ   أَيَغِيبُ عُرْسٌ لِلْغَرَامِ يُمَتِّعُكْ؟
فَهُوَ الْمُنَى أَقْتَاتُهُ مُتَبَتِّلاً   نِعَمَ الْهَوَى مَا يَخْلُو فِيهِ تَضَرُّعُكْ
أَنَّى اتَّجَهْتِ فَنَاظِرٌ وَمُوَكَّلٌ   بِسَبِيلِ لُقْيَاكِ وَعَوْدٍ يَدْفَعُكْ
وَصَدَى حَدِيثِكِ مَاثِلٌ لَكِنَّنِي   مُتَشَوِّقٌ مِنْ بَعْدِ نَأْيٍ أَسْمَعُكْ
وَتَرِينَ فِي شَتَّى الْبِقَاعِ مُرَدِّدًا   فِي لَهْفَةٍ: وَاللهِ إِنِّي مُوجَعُكْ
وَقْعُ الْفِرَاقِ مُرَدَّدٌ فِي مَسْمَعِي   أَتُرَاهُ يُقْرَعُ فِي شَكَاةِ مَسْمَعُكْ؟
مَوَّارَةٌ لَفَحَاتُهُ وَارٍ وَجِيـ   ـعُ عَذَابِهِ فَلْتَحْذَرِي مَا يَصْرَعُكْ
وَأَنِينُ بُعْدٍ مُعْوِلٌ لَا يَنْتَقِي: أَيَجِيءُ يَوْمًا مَرْجِعِي أَوْ مَرْجِعُكْ؟
يَا لِي مِنَ النَّظَرَاتِ آخِرَ مُلْتَقَى   يَتَرَاءَى فِيهَا مَصْرَعِي أَوْ مَصْرَعُكْ
وَتَوَارَتِ الْأَلْفَاظُ خَجْلَى فِي فَمِي   وَالنَّارُ مِنْ أَلَمِ التَّنَائِي تَلْسَعُكْ
وَتَلَعْثَمَتْ كَلِمَاتُنَا فَكَأَنَّهَا   شَوْكُ الْقَتَادِ يُمِيتُنِي وَيُرَوِّعُكْ
فَيَغِيبُ مَا أَلْقَاهُ يَعْقِدُ مَأْتَمًا   لِلْحُبِّ لَمَّا قِيلَ: إِنِّي مُوَدِّعُكْ
وَحَيَاتُنَا تَجْرِي بِعَكْسِ عَقَارِبِ السْـ   ـسَاعَاتِ حَتَّى إِنَّهَا قَدْ تَصْرَعُكْ
وَتَرَدَّدَتْ أَصْدَاءُ حِرْمَانٍ هُنَا   وَهُنَاكَ شَجْوٌ مُعْلِنٌ: سَأُرْجِعُكْ
وَالنَّفْسُ قَدْ ذَهَبَتْ شَعَاعًا حَسْرَةً   إِذْ غَابَ عَنْهَا مُذْ زَمَانٍ مَطْلَعُكْ
كَمْ تَاقَتِ الدُّنْيَا لِشَهْدِ وِصَالِنَا   فَالْحُبُّ مَهْمَا قِيلَ عَنْهُ مَنْبَعُكْ

الهوية اللغوية:
المفهوم والملامح



د. وليد السراقبي

كلية الآداب الثانية – حماة – سوريا

﴿ ولغتنا العربية الفصيحة إلى جانب كونها أداة تفكير ووسيلة تعبير، وأداة تواصل هي جامعة شملنا، وأساس قوميتنا، والرابطة التي تجمع بين أبناء أمتنا ..... وذاكرة الأمة ومستودع تراثها، وجسرها للعبور من الماضي إلى الحاضر، أو من الحاضر إلى المستقبل، وهي قلعتنا الحصينة للذود عن هوّيتنا وذاتيتنا الثقافية، ووحدتنا القومية ﴾

يقصد بالهوية التعبير عن الوجود الإنساني لفريق من الناس في أرض معينة، وهذا التعبير يحمل السمات التفصيلية لهذه الـ(هو) الفردية والجماعية في ائتلافها واختلافها، ولكنها في النتيجة تصدر عن تراث واحد ينتمي إليها في شتى شؤون الحياة،[1] ومفهوم الهويّة وثيق الصلة دائمًا بأصل الشخص وجذوره، وبالوشائج التي تربطه بالآخرين.

فكل من علم اللغة الاجتماعي، وعلم اللغة النفسي، وعلم الإنسان الاجتماعي واللغوي يشير إلى مركزية الارتباط الحاصل بين اللغة والهوية[2]. فقد غدت بصمة الصوت جزءًا أساسيًّا في الكشف عن الجرائم، ما يدفع إلى تأكيد أنه لا شيء أشد مماثلة لمشاعرنا من إيقاعات أصواتنا... وأن العقل متأصل في المحتوى العضوي للغة مع دخول العاطفة في الصوت حتى النخاع[3].

واللغة الأم هويّة حاملها من جهة، وهويّة المجتمع الصغير والكبير الذي ينتسب إليه، وأهم مميزاته الثقافية المنبئة عن هويتها .. وتتكون هويته الشخصية والاجتماعية والثقافية من خلال الانتماء والارتباط بالآخرين عبر سيرورة دينامية مستمرة. وأداتها في ذلك مختلف العناصر الثقافية والحضارية، معارفَ ومعتقدات وأخلاقًا وأعرافًا وعادات، التي يكتسبها الطفل من خلال التنشئة الاجتماعية التي تؤدي دور الناقل في الوقت نفسه، فهي معين ثقافته وأداة تفكيره[4]. فاللغة تحتم على ناطقيها رؤية معينة للواقع، وتصورًا له، وطريقة تنظيم الثقافة الناطقة بتلك اللغة، حتى أطلق على هذه الرؤية مصطلح (الحتمية اللغوية).

تتأتى أهمية اللغة من جوانب عدة منها:

1 - أن اللغة أداة تعبير وإفصاح، ووسيلة تفكير، ومصدر أنس اجتماعي إنساني بين الناطقين بها، ولا غرابة في ذلك، فهم يولدون حاملين نظامًا لغويًّا يتهدّون بقواعده، ويستوعبون معطيات المجتمع الذي فتحوا أعينهم بين ظهرانيه، وقديمًا نظر سقراط إلى أحد تلاميذه الصامتين وخاطبه بقوله: تكلّم حدّثني حتى أراك. فهذه المقولة تدلّ على أن اللغة هي مقوّم الوجود الحقيقة للإنسان، فليس له وجود بغير اللغة، وهي عبارة تحمل في طيّاتها الإشارة إلى أهمية اللغة في التواصل الإنساني، وإلى الوجود الاجتماعي أيضًا.

2 - أن اللغة أهم مقوّم من مقوّمات التراكم الحضاري والمعرفي لأي مجتمع إنساني، إنها خزان أشكال ثقافية من التمثل، وهذه القيمة الأخيرة هي وحدها القيمة التي تمتلك سندًا شرعيًّا، وهذا مرجعه إلى أن اللغة المحلية تحمل الهوية الأصيلة لمتحدثيها.

3 - أنّ اللغة هي السياجُ الأهمُّ الذي يوحّد الأمّة الناطقة بها، ويعمل على حماية المجتمع من عوامل الانحلال والذّوبان، لأنها (مستودع لكل ما للشعب من ذخائر الفكر والتقاليد والفلسفة والدين ... إن روح الشعب يكمن في لغته الآباء والأجداد[5].

ولغتنا العربية الفصيحة إلى جانب كونها أداة تفكير ووسيلة تعبير، وأداة تواصل هي جامعة شملنا، وأساس قوميتنا، والرابطة التي تجمع بين أبناء أمتنا ..... وذاكرة الأمة ومستودع تراثها، وجسرها للعبور من الماضي إلى الحاضر، أو من الحاضر إلى المستقبل، وهي قلعتنا الحصينة للذود عن هوّيتنا وذاتيتنا الثقافية، ووحدتنا القومية .... أسهمت في مسيرة الحضارة البشرية أيّما إسهام، فكانت لغة العلم والثقافة ..... وإنّ إهمالنا لها اجتثاث لشخصيتها من مسارها التاريخي، ومن ثقافة مجتمعنا، فتغدو هذه الشخصية دون هويّة، ويضيع طابعها، وتُمحى ملامحها ...»[6].

وللغتنا العربية من المقوّمات والخصائص ما لا نجده عند غيرها من اللغات التي نحترمها جميعًا، ولعلّ من أهم هذه المزايا:

1 - البعد الديني للعربية، فهي لغة القرآن الكريم الذي حملها عبر أربعة عشر قرنًا من الزمان، ووقف بها سدًّا منيعًا أمام كل الحملات الشعوبية التي عصفت بمنطقتنا العربية بدءًا من التعجيم فالتتريك فالفرنسة.

2 - الوضوح والسهولة.

3 - الحيوية والمرونة والتطوّر والطواعيّة.

4 - غنى في الألفاظ والتراكيب.

5 - التنظيم: فهي لغة جامعة مانعة، غانية بنفسها، لا تحتاج إلى قواعد من اللغات الأخرى أو ترفض أي عنصر استغنت عنه عبر تاريخها الطويل، فمنذ أن فرّع الكلام إلى أقسامه الأساسية لم يضف إلى التقسيمات شيء

جديد لم يكن في اللغة نفسها (إنها ذات نظام كلي ذي أنظمة متفرعة عنه، فهناك نظام صوتي وآخر مقطعي، وآخر تنغيمي، ونظام صرفي ونحوي ....)

7 - الإيجاز والاقتصاد: ومن مظاهره تعدد المعاني لمبنى صرفي واحد فصيغة مثل صيغة (استفعل) في العربية يكون لها دلالات متعددة بتعدد السياقات الواردة فيها، فهي تدل على الصيرورة في قولنا: استحجر الطين، أي صار حجرًا، وتدل على الاعتقاد في قولنا: استصغر الرجل المصيبة، أي وجدها وظنها صغيرة، وتدل على الطلب في قولنا: استعلم .... ومن مظاهره أيضًا تعدد المعنى السياقي للفظ الواحد فالفعل (ضرب) يكون متعدد المعاني بتعدد السياقات، فمعناه في قولنا: ضربت مثلاً غير معناه في قولنا: ضربت الولد، وغيّر معناه في قولنا: ضرب النقود، و غير معناه في قولنا: ضرب في الأرض، وغير معناه في قولنا ضرب قبّة......

فكم هي المصطلحات التي جدت بفعل التطور العلمي والمجتمعي، فقابل ذلك مصطلحات كثيرة جديدة بسبب طواعية البناية الصرفية لمفردات اللغة العربية، فقيل: التصحرُ، والتأقلُم، والعَوْلَمة، والعَوْربة، والحَوْسبة، واللبننة....

لقد أبان المستشرق الأمريكي وليم ورل[7] ، مدير مدرسة المباحث الشرقية عما تمتاز به العربية من لين ومرونة وقدرة على النماء والتطوّر والتكيّف وفق متطلبات العصر فقال «إنّ للغة العربية من اللين و المرونة ما يمكنانها من التكيّف وفق مقتضيات العصر، وهي لم تتقهقر فيما مضى أمام أي لغة أخرى من اللغات التي احتلّت بها، وهي ستحافظ على كيانها في المستقبل كما حافظت عليه في الماضي».

وأقرَّ المستشرق الأمريكي أيضًا رتشارد كوتهيل[8] بالهوّة بين بعض الغربيين و بين تقدير اللغة العربية حق التقدير فيقول: «قلّ منا نحن الغربيين من يقدّر اللغة العربية حقّ قدرها من حيث أهميتها وغناها ، فهي بفضل تاريخ الأقوام التي نطقت بها وبداعي انتشارها في أقاليم كثيرة، واحتكاكها بمدنيات مختلفة، قد نمت إلى أنّ أصبحت لغة مدنية بأسرها بعد أن كانت لغة قبليّة. لقد كان للعربية ماضٍ مجيد، وفي تقديري سيكون لها مستقبل باهر»[9].

وبيَّن برنارد لويس المستشرق الأمريكي مكانة اللغة العربية وعلاقتها بالفكر، فأثنى عليها من جانب، وخانته الموضوعية فغمز من قناة لغتنا من جانب آخر، فقال: «لكن اللغة العربية ناقل فكر دقيق، صحيح أنها غنية بالشر[10] والفصاحة والآداب، ويمكن لمن يمارسونها ألا يقولوا ما يقصدونه بالضبط، أو يقصدون بالضبط ما يقولونه، لكن ذلك لا يعد واحدًا فقط من مظاهر العربية فهي أيضًا لغة تتصف بوضوح ودقة عاليين، وهي أداة تواصل علمية وفلسفية، وكانت اللغة اليونانية النظير الوحيد لها حتى العصور الحديثة»[11].

الهوامش

1 - سالم معوش، أزمة الهوية والوجود، بحوث الدائرة المستديرة، ليبيا، 2008، ص11.

2 -جوزيف، جون: اللغة والهوية، عالم المعرفة، الكويت، العدد 242 ، لسنة 2007، ص31و32.

3 -المرجع السابق، ص43.

4 - السيد، د. محمود: لغتنا الأم العربية الفصيحة، مجلة مجمع اللغة العربية، مجلد 84 ، ج1 ، ص 13 .

5 - اللغة بين القوميّة والعالميّة: د. إبراهيم أنيس، القاهرة، 1970، ص 100.

6 - السيّد، د. محمود: لغتنا الأم العربية الفصيحة ، مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق، مجلد 84/ 1/13 - 14 .

7 - فتاوى كبار الكتاب والأدباء، الكتاب الشهري، 4، وزارة الثقافة ، دمشق، ط2، 2003م، ص15.

8 -المرجع السابق نفسه، ص8.

9 - المرجع السابق نفسه، ص8.

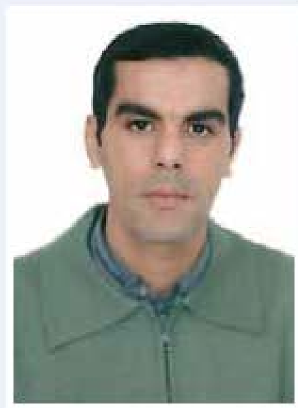
10 - لعله يقصد ما في اللغة العربية من استخدام أساليب التعمية والتورية والكناية ، وما إلى ذلك.

11 - لويس، برنارد: الإسلام والغرب، ترجمة د. فؤاد عبد المطلب، ط. اتحاد الكتاب العرب، دمشق،2007م،ص 106.

« اللغة أهم مقوّم من مقوّمات التراكم الحضاري والمعرفي لأي مجتمع إنساني. إنها خزان أشكال ثقافية من التمثل. وهذه القيمة الأخيرة هي وحدها القيمة التي تمتلك سندًا شرعيًّا. وهذا مرجعه إلى أن اللغة المحلية تحمل الهوية الأصيلة لمتحدثيها »

« اللغة هي السياجُ الأهمُّ الذي يوحّد الأمّة الناطقة بها، ويعمل على حماية المجتمع من عوامل الانحلال والذّوبان، لأنها (مستودع لكل ما للشعب من ذخائر الفكر والتقاليد والفلسفة والدين ... إن روح الشعب يكمن في لغته الآباء والأجداد »

البحث العلمي في الوطن العربي (رؤية تشخيصية)



بقلم: د. فريد أمعضشو

باحث مغربي

من الأمور المسلَّم بها أن الدول المتقدمة في العالم بأسره قد حققت ما حققته من ازدهار وتفوق، في شتى مجالات الحياة، بفضل اهتمامها بالبحث العلمي، وحرصها على ربطه بالواقع وبالإنسان، فضلاً عن تحلي مواطنيها بقيم الانضباط والإخلاص والتضحية والعمل الدؤوب وغيرها. وتزداد أهمية هذا البحث يومًا بعد آخر، ولاسيما في سياق التدافع والتنافس الحضاريين اللذين يشهدهما عالم اليوم بوتيرة أقوى، وسَعْي الدول الكبرى إلى التسيُّد والتحكم في المَعمورة عبر توظيفها سلاحَ العلم لإنتاج تقنيات وأساليب حياة مغايرة ومتطورة. ولذلك، لا نعْجبَ حين ندرك حجمَ المُخصَّصات المالية التي ترصدها للبحث والتطوير، وعِظَمَ البنيات التي توفرها لممارسة هذا النشاط الفكري العلمي، في جامعاتها ومعاهدها ومراكزها البَحْثية، والاعتبارَ الخاصَّ الذي توليه للمشتغلين بحقول المعرفة كافةً دون استثناء.

إن البحث العلمي عمومًا يعدّ «مطلبًا مُلحًا، وضرورة قصوى لأي مجتمع في وقتنا الحاضر لما له من دور في التقدم والحضارة. ذلك أن تحقيق التقدم في أي مجتمع مرهون بالاستخدام الأمْثل للموارد البشرية والمادية المُتاحة بالاعتماد على الدراسات العلمية التي تُتْقِن المواردُ البشرية إعدادَها بمنهجية علمية ودقيقة. تهدف إلى تأطير كافة المعارف والخِبْرات ذات العلاقة، بصورة شاملة وواضحة تقود إلى اتخاذ القرارات الرّشيدة»[1].

وحين يَعْمد الدارسُ إلى مقارنة واقع البحث العلمي في العالم المتقدِّم بنظيره في الدول المتخلفة يسجل، بسهولة، عُمقَ الهُوة بين هذين المجالين الحضاريَّيْن؛ إذ إن هذا البحث في العالم الثالث – وضمنه الدول العربية – متواضعٌ، ولا يرقى إلى مستوى تحقيق انتظارات أناسه والاستجابة لمُتطلَّباتهم، وتقديم الحلول الناجعة لأكثر مشاكله وأزماته، وليس مؤهَّلاً، في الغالب، لإفراز جيل من العلماء يمْكنه الاشتغال من داخل العالم المتخلف لإنتاج أفكار ونظريات وتقانة متطورة، تضْمَن له التأثير والإسهام الفاعل في رسْم صورة العالم، وتحديد مساره، واتخاذ القرارات الحاسمة في كل الميادين.

إن الأمة العربية والإسلامية – وهي أمّة (اقرأ) – لا تنقصها الكفاءات والطاقات في العلوم كلها، بل يشْهد الواقع بخلاف ذلك؛ فهي تزخر بقاعدة عريضة من الشباب الطُّموح المتحمِّس الغيور المُبادر المثقف ثقافةً واسعة، ولكنه – للأسف – يصطدم بواقع غير مشجِّع ولا مُساعد على احتضانهم وتعهُّدهم ورعايتهم، وتنمية مواهبهم، واستثمار قدراتهم وإمكاناتهم بما فيه صالحُ بلدانهم وأمتهم .. إذ لا يجد أمامه مختبَرات علمية مجهّزة، ولا أدوات عمل كافية، ولا التشجيع المعنوي... الأمرُ الذي يدفع بكثيرين منهم إلى التفكير في مغادرة أوطانهم، والتوجُّه نحو البلدان المتقدمة (مثل كندا والولايات المتحدة الأمريكية وألمانيا وفرنسا) التي ترحّب بهم، وتوفر لهم كلّ ما يحتاجونه لممارسة بحثهم العلمي... وبذلك، تخْسر بلدانهم الأصلية هذه الطاقات النيِّرة بعدما أنفقت أموالاً باهظة لتعليمها وإعدادها، وتحْرم نفسَها من الاستفادة منها، ويجدها العالم المتقدم – في المقابل – هدية مجّانية جاهزة لا يتوانى في احتضانها وإغرائها بكل ضروب الإغراء، ولمّا تُهيِّئ لهذه الكوادر والأدمغة المُهاجرة ظروف الاشتغال والبحث المناسبة، فإنها سُرْعان ما تعطي الثمار الوفيرة التي تستغلّها دول الاستقبال بالدرجة الأولى؛ فتحصد لها الجوائز العالمية الرفيعة، وتبدع وتقدِّم التجارب الجديدة والنظريات والتقنيات المتطورة بأسمائها أو أسماء الفرق البحثية التي تنضوي تحت لوائها مقرونةً باسم البلد المُحْتضِن، وينعكس ذلك مباشرةً على تلميع صورة البلدان المُستقبِلة في المحافل الدَّوْلية، وتبوئها المراتبَ الأولى في التصنيفات العالمية على مستوى البحث والتطوير والتجديد العلمي، هذا في الوقت الذي تظل بلدانها الأصلية قابعة في مؤخِّرة تلك التصنيفات، ومتخبِّطةً في أوحال الاجترار والجمود وغياب الجودة والنجاعة فيما تعْرفه من أعمال بحثية في المجالات كلها، وخارجَ نطاق تصنيف أفضل الجامعات على الصعيد الدولي، الذي يصْدر، بصفة دورية، عن منظمة اليونيسكو.

لعل ما يمكن أنْ نصف به واقع البحث العلمي في العالم العربي، عمومًا، أنه مُؤسِف حقًّا، وأنه مُخيِّب للآمال، وأنه يفتقد إلى النجاعة والقوة المطلوبتين ليكون في مستوى مواجهة التحدّيات، وكسْب الرِّهانات، فهو لا يشكل أولوية لدى العرب اليوم، بل يُنْظَر إليه بوصفه أمرًا ثانويًّا، ولا تُخصَّصُ له الاعتمادات المالية الكافية، ولا توفَّر للمشتغلين به بنيات البحث الضرورية، ولا تُستغَلّ نتائجه، وإنْ قلّت، استغلالاً مُعقْلنًا فعّالاً... ولا يجب إنكار التطور الطفيف الذي عَرَفه هذا البحث على امتداد العقود الماضية في المنطقة العربية؛ بحيث تكشف الإحصاءات


الأدمغة المهاجرة تهيأ لها ظروف الاشتغال والبحث

والتقارير المُنجَزة حول البحث العلمي العربي أن مردود هذا الأخير ازداد نسبيًا ما بين 1967 و1995 وما بعدها. وبلغ إجمالي إنتاج هذا البحث حوالي ستة آلاف بحث عامَ 1995 في أكثر من 175 جامعة عربية[2]، ولكنّ ذلك، يظل ضعيفًا جدًا إذا ما قُورن بما لدى الغرب في أوروبا وأمريكا، وفي بلدان متقدمة أخرى: كاليابان.

ويعدّ مؤشر عدد المشتغلين بحقل البحث العلمي، بالنسبة إلى عدد السكان، من المعايير الأساسية المعتمَدَة دَوْليًا في تصنيف الدول في سلم البحث العلمي. فإذا كانت أعداد هؤلاء الباحثين والعلماء في الدول المتقدمة كبيرة (بلغت 9533 عاملًا في البحث العلمي، بالنسبة إلى كل مليون نسمة، في أمريكا الشمالية، و2206 في أوروبا؛ حسب إحصاء صدرَ عام 1990)، إلا أنها ضعيفة جدًا في البلدان العالمثالثيّة عامة، ومن بينها البلدان العربية؛ إذ بلغ عدد المشتغلين بالبحث العلمي، عربيًّا، حسب تقارير أممية، حوالي 363 عامل لكل مليون نسمة عام 1990، بعدما كان الرقم لا يتعدى 124 عامل عام 1970، وهو ما يشكل نسبة 1.47 % من إجمالي عدد العلماء والمهندسين المشتغلين بالبحث العلمي على مستوى العالم كله[3]. وأشارت إحصاءاتٌ سابقة إلى أن مجموع الباحثين في الوطن العربي يقل عن 16 ألف باحث، وفي إحصاءات أخرى صدرت عن جامعة الدول العربية، عام 2006، أنه يقابل كل مليون عربي 318 عامل في مضمار البحث العلمي!

إن أبرز سبب يُفسَّر به هذا الضعف المهُول في أعداد الباحثين على الصعيد العربي هو نقص الإنفاق عليهم وعلى البحث العلمي عمومًا، ذلك بأن ما ترصده الدول العربية من مخصّصات مالية لهذا البحث لا يصل إلى النسبة المتوسّطة المتعارَف عليها دوليًا في هذا النطاق، والتي تحدّد ما إذا كان إنفاق أي بلد على البحث العلمي مُجديًا أو غير مُجْدٍ، وقد حُدّدت هذه النسبة في 1 % من الناتج الإجمالي[4]، بمعنى أن الإنفاق على هذا البحث، في أي بلد، يكون مجديًا إذا بلغ هذه النسبة كحدّ أدنى. وإذا لم يصلها فإن إنفاقه، في هذا الصدد، يعد غير ذي جدوى، ولم تستطع أي دولة عربية بلوغ نصف هذه النسبة لسنوات طويلة، وربما كانت تونس استثناءً سنة 2007؛ حيث تجاوز إنفاقها على أنشطة البحث العلمي والتطوير عامئذٍ عتبة 1% من ناتجها المحلي الإجمالي. وتُجْمِع التقارير والإحصاءات على أن ما ينفقه العالم العربي على أنشطة البحث العلمي يظل دون المستوى المطلوب، ولا يبشّر بمُخْرَجات قوية ذات تنافسية، ولا يؤهّل للعب أدوار ريادية، ولا لأنْ يكون طرفًا فاعلاً في اتخاذ القرار العلمي الحاسم عالميًا! فقد كشفت إحصاءات اليونيسكو عام 2004 أن الإنفاق العربي على البحث العلمي لم يتجاوز 1.7 مليار دولار، بما نسبته 0.3% من الناتج القومي. وأشار تقرير اليونيسكو عن العلوم عام 2010 إلى أن الدول العربية هي الأقلّ إنفاقًا على البحث العلمي والتطوير في العالم. وحين نحاول مقارنة هذه النسبة بتلك المتحقّقة في الدول المتقدمة يتبيّن، بالملموس، أنّ لا مجالَ لإجراء مثل هذه المقارنة إطلاقًا! ففي المتوسط، ينفق العالم حوالي 2.1% من إجمالي دخله الوطني على مجالات البحث العلمي؛ أي ما يساوي 536 بليون دولار. ويعمل في مؤسسات البحث العلمي في العالم ما يقارب 3.49 مليون باحث؛ أي بمعدل 1.3 باحث لكل ألف من القُوى العاملة. وقد قُدّر إنفاق الولايات المتحدة الأمريكية واليابان والاتحاد الأوربي بما يقارب 417 بليون دولار، وهو ما يتجاوز ثلاثة أرباع إجمالي الإنفاق العالمي بأسْره على البحث العلمي. وتنفق الولايات المتحدة سنويًا على البحث العلمي أكثر من 168 بليون دولار؛ أي حوالَي 32% من إجمالي ما ينفقه العالم كلّه، وتليها اليابان، التي تنفق حوالي 130 بليون دولار على ذلك البحث، ثم ألمانيا وفرنسا وبريطانيا وكندا. أما الدول العربية فقد أنفقت مجتمعةً، في السنوات الأخيرة، حوالي 535 مليون دولار فقط (الإمارات العربية المتحدة: 0.6% - الأردنّ: 0.3% - مصر: 0.2% - سوريا: 0.2%...)[5]. وإذا رجعْنا بضعة عقود قليلة إلى الوراء، نجد أن الولايات المتحدة قد أنفقت، خلال الثمانينيات، أزيد من 40 بليون دولار على البحث العلمي، على حين لم يتعدَّ الإنفاق العربي على هذا الأخير سقف المئتَيْ مليون دولار. ولم يتجاوز هذا الإنفاقُ، حسب معطيات حديثة نسبيًا، أربعة دولارات للفرد سنويًّا، على حين وصل في اليابان – مثلاً – إلى 190 دولارًا، وفي ألمانيا إلى 230. وينمّ حجم الميزانية التي تخصصها الجامعات العربية لأنشطة البحث والتطوير والتجديد عن ضعفها وهزالتها؛ فهي ترصد لهذه الأنشطة ما لا يتجاوز، في أحسن الأحوال، عتبة 1% أو أكثر من ذلك بقليل، هذا في الوقت الذي تخصص جامعات الولايات المتحدة لها ما يفوق الـ 40% من ميزانيتها العامة، وقِسْ على ذلك جامعات عالمية أخرى كبيرة في بريطانيا وألمانيا

﴿ يعدّ مؤشر عدد المشتغلين بحقل البحث العلمي، بالنسبة إلى عدد السكان، من المعايير الأساسية المعتمَدَة دَوْليًا في تصنيف الدول في سلم البحث العلمي ﴾

﴿ من الناحية الكيفية، نجد أن أبحاث علماء الدول المتقدمة ودارسيها تمتاز بكثير من الجِدّة والإبداع والأصالة، وتربط النظري بالتطبيقي والعَمَلي، وتسعى إلى تقديم إجابات، قابلة للأجْرَأة والتنفيذ، لكثير من إشكالات الواقع والمقاولاتُ وغيرها. ولهذا، نجد تلك الدول تستحوذ على 99% من براءات الاختراع عالميًّا، وتتحكم في 95% من التكنولوجيا العالمية المتطورة ﴾

﴿ نسبة مهمة من الأبحاث الجامعية، أو التي ينجزها جامعيون، في العالم العربي، يكون الهدف منها، أساسًا، هو الحصول على ترقية أو تثبيت في منصب؛ فتكون قيمتها متأثرة وخاضعة لهذا المطلب ﴾

وإسرائيل وغيرها. وقبل الانتقال إلى تناول نقط أخرى في هذا المقال، فلنقف وقفة سريعة عند واقع البحث العلمي في هذا الكيان الأخير. فقد بلغ حجم ما تُنفقه إسرائيل على التعليم، سنة 1999، أزيد من 6.5% من ناتجها الإجمالي، متفوّقةً في ذلك على الولايات المتحدة نفسها التي خصصت للتعليم، في السنة عينها، حوالي 5.3% من إنفاقها. وبلغت نسبة العلماء والمهندسين والتقنيين في إسرائيل 76 لكل 10 آلاف نسمة، سنة 2000. ويُعزى اهتمام الكيان الإسرائيلي بهذه الفئة المتنوّرة من المجتمع إلى إيمانه بقيمة العلم والعلماء في صنع التقدم والتنمية، وضمان التفوق والهيمنة؛ ولهذا، بادر إلى توفير ما تحتاجه من بنيات بحثيّة، وظروف عمل مواتية؛ فأنشأ سنة 1949 معهد الجيولوجيا، وسنةَ 1950 المعمل الوطني للفيزياء، وعدداً مهمّا من المعاهد والمراكز العلمية في مجالات الإلكترونيك والتقنيات الدقيقة والتكنولوجيا المتقدمة وتطوير السلاح وغيرها. وقد بلغت ميزانية معهد وايزمان للعلوم (Weizmann Institute of Science) السنوية وحده 1.2 مليار دولار، في الوقت الذي لم تتجاوز ميزانيات جميع الجامعات والمعاهد العليا المنتشرة على صعيد العالم العربي كله 800 مليون دولار! وإذا كانت الدولُ العربية برُمّتها لم يتجاوز إنفاقها على البحث العلمي، كما قلنا، نسبة 0.5% من ناتجها القومي، فإن إسرائيل أنفقت على المجال نفسه حوالي 2.7%، مُقتربةً بذلك من نسبة إنفاق الولايات المتحدة على هذا البحث (2.9%)، وكذا اليابان (3%)[6].



إن لتباين حجم الإنفاق على أنشطة البحث العلمي والتطوير، بين العالَمَيْن المتقدم والمتخلف، انعكاسات مباشرةً على واقع هذا البحث داخلهما، كمّا وكيفًا. فإنتاجية الباحث في الدول المتقدمة مرتفعة؛ إذ تقدَّر بمعدل 1.5 بحث للباحث في المتوسط، مقابلَ 0.2 بحث للباحث سنويًا في العالم العربي (10% من المتوقَّع فقط). ونُشرت في الأعوام الأخيرة أزيد من 305 مليون ورقة بحث علمية في جميع أنحاء المعمورة – أقصد تلك المنشورة في مجلات علمية عالمية محكّمة ومصنفة يُجري الاقتباس منها كثيرًا – كان نصيب الباحثين العرب منها أقلّ من 1%، على حين استحوذ الباحثون الأمريكان على 34% من المنشور فيها. وكشفت دراسة أخرى أن مجموع البحوث العلمية التي تُجْريها جامعة هارفارد (Harvard) وحدَها يساوي مجموع البحوث المُجْراة على صعيد جامعات العالم العربي ومعاهده ومراكزه البحثية برمتها!

ومن الناحية الكيفية، نجد أن أبحاث علماء الدول المتقدمة ودارسيها تمتاز بكثير من الجدّة والإبداع والأصالة، وتربط النظري بالتطبيقي والعَمَلي، وتسعى إلى تقديم إجابات، قابلة للأجرأة والتنفيذ، لكثير من إشكالات الواقع والمقاولات وغيرها. ولهذا، نجد تلك الدول تستحوذ على 99% من براءات الاختراع عالميًا، وتتحكم في 95% من التكنولوجيا العالمية المتطورة؛ مما يؤهّلها لحصد الجوائز الرفيعة دوليًا (نوبل للعلوم تحديدًا). وليس بمقدور باحثي الوطن العربي وعلمائه فرض الذات والتنافس في مثل هذا الجوّ العلمي بكل موضوعية وتجرُّد؛ إذ إنهم سجّلوا 24 اختراعًا فحسْبُ عام 1997؛ أي بما معدّله اختراع واحد لكل عشرة ملايين نسمة، على حين نلفي الكيان الإسرائيلي قد سجّل، في السنة نفسها، 577 اختراعًا[7]. ويرتفع كمُّ هذه الاختراعات في دول أخرى؛ من مثل ألمانيا الاتحادية التي بلغت نفقاتها على البحث والتطوير، عام 1995، مثلا، حوالي 2.3% من ناتجها المحلي الإجمالي. ويبلغ الآن عدد المشتغلين بهذا المجال فيها مئات الآلاف، الذين توفَّرُ لهم أمثل شروط العمل، وشتى صنوف الدعم المادي والمعنوي... ولهذا لا نستغرب حصول العلماء الألمان على عشرات من جوائز نوبل في الفيزياء والكيمياء وتخصصات علمية ومعرفية أخرى عدة، على حين لم يحصل علماءُ العرب على أيّ جائزة نوبل في العلوم الدقيقة، اللهمّ إذا استثنينا تلك التي حازها المصريّ أحمد زويل، ذو الجنسية الأمريكية، عام 1999، في الكيمياء، ولكنْ من داخل معهد كاليفورنيا للتكنولوجيا في الولايات المتحدة الأمريكية. طبعًا يُضاف إليها، في مجال الأدب، تلك التي نالها مواطنه نجيب محفوظ (ت 2006م) سنة 1988.

وفي الوقت الذي تنصبّ حوالي 99% من بحوث الطلاب والباحثين اليابانيين، على مستويي الماجستير والدكتوراه، على تناول مشكلات حقيقية تعاني منها الوَحَدات الإنتاجية والمقاولات والشركات الصناعية، نجد أن القسم الأكبر من أبحاث طلاب الجامعات العربية يتجه إلى تناول موضوعات يغلب عليها المَيْسَم التنظيري، بعيدًا عن ملامسة هموم المجتمع، وبَحْث حلول لأزماته ومشكلاته في الاقتصاد والاجتماع والعلوم البحتة وغيرها. ثم إن جملةً منها يفتقد إلى الجدة والإبداع؛ فتأتي، غالبًا، مجترّة لاجتهادات سابقة، دون أنْ تستطيع تقديم إضافات نوعية إلى صَرْح البحث العلمي... وهو وضْعٌ تقف وراءه، بلا شك، عوامل كثيرة؛ منها ما يتعلق بشخص الباحث نفسه، ومنها ما يتجاوزه... ولا ننسى أنّ نسبة مهمة من الأبحاث الجامعية، أو التي ينجزها جامعيون، في العالم العربي، يكون الهدف منها، أساسًا، هو الحصول على ترقية أو تثبيت في منصب؛ فتكون قيمتها متأثرة وخاضعة لهذا المطلب. هذا في الوقت الذي تقل الحوافز وأشكال الدعم لهم، سواء من قِبَل المؤسسات التي ينتمون إليها أو من قبل غيرها؛ ولهذا نجد، أحيانًا، بعض أولئك الباحثين لا يملك في رصيده العلمي سوى ما أَعَدَّهُ – مُجْبَرًا – من رسائل وأبحاث جامعية، وبضع مقالات منشورة، هنا وهناك، في منابر صحافية غير محكّمة وغير مصنفة عالميًا، في أحسن الحالات!

وبالإضافة إلى ما سبقت الإشارة إليه، ثمة صعوبات وأسباب أخرى تعيق البحث العلمي في الوطن العربي، وتجعله دونَ مستوى آمال أناسه وتطلعاتهم، وغيرَ مؤهَّل، بما فيه الكفاية، لتكوين نُخَب عالِمة مؤثّرة في الساحة العلمية العالمية حاليًا، في الغالب الأعمّ، من ذلك على سبيل التمثيل لا الحصر:

– بُعد الجامعات ومعاهد البحث عن الوحدات الإنتاجية (لا أقصد هنا البعد بمعناه الجغرافي)، وغياب التكامل بينهما.

– محدودية الخدمات المكتبية التي توفرها هذه المراكز

والجامعات للطلبة والباحثين، وعدم مواكبتها لما يستجدُّ من دراسات وأبحاث علمية؛ لضعف إمكاناتها المادية في أكثر الأحايين، وعدم توفرها على كوادر كُفْأة في مجال العمل المكتبي، وعلى فهارس وافية مُحيَّنة...

– عدم توفر قاعدة البيانات والمعلومات التي من شأنها أن توافر إحصاءً دقيقًا للبحوث المنجَزة، سواء داخل البلد الواحد أو على صعيد الوطن العربي، ولِمَ لا على المستوى العالمي كذلك؛ ومن ثم تُجَنُّب الباحثين تَناولَ موضوعات معينة، برؤى متشابهة أحيانًا، وهدر الطاقات والأموال والوقت...

– نقص المراجع الأجنبية بلغاتها الأصلية، وما تطرحه ترجماتها من مشكلات، وعدم تمكن كثير من باحثينا من الكفايات اللغوية اللازمة لإنجاز رسائلهم وأطاريحهم، بما فيها اللغة التي يكتبون بها هذه البحوث.

– عدم استثمار نتائج البحوث عمليًا؛ ذلك بأنها تظل حبيسة رفوف خزانات الكليات والمعاهد، وحين يمرّ عليها زمن طويل تصير تلك النتائج مُتجاوَزة؛

– ضعف التعاون والتنسيق بين الجامعات ومراكز البحث العربية، وبينها وبين مؤسسات البحث العلمي في الدول الأخرى. ومما يُؤسَف له كثيرًا أنْ تجد مثل هذا التعاون والتواصل غائبًا بين مختبرات الجامعة الواحدة ومراكزها البحثية. بل إنك لَتجِدُ أحيانًا باحثين من الجامعة نفسها لا يعْلمون بوجود معاهد ومخابر بحثية بعيْنها داخلها؛ ومردّ ذلك، بالأساس، إلى غياب الإعلام والتواصل داخلها.

– مشكل النشر؛ لأنّ من الأبحاث ما يكون ذا قيمة علمية حقيقية، ولكنّ يحتاج إلى أن يُنشر في مجلات المؤسسة إذا كان لها انتشار واسع، وتتمتع بمقروئية كبيرة، وإلا فالواجبُ تسهيل نشْر مثل هذه المجهودات الجادّة الرصينة في مجلات عالمية معترَف بها، وتحمُّل مصاريف ذلك.

– تدني مساهمة القطاع الخاص في دعم مشاريع البحث العلمي ونشاطاته في العالم العربي؛ بحيث أشارت تقارير سابقة إلى أن ما يناهز 90% من الإنفاق العربي على هذا البحث مَصْدَرُه حُكوميّ. ففي مصر، مثلاً، يسهم الخواصّ بحوالي 10% في تمويل البحث العلمي، والجامعات بـ 30%، على حين تسهم الحكومة بـ 60%. وللإشارة، فإن مصر تحتل المرتبة الأولى عربيًا من حيث عددُ حاملي البكالوريوس والماجستير والدكتوراه المشتغلين في مجال البحث والتطوير. وفي المقابل، نجد أن التمويل الحكومي لأنشطة البحث العلمي يتراوح ما بين 20% و30% في الدول المتقدمة، ويتحمّل الخواصّ والشركات العبء الأوفر من هذا الدعم المالي. فالقطاع الخاص، مثلاً، في الولايات المتحدة يسهم بنسبة 70% في مقدار الإنفاق على البحث العلمي، وتتجاوز مساهمته في تمويل هذا النشاط البحثي، في اليابان، الـ 80%.

– غياب سياسة واضحة للبحث العلمي في الوطن العربي؛ الأمر الذي يفرز ظواهرَ مِنْ قبيل الارتجال والعشوائية وغياب التخطيط. ويعد هذا العامل من أبرز معيقات البحث العلمي لدينا؛ كما يؤكد كثيرون. يقول صاحبا دراسة (مشكلات البحث العلمي في العالم العربي: رؤية إسلامية) إن «المشكلة لا تكْمُن في فقر الدول العربية، ولا في ميزانيات الجامعات العربية، ولا في ضعف الميزانيات المرصودة للبحث العلمي، بل تكمن – بالدرجة الأولى – في غياب السياسات الموجّهة للبحث العلمي الوِجْهةَ الصحيحة، سواء على مستوى الدول أم على مستوى الجامعات. وهذا ما نعتبره أسَّ البلاء، والأساسَ الذي يمكن أن تنبثق منه جميع المشكلات المتعلقة بالبحث العلمي في عالمنا العربي»[8]. ولعل هذا الكلام مقصودٌ به الدول الخليجية، التي تتوافر لها من الإمكانيات المادية والمالية ما يمكّنها من إمْداد جامعاتها بأرْصدة مهمة جدًّا، بخلاف ما عليه الأمر في سائر الدول العربية. ويلحّ آخرون على أنْ لا سبيل إلى النهوض والرقيّ في هذا المجال، على الصعيد العربي، إلاّ بوضْع إستراتيجية مُحْكَمَة فعّالة واضحة للبحث العلمي لدينا. إذ نقرأ – مثلاً – في كتاب (دليل البحث التربوي)، الصادر عن المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم: «لا يمكن تحقيق أي تقدم علمي حقيقي من غير وضْع سياسة عامة للبحث العلمي، وتحديد أهدافه ومحاوره وموضوعاته. ويجب أن تكون هذه السياسة واضحة لدى القطاعات المُنتجة والخدمية، وتُبيِّن الأثر الذي يمكن أن تسهم به البحوث العلمية المحلية في إيجاد الحلول المُثلى للقضايا والمُشْكلات التي تعترض القطاعات الخاصة، بدل اعتمادها على الحلول الجاهزة والمُستوردَة من الخارج. ومن هنا تأتي أهمية توفر سياسة تنظِّم البحث العلمي، وتضع أسسه، وتعمل على وضع الأولويات بما يخدم التنمية الاقتصادية والاجتماعية والعلمية»[9].

– ضعف إعداد الباحثين وتأهيلهم لممارسة البحث العلمي، مما يجعل عدداً منهم غيرَ متحكّمين بَعْدُ في مهارات هذا البحث وتقنياته، رغم أنهم من المُفترَض أن يكونوا قد درَسوا قَبْلاً موادّ في مناهج البحث وآلياته. ومن مظاهر ذلك الضعف: صعوبةُ اختيار موضوع البحث ومشكلته – نقص على مستوى التحكم في اللغات العالمية وتكنولوجيا المعلومات والاتصال – الارتباك في تطبيق المنهج أو المناهج المُختارة للدراسة – مشاكل على مستوى التعامل مع المحيط الوثائقي – ضعف فيما يخص الاقتدار على ممارسة مهارات التحليل والمقارنة والاستنتاج...

– أثر الاضطرابات السياسية سَلْبًا على تطوير البحث العلمي، وتوفير بنياته وما يستلزمه من أشكال دَعْميّة. فمن المعلوم أن دولاً عربية عدة عانت من تأثيرات هذا العامل؛ كما حصل في أثناء الحرب الأهلية في لبنان، والخلاف الذي نشب بين العراق والكويت، وتداعيات ما سُمي (الربيع العربي) على جملة من بلدان العالم العربي منذ ثلاث سنوات وما زالت مستمرة. على أن هذا العامل قد يكون محَفِّزًا على الاختراع والتطوير وإغناء حقول علمية بعينها، ونستحضر، هنا، ما وقع في فترة الحرب العالمية الأولى؛ حيث شجّعت ظروفها وما شهدته من تنافس وتصارع حادّ بين الدول الكبرى آنذاك على الابتكار واختراع أساليب جديدة في أكثر من ميدان، وأسهمت بقوة في تطوير صناعة الأسلحة ومُعدّات الحروب، وكانت وراء تشييد كثير من المراكز والمُنشَآت ذات الصلة؛ إذ أُنشئَ خلال تلك المرحلة المجلس القومي للبحوث في الولايات المتحدة الأمريكية (1916)، وأنشأت بريطانيا – قبل ذلك – هيئة البحث العلمي والصناعة...

وبَعْدُ، فهذه لمحة عَجْلى إلى واقع البحث العلمي في الوطن العربي الذي يعاني مجموعة من الصعوبات والإكراهات، تجعله متخلفاً عن اللَّحاق برَكْب البحث العلمي في البلاد المتقدمة. وقد كان مُستَنَدي في تقديم هذه الصورة التشخيصية له مجموعة من البيانات والمعطيات الإحصائية، التي تعود إلى سنوات مختلفة، ومن الدراسات الكشْفية المنشورة... ولن يرتفع هذا الوضع إلا بإيلاء مجال البحث العلمي ما يستحقه، فعلا، من عناية، وتوفير ما يحتاجه من موارد وطاقات على اختلافها، وتشجيع الباحثين المشتغلين به ماديًّا ومعنويًّا، مع ضرورة إعادة النظر في المنظومة التربوية والتعليمية المتّبعة الآن في العالم العربي عمومًا؛ باتخاذ مبادرات إصلاحية حقيقية تفضي إلى تجاوز طرائق التدريس التقليدية، واعتماد استراتيجيات ديدكتيكية أخرى تقوم على تكريس الحوار، وتشجيع الإبداع والتميز، وتثمين التعلم الذاتي، وغيرها ممّا يَضْمَنُ لتعليمنا تحصيل مُخْرَجات ذات جودة وكفاءة وفاعلية في المحيطين الخاص والعام معاً.

الهوامش

1 – دليل البحث التربوي، إصدار: المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، تونس، 2011، ص 9.

2 – نفسه، ص ص -16 17.

3 – نفسه، ص 17.

4 – مصطفى عبد العظيم الطبيب: ضمان جودة البحث العلمي في الوطن العربي (دراسة تحليلية – ميدانية)، المجلة العربية لضمان جودة التعليم الجامعي، صنعاء، مج.6، ع.13، 2013، ص 101.

5 – نفسه، ص ص -104 105، بتصرف..

6 – عماد البرغوثي ومحمود أبو سمرة: مشكلات البحث العلمي في العالم العربي، مجلة "الجامعة الإسلامية"، جامعة القدس، مج.15، ع.2، يونيه 2007، ص -1137 1139.

7 – نفسه، ص 1140...

8 – نفسه، ص 1148.

9 – دليل البحث التربوي، ص 27.

18 ممارسة تستحق من خلالها لقب "ناشر"



عارف عبدالرحمن

نائب مدير إدارة النشر والترجمة
شركة العبيكان للتعليم

أسعد بتلقي آرائكم على حسابي في تويتر
@Aref__Atia

سألتني ابنتي يومًا ما وأنا أتأهب للنزول إلى عملي .. ماذا ستفعل اليوم يا أبي؟ وقبل أن أجيب بادرتني وقالت: هل ستطبع كتابًا جديدًا؟

دفعتني ابنتي دون أن تشعر إلى البحث والتقصي والقراءة والملاحظة، للإجابة على السؤال التالي: ماهو دور الناشر الفعلي؟ فوجدت من يصدر عشرة كتب فقط ومن يصدر الآلاف، كل منهما يسمى ناشرًا.. بل وأن نشاط النشر يدرج في السجل التجاري للشركة دون أن يصدر عنها ولو كتيب صغير لا تتعدى صفحاته خمسين صفحة.

إن لم يكن النشر مجرد نشاط تجاري في الأوراق الرسمية ... فما هو إذن؟ وما هو الدور الفعلي للناشر؟ وما هي الأدوار والممارسات التي من خلالها نطلق على شركة أو كيان وصف ناشر؟

إذا نظرنا إلى المعنى اللغوي لكلمة "نشر" فإنها تعني أذاع وأعلن، ونشر الأشياء أي فرقها ووزعها.

لذا فإن اصطلاحًا يكون جوهر دور الناشر هو الخروج بالمعرفة أو المعلومة إلى حيز العموم والانتشار في آفاق واسعة، لتحقيق هذا الهدف، فإن على الناشر أن يؤدي ثمانية عشر دورًا أساسيًا نسردها فيما يلي:

1) سبر الأسواق في مجال التخصص:

تخيل أن تجد عددًا كبيرًا من الكتب الصادرة عن دور نشر مختلفة خلال العام تتناول موضوع إدارة المشاريع، وفي الوقت نفسه لا تجد ولا حتى كتاباً واحدًا خلال العام نفسه يتناول موضوع فن التفاوض، لذلك على الناشر دراسة السوق باستمرار من عدة جوانب، من خلال تلك الدراسات يمكن للناشر أن يحدد مناطق الاحتياج ومناطق الوفرة في الإنتاج الفكري مما يقدم له مؤشرات تساعده في اختياره للأعمال المرشحة للنشر، ومن ثم يحدث توازن في الإنتاج الفكري المتاح للقارئ.

2) بناء الاسم التجاري:

نرى اليوم من الناشرين من تميز في الإصدارات الطبية، وغيره قد برع في تقديم سلاسل من الإصدارات التي تتناول كافة موضوعات الحاسب الآلي والتقنيات الحديثة، لذا كان على الناشر أن يبذل الجهد في بناء هويته التي تجعل القارئ يتعرف عليه بسهولة ويبحث عن إصداراته لأنه واثق من أنها تقدم له قيمة مضافة على المستوى الشخصي والمهني.

3) جذب المؤلفين:

كثير منا وجد نفسه يأخذ قرار شراء كتاب بعينه بكل سهولة لمجرد أن رأى اسم كاتبه المفضل منقوشًا على الغلاف .. لذا فإن الناشر بخبرته يدرك اتجاهات القراء، ويسعى حثيثًا لاجتذاب الأسماء اللامعة والمحببة لدى القراء التي بدورها تلعب دورًا في تحقيق الرواج لإصداراته وتقديم قيمة مضافة للقارئ، وهنا يجدر القول بأن الناشر الواحد لايمكنه الاستحواذ على جميع الأسماء اللامعة، وإنما سيقوم بالتركيز على الأسماء التي تتماشى وقيمه وتوجهاته ويعمل على جذبهم دون غيرهم.

4) تقييم جودة الأعمال المؤلفة وكذلك تكلفة الإنتاج والتسويق والفرص البيعية والتسويقية

في رأيي أن هذا هو أحد هموم الناشرين فضلًا عن كونه مجرد دور يلعبه الناشر.. فإن الناشر يجب عليه دراسة



مشاريع إنتاج الكتب من جوانب عديدة منها التكلفة المالية للإنتاج والمدة الزمنية التي يحتاجها الكتاب ليرى النور، مما يكون له انعكاس كبير على إقبال القراء على شراء الكتاب من عدمه خاصةً أن السوق يحتوي على العديد من الكتب التي تتناول الموضوع ذاته من جوانب مختلفة وعلى درجات متفاوتة من التحليل.

5) الاستثمار في كتاب بعينه:

إن قرار تخصيص ميزانية لإنتاج كتاب ليس سهلًا وخصوصًا أن أغلب التكاليف يتم سدادها مقدمًا وقبل إنتاج الكتاب وطرحه في الأسواق، فالأمر غاية في التعقيد من عدة جوانب- من الممكن إفراد مقال مستقل لها- ولعل قيام الناشر بتقييم جودة العمل بشكل موضوعي يسهم بشكل كبير في المساعدة على اتخاذ مثل هذا القرار، والحقيقة هذا الدور هو أحد الأدوار الجوهرية التي يقوم بها الناشر وهو بالفعل حجر الزاوية وفي رأيي أن باقي الأدوار تدور في فلك قرار الناشر بالموافقة على نشر الكتاب.

6) التفاوض مع مالكي الحقوق مثل المؤلفين/الوكلاء/ناشرين آخرين بشأن توقيع الاتفاقيات، ومزودي الخدمات مثل المصممين/المراجعين اللغويين/المترجمين وكذلك وكالات التوزيع بالإضافة إلى العملاء الراغبين في شراء إصداراته:

هذا الدور يذكرني بجدي وهو يغزل الصوف .. فإن الناشر يقوم بتحديد الجهات ذات العلاقة في إنتاج الكتاب وبيعه وتسويقه ومن ثم يبدأ في التفاوض حول الشروط والمواصفات وأوقات السداد ومعايير القبول وأوقات التنفيذ وغيرها بهدف الحصول على أفضل خدمة في أقصر وقت ممكن وبأعلى جودة، وبناءً على نجاحه في المفاوضات، يبدأ في إبرام العقود التي توثق العلاقة مما يجعل العمل يسير وفق ضوابط تحكم الجميع وتضمن حقوقهم في الوقت ذاته.

7) مراجعة وتحرير وتصميم المطبوعات بما يتناسب والفئة المستهدفة:

من الممكن أن يوافق الناشر على نشر كتاب لمؤلف ليس من أبناء البلد نفسه أو ربما قام الناشر بترجمة كتاب يقدم قيمة مضافة للقارئ، ولكنه قد يحتوي على بعض التعبيرات اللفظية المفهومة في بلد المؤلف ولكنها غير مفهومة في بلد الناشر ... دعني أضرب لك مثلًا لذلك: على المستوى الاصطلاحي، في مجتمعاتنا العربية على اختلافها يستخدم كل بلد لفظ مميز عن غيره المستخدم في بلد آخر بالرغم من أن المقصود واحد مثل (إدارة، دائرة / طالب/تلميذ، فروض، واجبات، كراسة/دفتر ، طماطم/بندورة...) بالإضافة إلى الاختلافات الثقافية، ويمكن القياس على ذلك العديد من الأمور التي تكمن بين سطور الكتاب أحيانًا، وتعبر عنها الصور والعبارات بشكل واضح أحيانًا أخرى، لذلك وجب على الناشر أن يدركها ويحددها وأن يعمل على معالجتها وتقديمها للقارئ بالشكل المقبول والمفهوم لديه، ويمكن التعبير عن هذا الدور بشكل مختصر باستخدام كلمة "المواءمة" وهو ما يقوم به الناشر من معالجة للصور والنصوص والموضوعات لكي تتناسب وثقافة الفئة المستهدفة (مجتمع/فئة عمرية/مستوى علمي).

8) تجهيز ملفات الكتب بحيث تصلح أن يتم إنتاجها وبيعها بأكثر من شكل:

يتمكن الناشر من الاستفادة من المحتوى بعدة طرق، منها ما هو معلوم الآن، ومنها ما قد يستحدث في المستقبل، فيمكن أن يتم إنتاج نفس المحتوى بعدة أشكال، منها الورقي المطبوع والمسموع والرقمي والتفاعلي، وأن يكون على شكل تطبيق أو خرائط ذهنية، حتى الكتاب المطبوع نفسه نجده اتخذ أشكالًا جديدة مثل الطباعة تحت الطلب، والطباعة المتزامنة، بل وذهب بعض الناشرين إلى أبعد من ذلك فأنتجوه ألعابًا ودُمى للأطفال، ناهيك عن الإنتاج التليفزيوني والإذاعي والسينمائي الذي يعد أحد أشكال الإنتاج التقليدي للمحتوى، هذا لا يعني بالضرورة أن يقوم الناشر بإنتاج كل كتاب يقوم بنشره بجميع هذه الصور أو بعضها، ولا حتى أن يتخذ بنفسه قرار إنتاجه بأحد تلك الطرق، ولكن عليه أن يقوم بإنتاج الكتاب وفق مواصفات ومعايير متوافقة مع تلك الطرق المتعددة لإنتاج الكتاب، ومن يصنع القرار هو القارئ.

9) تحديد الأطراف ذات العلاقة والمصلحة في المساهمة بشكل مباشر في بيع الكتاب وتوزيعه:

"عزيزي مدير دار النشر : لقد تم طباعة الكتاب وهو الآن في المستودع" يتأهب الناشر لسماع هذه العبارة منذ أن بدأ عمليات الإنتاج ، ليبدأ على الفور في تنفيذ خطة التوزيع الذي أعدها مسبقًا ليحقق الكتاب انتشارًا في أكبر بقعة ممكنة من الأرض خلال أقصر مدة زمنية ممكنة عن طريق شركاء موثوقين، لذا على

الناشر أن يقوم بتكوين شبكة توزيع ومبيعات منوط بها عمل اتصالات على مستويات متعددة بداية من الزيارات الميدانية والمقابلات المباشرة وغيرها من وسائل الاتصال الفعال، بهدف تقديم الكتاب إلى الموزعين والعملاء ووكالات التوزيع وتوقيع الاتفاقيات معهم.

10) استخدام التقنيات الحديثة التي تعمل على خفض التكاليف ومستويات المخزون، تبني أنظمة حديثة، جمع وتحليل البيانات بهدف تسهيل الوصول للعملاء وحصولهم على إصداراتهم:

لا يخفى على أحد أن وسائل التقنية الحديثة المتسارعة التطور أصبحت كالماء والهواء، لا غنى عنها في أي صناعة، وبالتحديد صناعة النشر بوصفها إحدى أدوات نقل المعرفة، فهي أحق باستخدام التقنيات الحديثة في عمليات التأليف وإنتاج الكتب وتقنيات الطباعة وإدارة المخزون ومتابعة حسابات العملاء وغيرها من التقنيات التي تجعل من العمل متعة، وكذلك تجعل متابعة الأعمال اليومية سهلة ومتاحة على نحو واضح ومنظم وموثق. إن استخدام الناشر لمثل هذه الوسائل، يساعده على المضي بخطىً واثقة نحو التوافق والمعايير العالمية في صناعة النشر وأن يحتل مركزًا عالميًا مرموقًا في الصناعة.

11) تكوين شبكة مبيعات عالمية:

وأقصد هنا أن على الناشر أن يدرك طبيعة رسالته العالمية، وبالتالي يكون حريصًا على أن يكون ضمن أدواره تكوين وتطوير شبكة توزيع موثوقة تقوم بدورها في توفير إصدارات الناشر داخل البلد بشكل مهني، وكذلك القيام بتقديم آراء القراء عن إصدارات الناشر مما يساعده في تحسين وتطوير إصداراته ليتوافق واحتياجات مختلف الأذواق الفكرية.

12) تسويق إصداراتهم إلى الوسطاء مثل بائعي التجزئة والجملة:

منوط بالناشر القيام بالتسويق لإصداراته بنفسه ولو أوكل هذا الأمر إلى وكالات دعاية وإعلان، وإنما المبادرة واتخاذ المسؤولية تتكون من مهام الناشر، لأنه أكثر دراية بنقاط القوة في منتجه ويعرف مدى تميزه عن غيره مما هو متاح في المكتبات. لذا كان على الناشر أن يقوم بتقديم ملخصات عن كتبه وإتاحة المعلومات الببليوجرافية أو "ميتا داتا" عن الكتاب التي تصل أحيانًا إلى أكثر من خمسين معلومة عن الكتاب الواحد بداية من عنوان الكتاب إلى اسم المؤلف والمؤلف المشارك والمحقق والمترجم وعدد الصفحات والمقاس والوزن ونبذة عن الكتاب وصورة الغلاف ... تلك المعلومات تلعب دورًا فاصلًا في تسويق الكتاب وزيادة فرص بيعه وانتشاره. وقد يلجأ الناشر إلى فتح مكاتب إقليمية في المناطق المستهدفة في حال وجد فرصة كبيرة للمبيعات في ذلك الإقليم أو وجد نمو ملحوظ فيها.

13) تسويق أعمالهم لدى الفئات التي يتم استهدافها، وتعزيز المحيط الثقافي بغرض زيادة الفرص البيعية:

من الأدوار المنوطة بالناشر كذلك أن ينظم حلقات النقاش حول إصدارات معينة يقوم باختيارها وفق معايير يتم تحديدها مسبقًا مثل الإصدار الحديث أو موضوع الساعة أو مناسبة سنوية أو حفل توقيع وغيرها من المعايير التي لها مردود إيجابي على تسويق الكتاب، مثل هذه الفعاليات لها مردود إيجابي على جميع الأطرف، فالناشر يحقق الرواج والتعريف بإصدارات أخرى، والمؤلف يصل إلى آراء القراء في كتابه وكذلك يشرح بشكل موسع وجهة نظره في بعض المواضع التي قد لا يكون تناولها بالتفصيل الكافي، إضافة إلى القارئ الذي يستثمر الفرصة للحصول على إجابات لأسئلة دارت في ذهنه حول عديد من الأمور التي ذكرت في الكتاب وله أن يحصل على تفسيرات وإجابات من مؤلف الكتاب نفسه بشكل مباشر.

14) منح التراخيص إلى أطراف أخرى:

نتيجة طبيعية لرواج إصدارات الناشر في أكثر من بلد، يكون الطلب على ترجمة الكتاب إلى لغات أخرى، مما يتطلب الحصول على إذن الناشر قبل الشروع في عملية الترجمة، ويكون هذا الإذن بمثابة عقد يحدد كافة جوانب العلاقة بين كلا الطرفين. بهدف توفير تكاليف النقل والطباعة، فإن الناشر قد يمنح ترخيص طبعات في بلدان أخرى، ولا يفوتنا أن ننوه إلى خطورة هذا الأمر من ناحية السيطرة على الكميات المطبوعة ومتابعتها، لذا وجب على الناشر أن يختار بعناية فائقة الجهة التي يتعامل معها لطباعة إصداراته في بلد آخر قد لا تسنح له الفرصة زيارته إلا مرة واحدة كل عدة أعوام.

15) إدارة الموقع الالكتروني الخاص به وتوفير معلومات عن إصداراته ومؤلفيه والخدمات التي يقدمها بالإضافة إلى توفير نظام للشراء من خلاله:

في ظل التطورات التقنية المتسارعة، وسهولة الحصول على المعلومة من خلال الإنترنت، جاء دور الناشر في أن يعمل على توفير معلومات عن إصداراته ونشاطاته من خلال موقع إلكتروني خاص به، يكون بمثابة المكان الذي يجد فيه كل من القارئ والمؤلف ورجل الأعمال المعلومات المطلوبة والإجابة عن تساؤلات يريدون التوصل إلى تفسيرات لها، بل إن بعض مواقع الناشرين ذهبت إلى أبعد من ذلك لتقدم إمكانية الاستعراض المجاني لأجزاء من الكتب، إضافة إلى دورات تدريبية في التأليف ومسابقات للقراء والمؤلفين، وكذلك تسهيل تقديم أعمالهم للتقييم، إضافة إلى ربط موقع الناشر بحسابات الناشر في مواقع التواصل الاجتماعي، كل ذلك وأكثر يمكن تقديمه من خلال موقع الناشر الإلكتروني.

16) توفير كميات من إصداراته والاحتفاظ بها في المخزون وذلك بغرض تلبية طلبات العملاء والموزعين والوكلاء:

إن من مصلحة الناشر أن يحتفظ بكمية "معقولة" من إصداراته تحسبًا للطلبات العاجلة، مع الوضع في الاعتبار أن هذا الدور له حد معين إن تعداه أصبح يشكل عبئًا على الناشر وذلك لتكلفة إدارة المخزون وتجميد مبالغ استثمرها في تلك الكتب. ولم تغفل التقنيات الطباعية هذا العائق، فقد تم تطوير أحد الحلول وهو "الطباعة تحت الطلب" فيمكنك الآن كناشر أن تطبع نسخة واحدة أو عشر نسخ من إصداراتك وذلك حسب طلب عملائك.

17) تنفيذ الطلبيات وتوزيع الإصدارات بمختلف أشكالها الورقية -الرقمية- الصوتية - التفاعلية وكذلك التحصيل وسداد حقوق المؤلفين:

المسؤول الأول عن تنفيذ الطلبيات هو الناشر، حتى وإن كان له وكيل أو موزع معتمد، فيجب عليه أن يكون على دراية بالصعوبات التي تواجه شركائه، إضافة إلى ضرورة حصوله على معلومات محدثة باستمرار (آنِية) عن مبيعات كتبه لأنه ملتزم بتعاقدات مع مالكي حقوق الملكية الفكرية ويجب عليه أن يقوم بسداد مستحقاتهم المالية حسب بنود العقود المبرمة معهم.

18) حماية حقوق الملكية الفكرية والعلامة التجارية:

في الحقيقة الموضع الطبيعي لهذا الدور هو أن يكون الأول، ولكني أردت أن أصحبك عزيزي القارئ في رحلة داخل صناعة النشر لتدرك أن الناشر "مؤتمن" على أفكار غيره، قام بتطويرها من خلال عقود نظامية، دخل شريكًا في قصة نجاح مدروسة ليصل بفكر المؤلف وصوته إلى آفاق ما لم يكن يصل إليها دون الاستخدام الفعال لشبكة العلاقات والمصالح التي سعدت جدًا باصطحابك عزيزي القاري في دروبها، لذا حرص الناشر منذ البداية على إبرام العقود التي تحافظ على حقوق كل الأطراف وأن يحدد المسؤوليات كذلك بالإضافة اتفاقيات السرية، حتى بعد إصدار الكتاب وانتشاره في الأسواق، يظل الناشر مراقبًا حركة الكتاب ومؤشرات البيع والركود من مدة إلى أخرى مستندًا على خبرات كوادره البشرية تارة، وعلى اتحادات الناشرين تارةً أخرى، وثالثة بالتعاون مع وكالات مكافحة القرصنة بهدف منع الاستخدام غير القانوني لحقوق المؤلفين.

وفي الختام، يجدر الإشارة إلى أن كل ناشر يقوم بكل أو بعض هذه الأدوار يحدد مكانة في نفوس متابعيه وشركائه، وكذلك مستوى حرفيته في أداء دوره له بالغ الأثر في إنتاجه الفكري من الجوانب المعنوية والمادية.

قصة قصيرة

قمر

نهى محمد الربيع - السودان

كان هنالك قرية على بعد 10 كيلو جنوبًا من العاصمة وعلى ضفاف النيل تدعى الخضرا كانت قرية بسيطة يسكنها أناس بسطاء، لا يأملون إلا في الحصول على قوت يومهم، إذ إن كل ما يجمعهم هو الفقر والجوع وحبهم لبعضهم، وهو الذي يخفف عنهم الحياة البائسة التي يعيشونها.. كل من دخل هذه القرية قد سمع بأجمل ما فيها، وهي قمر..

قمر فتاة فائقة الجمال في الخضرا كانت حياتها كسائر أهل القرية بسيطة، حيث تعيش مع أطفالها وزوجها عبد المحمود الذي لم تكن تعرف عنه شيئًا حتى يوم زفافها، شأنها شأن فتيات الخضرا، حيث عاداتهم وتقاليدهم التي لم يكن أحد ليجرؤ أن يخالفها ...أما أسرة قمر فتشمل والدتها الضريرة عزيزة، ووالدها الكبير في السن عبد السميع، وإخوتها الصغار، وهم يسكنون بالقرب من منزل قمر .. وهي شابة مستقيمة طيبة في تعاملها مع الجميع، برغم ما يعرفه كل أهل الخضرا عن زوجها عبد المحمود وسوء أخلاقه، إلا إنها كانت تعد الأمر امتحانًا من المولى عز وجل لها، وكان كل همها تربية أولادها، فكانت تصحو مبكرًا لتقوم بإعداد الشاي والإفطار لأسرتها الصغيرة، ثم تذهب لتفقد والدتها عزيزة قبل أن تزاول عملها المعتاد في بيع الخضروات بسوق الخضرا، لتدخر من أجل إطعام صغارها، فوالدهم أحيانًا كثيرة لا ينفق على أولاده، بل إنه معظم الوقت يهدر أمواله في الخمر والعربدة ومجالس السوء.

ذاك اليوم وبعد إن مارست قمر مسؤولياتها اليومية، وبعد أن عادت من سوق الخضرا كالعادة، ذهبت إلى والدتها لأخذ صغارها، فوجدت والدتها عزيزة مريضة .. طلبت منها عزيزة أن تساعدها في تجهيز الطعام فمكثت عندها حتى نهاية اليوم، ثم أخذت صغارها ورجعت إلى منزلها.

أشرقت شمس اليوم التالي دون أن تظهر قمر ودون أن تلقي تحية، الصباح على جارتها وصديقة طفولتها تحية التي تعمل معها في بيع الخضر في السوق نفسه.. فقدتها تحية فذهبت لمنزلها فوجدت عبد المحمود زوج قمر سألته عن صديقتها، دون أن تلقي عليه التحية، فقد كانت لا تطيقه، شأن كل أهل الخضرا ...أخبرها عبد المحمود أن قمر عند والدتها عزيزة فتعجبت تحية لوجود أطفال قمر برغم غيابها فرجعت عنها إلى عملها، وكانت الحيرة تعصف بها طيلة اليوم، وفي نهاية العمل وعند رجوعها إلى المنزل وجدت طفل قمر يلعب مع أقرانه أمام منزلهم، فسألته تحية عن والدته، فذكر أنه لم يرها منذ أن استيقظ من نومه، فزاد حديثه هذا من دهشتها وذهولها، فتوجهت إلى منزل أهلها فلم يعرفوا عنها شيئًا عندها، لم تجد خيارًا آخر غير أن تخبرهم بذهابها إلى منزل ابنتهم وعن حديث زوجها عبد المحمود الذي لا يعرف شيئًا عنها وعن اختفاء قمر......

وإن هي إلا لحظات حتى تجمع أهل الخضرا، وذهبوا جميعًا إلى منزل قمر، فوجدوا عبد المحمود الذي قال: إن قمر قد تكون هربت مع أحدهم، وإنه يشكك في أخلاقها وعدم اهتمامها به وبصغارها، ولا يريد أن يسمع عنها شيئًا ...

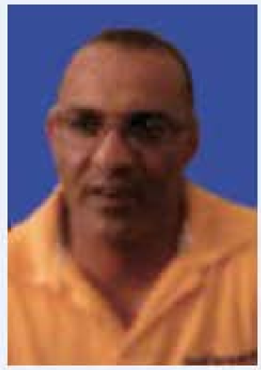
وإن هي إلا لحظات وتفرق أهل الخضرا، ليبحثوا عن قمر التي يحبونها جميعًا، ويعرفون أخلاقها الكريمة، وإنها لا يأتي منها هذا الفعل ... استمر البحث أيامًا وليالي دون أن يصلوا إلى قمر، وفي نهاية المطاف قرروا أن يلجئوا إلى الشرطة للبحث عنها، فرفض عبد المحمود زوجها تدخل الشرطة في بداية الأمر، فهو يرى إنها ستعود إليهم يومًا ما، وعندها سيحرمها من صغارها الذين تركتهم دون أن ترثي لحالهم وهربت مع رجل آخر.

انقسم أهل الخضرا إلى مجموعتين بعضهم وقف بجانبه، والبعض الآخر رأى أهمية تدخل الجهات الأمنية في الأمر الذي لا يشبه حال قريتهم الوديعة.....

وبمرور دقائق معدودة من إخبار الشرطة امتلأ المنزل بهم، حتى إنهم لم يتركوا أحدًا في الخضرا إلا واستجوبوه ...وعند البحث في المنزل لاحظ الضابط المسئول شيئًا أثار دهشته، وهو سجادة جديدة في إحدى الغرف بالرغم من أن الأثاث كان قديمًا متهالكًا، فسأل الضابط أحد صغارها عنها، فأخبره الطفل ببراءة الأطفال إن هذه السجادة أحضرها والدي قبل أيام محدودة، وياليت كانت أمي قد رأتها لكانت قد فرحت بها كثيرًا ....

انتهى رجال الشرطة من استجواب أهل القرية، ولكن ظلت كلمات الطفل تتردد في ذهنه، وما كان منه إلا أن ذهب مرات ومرات إلى المنزل إلا أن بحثه لم يسفر عن شيء كالعادة، فراودته فكرة معينة وهي الاستعانة بالكلب البوليسي، الذي ما إن عرضت عليه رائحة ملابس قمر حتى هرول إلى فناء المنزل الخلفي، وأخذ ينهش في الأرض في مكان بعينه، ولاحظ الضابط أن هذا المكان من الجلي إن تربته قد ردمت مؤخرًا فراودته نفسه: هل يعقل هذا؟؟؟ فقاموا بالحفر في هذه المنطقة أمام كافة أهل الخضرا الذين تجمعوا ليجدوا المفاجئة التي لم تخطر على بال أحد ... قمر جثة هامدة ملطخة بالدماء وقد طوي جثمانها بسجادة بالية ...ألجمت الدهشة الجميع وتصاعد صوت البكاء والعويل لتظهر الحقيقة من اختفاء قمر التي لم تخطر على بال .. وقد شك الضابط في تورط عبد المحمود زوجها في الأمر، فقام بمواجهته واتهامه بقتل قمر، وبتضييق الخناق عليه اعترف عبد المحمود بقتل زوجته قمر التي اكتشفت عن طريق الصدفة إنه كان من أكبر مروجي المخدرات في المنطقة وهددته بفضح أمره والتبليغ عنه وما كان منه إلا إسكاتها للأبد بقتلها.....

الشّعر العربي المعاصر ومشكل الجدل ما بين التراث والحداثة



بغاديد عبد القادر - الجزائر

« يكاد يُجمع الباحثون والمهتمون بدراسة التبادُلات الاجتماعية في مختلف المجالات الفكرية والمعرفية الأدبية منها والفلسفية بأنّ هناك سيرورة من التطور تتّحدد بها الحركة الديناميكية لدى جميع الشعوب ومن نافلة القول: إن هذه الحركة ليست على وتيرة واحدة في كل المجالات المعرفية، ما دامت هناك عوامل عدة تسهم في تسريعها أو الحدّ منها، ولذلك شهدت بعض المجتمعات وتيرة نمو رافقتها تبدُّلات اجتماعية واقتصادية وفكرية كان لها الدور الأساس في الثورة النهضوية الحديثة التي انطلقت معها سمات الحداثة الأولى في أوروبا. والتي سرعان ما عمت جميع المجتمعات البشرية متفاعلة معها بأشكال متعددة تراوحت بين القبول والترحيب أو التحفظ والرفض »

وتجدر الإشارة إلى أنّ الحداثة وما ارتبط بها من أفكار ومقولات وتبدُّلات ليست سوى النّتاج الطبيعي لحركة التاريخ والتفاعل البشري – فمثلاً- لا يمكن فهم الحداثة الغربية إلّا من داخل سياقها التاريخي من (ديكارت إلى غاليلي) وصولاً إلى النظرية النسبية (لأنشتاين) ونظرية (فرويد) النفسية وروحانية (برغسون) ووجودية (هايدغر)، وبعث الأسطورة على يد (السير جيمس فريزر)، وتراجع النظام البرهاني للعقل (ديكارت وباسكال)، وقيام فلسفة جديدة ترتكز على الذات فلسفة الباطن، و(نتشه) الذي أعلن موت الإله وسقوط العالم الفكري الماورائي في كتابه (هكذا تكلم زرادشت)، وشيوع مقولة (فرانسيس فوكوياما) نهاية التاريخ وغيابه في اللامعقول مع (مارتين ايدسون).

فالحداثة الغربية لم تتشكل إلا بعد تراكمات، وهذا ما أنتجه (ت. س. إليوت) في أرض اليباب اختزالاً للثقافة الغربية التي أنتجت إنسانًا ماديًا وخربته معنويًا وأحدثت قطيعة تاريخية ومعرفية إبستمولوجية، أو ما يُسمى في النقد المعاصر التجاوز والتخطي، حيث تبلورت مفاهيم جديدة، هذا ما دفع لقراءة الحداثة في سياق ملابسات حضارية وتاريخية يقول جون بودبار: «ليست الحداثة مفهومًا سوسيولوجيًا أو مفهومًا تاريخيًا بحصرُ المعنى وإنما هي صيغة مميزة لحضارة تتعارض وصيغة التقليد» أي أنها تعارض الثقافات السابقة.

لقد جاءت ردود الفعل من حول الحداثة متباينة خاصة في تلك المجتمعات التي لم تكن قادرة على مجابهة تحديات التطور الكوني، والذي أسهمت الحداثة الغربية في رسم مساره والتفاعل مع التطورات الحاصلة في الكون خاصة مع مطلع القرن 19م وحتى يومنا هذا.

غير أنّ هذه الخطوات التفاعلية ومواكبة تلك التطورات كانت ولاتزال مليئة بحروب الإخضاع والسيطرة والحماية والوصاية التي تشنها المركزية الغربية على كل ما هو عربي، ولذلك غرق مُفكرو العرب وأدباؤهم ونقادهم في جدال عقيم حول توصيف مفهوم الحداثة، وهل هي نتاج داخلي أم مستورد؟ وهل لها أن تتلاءم مع الأصالة أم تتعارض معها؟ وهل نحمي الموروث العربي ونحافظ على خصوصية التراث؟ وهل الحداثة مدخل لتذويبه والقضاء عليه؟ وهل يكفي استيراد مصطلح الحداثة من الغرب دون الحاجة إلى البحث عن الأفكار والمقومات التي قادتنا إليه؟

لقد أخل الناقد العربي حينما وضع الحداثة في موضع التعارض مع مفاهيم أدبية وثقافية سابقة عليها (التراث) فملء الساحة الأدبية والنقدية بعشرات العناوين المثيرة منها (الأصالة والتقليد، السلفيون والتحديثيون، الخصوصية والشمولية، الأنا والآخر، التقدم والتخلف، المادة والروح، الدين والعلم).

وانطلاقًا من هذه الثنائيات توسعت دائرة السجال الأدبي والنقدي في الساحة العربية أين جسد الشاعر المعاصر وجهًا غريبًا بملامحه التاريخية والمعرفية، فكان البحث عن المطلق بحثًا بائسًا في سياق حضاري حافلاً بالتناقضات، إذ بقيت القصيدة العربية المعاصرة تبحث عن المجهول وتعرض عن الزائف.

إنّ نظرة سريعة على الشعر العربي المعاصر سوف نجده ملتفًا بالغموض ومدثرًا بالإبهام والغرابة، بل ربما نجده يدور حول البحث عن المجهول أو المطلق بلغة لم تعهدها الذائقة العربية مما يصدم المتلقي ويحدث شرخًا في بنية نظامه المعرفي التي تعود عليها (عمود الشعر) أو «الشعر كلام موزون مقفى»[1].

ويعلق الدكتور عبد السلام المسدي رائد الأسلوبية العربية قائلاً عن الحداثة: «لقد فجرت الحداثة قوالب الصوغ الشعرية ففُتّح للشاعر فضاء أدائي لم يعرفه الشعر الخليلي، وبهذا فقد تحول الشعر العربي من المفهوم الكلاسيكي القديم إلى المفهوم الحداثي بوصفه رؤيا أو على الأقل مشروع رؤيا في محاولة كشف لا تتحدد آفاقها ولا تنتهي أبعادها فهو يأتي من اللانهائي إلى اللانهائي، لا تحصره حدود ولا تقيّده شروط في بنية لغوية حطمت كل العلائق القديمة والمعايير السابقة، فلم يعد الشعر

الكلاسيكي قادرًا على استيعاب هذه التجربة في غموضها واتساعها، فكانت حاجة الشاعر المعاصر إلى بدائل أخرى تلغي التناسب بين الأشياء على أساس الإيضاح المُعقلن بإقامة فجوة بين اللغة والأشياء، حيث جاءت القصيدة العربية المعاصرة تمردًا أفرزته ظروف العصر ومحاولة لتخليص الشعر والابتعاد به عن التقريرية أو الموضوعية العلمية.

فالشعر في المفهوم المعاصر لم يعد انسيابيًا ينفلت من كل تعريف وينعتق من كل تحديد، لأنه ينبعث من معين متدفق يتسم بالديمومة والتجديد ويصدرُ من مجهول غير قابل للكشف، فالشعر المعاصر يعتمد على الرؤيا الاستكشافية ليتجاوز المعقول والمحدود ويتخطى الراكن الراكد ولذلك يقال: « الشعر المعاصر تجاوز وتخطى».

ولا يمكننا فهم الشعر المعاصر دون معرفة مرتكزاته الحضارية التي أفرزته فألبريس – مثلاً – يرى: «بأنه مرتبط بعقدة اجتماعية وروحية وسياسية وفلسفية، وأنَّ مثل هذا الشعر لا يوجد حيث يكون هناك دارجة تلبي الحاجة الدينية وعندما لا نجد الرغبة في المطلق نلبيه عن طريق لاهوت أو تصوف عامين يصبح الشعر من جديد الوسيلة للنفاذ إلى عالم سحري».

ولعل هذا ما يفسر الغموض والإبهام في الشعر العربي المعاصر الذي كان له وجود مشروط بوجود سابق مثلما كانت النهضة العربية مشروطة بحضور سابق للنهضة الغربية، وفي ضوء هذا حاولت الحداثة المتعربة الكشف عن المجهول ورفض الواقع العربي على الرغم من مغايرة هذا الواقع في حقيقته وبعده الديني عن الواقع الغربي، لأنه نشأ في حضن عقيدة شاملة كاملة لم تبلغ التعقيد الآلي لأرض اليباب لإلتوت فضلاً عن الخصوصية الذاتية، و لكن مقولة ابن خلدون تجد حضورها في هذا المجال «المغلوب مولع بتقليد الغالب في زيه ونحلته ومعاشه وسائر عوائده».

إنه الاستلاب الحداثي والقطيعة المزدوجة ومن ثم اختلاط الوهم والحقيقة ومحاولة تشكيل الأنا العربية من خلال الآخر الغربي، إنه تراكم شديد الغموض من المعارف المتضاربة، ومن ثم علينا فهم الحداثة العربية بمعزل عن الحداثة الغربية.

يقول الدكتور سليمان الواسطي «لقد شكّك شعراء الحداثة في كل ما هو عربي ودعا هؤلاء إلى الارتماء في أحضان الحداثة الغربية فكرًا ونمط حياة».

إنّ أي دراسة للتراث العربي يجب أن تنطلق من محاولة اكتشاف جماليته الذاتية وعبقريته الخاصة بعيدًا عن إصدار أو إطلاق الأحكام الجائرة وتطبيق المقاييس الخاطئة، فقد بات من المؤسف والغريب أن عددًا كبيرًا من اللذين أخذوا على عاتقهم مهمة التجديد في الشعر العربي نظروا إلى التراث نظرة احتقار كنظرة الغربيين حتى نهاية القرن 19م إلى تراث الشعوب غير الأوروبية.

وإن التساؤل الذي يطرح نفسه هو هل انقطعت الصلة تمامًا بين الشعر المعاصر وتراثنا؟ أم مازالت هناك علاقة تربط هذا الشعر بالتراث؟ وهل على الشاعر المعاصر أن يحدّد موقفه من التراث؟ وهل يمكن أن يعيش شاعر في عصره ويُعبر في الوقت نفسه عن عصر آخر؟

لقد حاول الدكتور زكي نجيب محمود إعطاء مفهوم لمعنى العصرية في الشعر من حيث هو أساس لاتجاه التجديد المعاصر فرأى «أن جميع الشعراء الذين يعيشون بيننا عصريون لسبب بسيط هو أنهم أبناء هذا العصر»[2].

إن قضية علاقتنا بالتراث لم تظهر مع ظهور تجربة الشعر الجديدة وكل ما في الأمر أن ظهور هذه التجربة كان باعثًا مثيرًا جديدًا لها وذلك عندما توقفت النُّظرة السُّطحية عن شكل التجربة ولاحت ترى فيها خروجًا سافرًا على تقاليد الشعر العربي المتوارثة.

وفي هذا يرى الدكتور عز الدين إسماعيل «أنه من العبث والمضيعة أن نظل حتى الآن نتجادل في أمر الشعر داخل إطار المعركة بين الجديد والقديم وينبغي أن ندع هذا التصور يتحلل في أذهاننا ويذوب، وأن نصرف جهدنا في دراسة الشعر سواء منه القديم أو الجديد إلى الشعر ذاته»[3].

إن تجربة الشعر المعاصر ليست تعبير عن موقف عدائي مباشر أو غير مباشر للتراث الأدبي العربي بعامة وللشعر القديم بصفة خاصة كما يرى البعض مِن مَن نسب لنفسه الغيرة على ذلك التراث وهو في الوقت نفسه لا يدري من قيمة هذا التراث الحقيقية شيئًا، ومن هنا نشأت معارك جوفاء حول هذه التجربة الجديدة لا تمس جوهر القضية في شيء، وإنما هي تعبر في أقصى عصورها عن موقف شخصي صرف لفئات متحاورة.

إن كل شاعر في تصوره أنه ابن عصره وأنه يمثله، ولكن صدق هذا التصور مرتبط إلى حدٍّ بعيد بمدى انهماكه في عصره وتفهمه لروحه، ومن ثمّ يتفاوت الشعراء في مدى تعبيرهم عن عصرهم وفقًا لمدى فهمهم لمعنى العصرية، ولنا فيما أقدم عليه أبو النواس قديمًا مثالاً صريحًا فقد شاء أبو النواس أن يكون عصريًا بأن يهجر الحديث عن الأطلال والدِّمن، وذلك حديثًا ملائمًا للشعر في عصره حسب مفهوم أبي النواس، ورأى الشاعر أن يتحدث عن حانات عصره فجاء شعره جديدًا في شكله وإن تغلغل فيه نبض الشعر القديم وروحه، وقد نصادف في الشعر المعاصر ما هو مجرد اقتداء وتقليد للنماذج الأصلية لأشعار قديمة.

لقد حاول الشاعر المعاصر أن يضع لنفسه جماليته الخاصة سواء في ذلك ما يتعلق بالشكل والمضمون وهو في تحقيقه لهذه الجماليات يتأثر كل التأثر بحساسيات العصر وذوقه ونبضه، فجاء الشعر المعاصر محاولة لاستيعاب الثقافة الإنسانية بعامة وبلورتها وتحديد موقف الإنسان المعاصر منها، من أجل أن يحقق نوعًا من وحدة

﴿ لقد أخل الناقد العربي حينما وضع الحداثة في موضع التعارض مع مفاهيم أدبية وثقافية سابقة عليها (التراث) فملء الساحة الأدبية والنقدية بعشرات العناوين المثيرة منها (الأصالة والتقليد، السلفيون والتحديثيون، الخصوصية والشمولية، الأنا والآخر، التقدم والتخلف، المادة والروح، الدين والعلم) ﴾

﴿ إنّ نظرة سريعة على الشعر العربي المعاصر سوف نجده ملتفًا بالغموض ومدثرًا بالإبهام والغرابة، بل ربما نجده يدور حول البحث عن المجهول أو المطلق بلغة لم تعهدها الذائقة العربية مما يصدم المتلقي ويحدث شرخًا في بنية نظامه المعرفي التي تعود عليها (عمود الشعر) أو «الشعر كلام موزون مقفى» ﴾

﴿ لقد حاول الشاعر المعاصر أن يضع لنفسه جماليته الخاصة سواء في ذلك ما يتعلق بالشكل والمضمون وهو في تحقيقه لهذه الجماليات يتأثر كل التأثر بحساسيات العصر وذوقه ونبضه، فجاء الشعر المعاصر محاولة لاستيعاب الثقافة الإنسانية بعامة وبلورتها وتحديد موقف الإنسان المعاصر منها، من أجل تحقيق نوعًا من وحدة الفكر، فصارت كل قضية إنسانية يعيشها الإنسان في أي مكان على وجه الأرض هي قضية الإنسان كل الإنسان حيث ما كان ﴾

الفكر، فصارت كل قضية إنسانية يعيشها الإنسان في أي مكان على وجه الأرض هي قضية الإنسان كل الإنسان حيث ما كان.

لقد ارتبط الشعر المعاصر بالإطار الحضاري العام لعصرنا في مستوياته الثقافية والاجتماعية والسياسية المختلفة وهو في هذا الإطار ليس جديدًا وليس بدعًا، فقد كان الشعر دائمًا معبّرًا عن روح الإطار الحضاري المتميّز في كل عصر ومن ثم يُعد كل الشعر عصريًا بالقياس إلى عصره، ويرى الدكتور عز الدّين إسماعيل أن الشعر المعاصر لم يُسقط الزمن الماضي وما فيه من تراث من حسابه ولم يبتر الحاضر عن الماضي والمستقبل، وإنما أكد على ارتباط الحاضر بالماضي أو الواقع بالتاريخ.

كما يؤكد الدكتور عز الدّين إسماعيل على أن الشاعر المعاصر الذي ينفصل عن جذوره إنما يشبه النبات الذي يعيش على سطح ما، فلا يقوى على مقاومة التيارات العنيفة ويقدم لنا مثالًا عن ارتباط الشاعر المعاصر بالتراث من خلال مقطع من قصيدة فصل المواقف أدونيس:

« أقرا عليها صورة مريم
أهز فوقها جذوعي من الشوق والحلم
وأرسلها إلى أحبابي
مليئة كالتفاحة
خفيفة وخضراء كمهرة الخضر».

هنا نلمس صدى الآية الكريمة ﴿ وَهُزِّيٓ إِلَيۡكِ بِجِذۡعِ ٱلنَّخۡلَةِ ﴾وهو استغلال شعري بين الأبعاد النفسية التي أخذتها الآية الكريمة في نفس الشاعر.

لقد حاول الشاعر المعاصر استيعاب التاريخ كله من منظور عصره، وفكرة الإنسان كما نعرف فكرة مرنة متنقلة وهي حية تنتقل وتشكل في كل عصر أشكال مختلفة، فعلاقة الشاعر والشعر بالتراث الإنساني علاقة جدلية لأن الشاعر المعاصر لا يقبل الموروث كله ولا يرفضه كله، وإنّما تتمثل بينهما علاقة من التفاعل والتجاذب يصطفي من خلالها الشاعر من التراث ما يتناسب وروح العصر.

ولنا هنا أن نتوقف عند أبي القاسم الشابي في مداخلته حول الخيال الشعري عند العرب التي حاكم فيها الشعر العربي بأسره بمنطق رومنطقية القرن 19م في أوروبا وفرض عليه معاييرها حين قال: «قد انتهى بي البحث في الأدب العربي وتتبع روحه في أهم نواحيه إلى فكرة شائعة فيه شيوع النور في الفضاء لا يشذ عنها قسم من أقسامه ولا ناحية من نواحيه. وهذه الفكرة هي أنه أدب مادي لا سُمو فيه ولا إلهام ولا تشوف إلى المستقبل ولا نظرة إلى صميم الأشياء ولباب الحقائق، وأنه كلمة ساذجة لا تعبر عن معنى عميق بعيد القرار، ولا تفصح عن فكر يتصل بأقصى ناحية من نواحي النفوس»[4].

وصولًا إلى موقف أدونيس المطابق لما جاء به الشابي

إن أدونيس من خلال قوله لم يأتِ بنظرة عميقة ومثقفة في قضية العلاقة بين الشاعر وتراثه، فهو لم يزد شيئًا مما كان يتردد في بدايات ما كان يسمى بالحركة الرومنطقية العربية، لأنه مازال يظُن أن علاقة الشاعر العربي المعاصر بتراثه تعني تقبل تجارب الشعراء الآخرين السالفين وأقوالهم

فأدونيس يختصر الشعر العربي بأسره ويسحبه على الإنسان العربي في عصرنا بقوله: «وإذا عرفنا أن الجاحظ لا يُميز الشعر والخطابة بل يرى أنهما واحد أدركنا كيف أنَّ الشعر العربي يقوم على فضائل الأمية والبداهة والارتجال وهي فضائل لا يزال يعتمدها معظم العرب المحدثين قراء ونقاد وشعراء»، ويقول كذلك في كتابه (الثابت والمتحوّل) إذا سُئلت كيف تحدد علاقتك أنت الشاعر بتراثك العربي؟ أُجيب أولًا لا معنى لهذا السؤال، ذلك أنني لا أستطيع أن أحدد علاقتي مع شيء غائم غير محدد، وإنما أحددها مع شيء معين، وأجيب ثانيًا بتساؤل ماذا تعني العلاقة هنا؟

ويرى أدونيس: بأنه إذا كان هذا السؤال مطروحًا بمنطق الثقافة السائدة فإن هذه العلاقة تعني أن أكون مؤتلفًا مع تراثي أي أن لا آتي بشيء إذا لم يكن أسلافي من الشعراء عرفوه ومارسوه وأقّروه، ومن ناحية أخرى يرى أدونيس: بأن نفس السؤال إذا كان بمنطق الرؤية الإبداعية فإن هذه العلاقة تعني أن أكون مختلفًا عن أسلافي من الشعراء بل أكثر لا يكون الشاعر العربي نفسه حقًا إلا إذا اختلف عن أسلافه ، فكل إبداع اختلاف.

إن أدونيس من خلال قوله لم يأتِ بنظرة عميقة ومثقفة في قضية العلاقة بين الشاعر وتراثه، فهو لم يزد شيئًا مما كان يتردد في بدايات ما كان يسمى بالحركة الرومنطقية العربية، لأنه مازال يظُن أن علاقة الشاعر العربي المعاصر بتراثه تعني تقبل تجارب الشعراء الآخرين السالفين وأقوالهم فهو كثيرًا ما يردد قوله: «إن أشكال التعبير* الموروثة لغة وبناء إنما هي بمثابة القشرة والسطح، ولا بد من تمزيقها لكي نصل إلى لغة وبناء جديدين»، وفي السياق نفسه يواصل قائلاً: «إنّ العلامة الأولى للجدة الشعرية هي في إيصال الاتصال أي في نفي السائد المعمم ورفض الاندراج فيه والانفصال عن الكلي العمقي، فالرفض أو النفي هو بهذا المعنى علامة الأصالة إلى كونه علامة الجدة».

إنّ ما يطرحه أدونيس في كلامه عن علاقة الشعر المعاصر بالتراث ربما يعاني من اختلاف المنهج فقد حاول الإفادة من علم اللسانيات الذي ارتكز عليه البنيويون في دراساتهم النقدية عندما أراد إثبات انقطاع الشعر المعاصر عن التراث فلجأ إلى التحديد الذي وضعه (فرديناند دوسوسير)للتفريق بين اللسان والكلام من حيث إنّ اللسان هو النظام اللغوي التي تحكمه مجموعة من القوانين والأعراف ويتشكل ضمنه الكلام وهو مجموع التجليات الواقعية لهذا النظام، فاللسان هنا حسب أدونيس هو اللغة العربية بكل ما تحمله وما تضمنته من احتمالات تعبيرية وليس مجموع ما قيل أو كُتب باللغة العربية حتى اليوم.

وقياسًا على هذا التفريق فإنّ أدونيس يرى أن هوية الشاعر العربي لا تتحدد بالشكل الكلامي الذي نطق به أسلافه الشعراء وإنما تتحدد بخصوصية اللسان العربي، ومن ثم فاللغة العربية ليست هي الشعر الجاهلي وكلام شاعر جاهلي ما لا ينبع من كلام شاعر جاهلي آخر، بل ينبع من اللسان العربي.

ومن هنا يستنتج أدونيس أن مسألة الوزن والقافية تصبح مسألة كلامية لا لسانية ومن ثم يمكن للسان العربي أن يتجسد شعرًا في بنية كلامية غير بنية الوزن والقافية، ليصل بذلك إلى تحديد ثلاثة أسس تُقوّم العلاقة بين الشاعر العربي وتراثه:

1 - أن الشاعر العربي الحديث أيًا كان كلامه أو أسلوبه وأيًا كان اتجاهه هو تموج في ماء التراث، لأنه يكتب باللغة العربية.

2 - أن هذا الشاعر يتواصل في المد الشعري حتى يكون ضديًا.

3 - لا يمكن لهذا التواصل أن يكون فعالًا يُغني الإبداع الشعري إلا إذا كان انقطاعًا عن كلام الشعراء السالفين حتى لا يصبح الشعر تقليدًا.

وهنا ترى الدكتورة ريتا عوض أن أدونيس قد أخلط بين اللغة والأدب، فقد اعتبر أن الكلام هو مجموعة القصائد الشعرية العربية الكلاسيكية، وأن اللسان هو اللغة العربية ليحاول بذلك الوصول إلى نتيجة مفادها أنّ كل ما يكتب باللغة العربية هو بالضرورة تراثي، فإذا كان الكلام شعريًا هو مجموع ما أُبدع من قصائد فإن اللسان هو الشعر من حيث هو نظام تُستنتج مبادئه من التجليات الشعرية الموجودة، ويتخطاها بتحويل هذه المبادئ إلى إطار يضم الشعر، فتصبح هذه المبادئ بالنسبة للشعر كما هو علم اللغة من حيث هو موجه وقياس، وفي هذا الإطار يتم الإبداع لا بما هو استنساخ لنماذج شعرية جاهلية أو أموية أو عباسية، وضمن ذلك غزلية أو رثائية أو هجائية أو ذات وحدة أو تنوع أو إلغاء للوزن والقافية بل بما هو إبداع لقصائد جديدة ضمن إطار العبقرية

الشعرية العربية.

إنّ أدونيس في حديثه عن الحداثة لم يكن سوى استمرار للمذهب الرومنطقي* الذي قام الشعر والنقد في الغرب على أساس نقضه، فأدونيس حاول نفي وإلغاء قضية العلاقة بين المعاصرة والتراث عندما رأى بأن أي كلام أو أسلوب أو اتجاه معاصر مهما كان مرتبطًا بالتراث محاولًا أن يدعي لمفاهيمه صبغة الموضوعية والمنهجية حين عاد إلى اللسانيات غير أنه أساء تطبيقه على الشعر حين وقف موقفًا ضديًّا من التراث عندما توهم أن الإبداع انقطاع عن التراث، بينما الحقيقة أن الاتجاه النبوي في النقد العربي الذي استفاد من علم اللسانيات قام على التأكيد على ارتباط القصيدة الواحدة بالتراث الشعري من دون الوقوع في وهم الخوف من النقل أو الاتباع أو الاستنساخ.

وهذا ما يمكن تفسيره بعودة الأدب الحديث الغربي إلى الأسلوب الملحمي في أعمال أدبية أساسية خصوصًا مع جيمس جويس في كتابه يوليسيز (عوليس)، الذي استلهم فيه البناء الملحمي الهوميري، كما نجد إليوت يعرف التراث، قائلاً: «إن التراث يتضمن أساسًا الحس التاريخي الذي ينطوي على إدراك نافذ ليس لماضوية الماضي فحسب بل لحضوره، وهو يُلزم الشاعر بأن يكتب لا بوعي الانتماء إلى جيله فحسب بل بتأثير الشعور بأن أدب بلاده بأسره موجود بشكل متزامن ويُؤلف نظامًا متزامنًا، هذا الحس التاريخي هو حس بالسرمدي وهو حس بالزمني أيضًا كما أنه حس بالسرمدي والزمني معًا وهو في الوقت نفسه ما يجعل الكاتب يعي بحدة مكانه في الزمن أي كونه معاصرًا»[5] .

إنّ منهج المقارنة أو الموازنة استبد بشعرائنا ونقادنا في معظم الحالات، فما كادوا يدرسون شيئًا من الشعر المعاصر حتى عكسوه على الشعر القديم قاصدين بذلك بيان روعة الجديد وتميُّزه عن القديم، والأمر سيان كذلك بالنسبة لمن يدرسون الشعر القديم فإن تعاطفهم معه وإعجابهم به دفعهم إلى تهجين الجديد والمجدِّدين وهكذا أحدث شقاق مفتعل لم ينتفع منه أحد.

وعلى الدارسين والنقاد الخروج من ربقة هذا التصور وهنا دون إنكار أهمية الموروث العربي في أي دراسة نقدية ومحاولة اكتشاف قيمته وخصوصياته، وكذلك بالنسبة لعلاقة الشعر المعاصر أو أي تجربة شعرية جديدة بالتراث الأدبي فهي ليست علاقة عداء، فالمغايرة لا تعني المعاداة فإذا كانت التجربة الجديدة تختلف في منحاها الجمالي شكلاً وموضوعًا عن منحى الشعر القديم، فينبغي أن لا نسرع فنستخلص من هذا أن أصحاب التجربة الجديدة يعادون التراث، فالشعر المعاصر وليدًا شرعيًّا لكل ما سبقه من اتجاهات.

ولنا هنا أن نتأمل في التجارب الشعرية الأولى من خلال المحاولات الأولى فرغم ما ظهر فيما من مغايرة نسبية لإطار الشعر القديم شكلاً وموضوعًا فهي قريبة بروحها

إنّ العودة إلى التراث ليست عودة لإحياء الأنماط والنماذج التي استقرت في قوالب جادة، بل العودة إلى الينابيع التي تفجرت منها روح حيوية وولدت أنماطًا جديدة

من الشعر القديم، بل إن بعض رواد الحركة الجديدة يحدثوننا عن تأثرهم بشعر علي محمود طه، ومحمود حسن إسماعيل، وإبراهيم ناجي، وبخاصة في العراق مع ظهور بواكير التجربة الجديدة على يدي عبد الوهاب البياتي، وبدر شاكر السَّياب ونازك الملائكة.

فالشاعر الواعي والمثقف يستطيع بنفسه أن يكتشف علاقته بتراثه وتحديد موقفه ضمن ذلك التراث الحي المتواصل في الإبداع الحديث، وعلى الناقد الأدبي أن يضع الأسس العامة ويثبت المبادئ الفكرية ويكشف عن الأعمال الأدبية المهمة والكبيرة، ويعلل تميُّزها مستنتجًا بذلك مبادئ نقدية تواكب الحركة الأدبية وتعززها بالنظرية وتدعمها بالفكر.

والناقد العربي ملزم حين ينظر في التجربة الشعرية الحديثة أن ينظر على أنها نضجت عبر ذُرى إبداعية جليلة، وأثبتت وجودها في إطار التراث لا غير، فقد كان الأصليون من رواد النقد الأدبي العربي مدركين لدورهم الحضاري وموقعهم النهضوي فكانوا واعين لعلاقتهم بالتراث، وعليه فيجب أن تكون الحداثة حداثة من يعي ذاته الحضارية ويعي غيره بوعيِّه لذاته، ومنه على الشاعر العربي المعاصر اختيار سبيل لثورته لتحقيق النهضة كغاية وأن يحدد علاقته بالتراث عن طريق اكتشاف العناصر الحية فيه التي تمكنه من الارتباط بها والتأسيس عليها والانطلاق منها.

إنّ العودة إلى التراث ليست عودة لإحياء الأنماط والنماذج التي استقرت في قوالب جادة، بل العودة إلى الينابيع التي تفجرت منها روح حيوية وولدت أنماطًا جديدة، ويعد الشاعر خليل حاوي بوعيه وثقافته وتجربته الشعرية خير من عبر عن مسألة التراث وعلاقته بالحداثة والتجربة الشعرية حين قال: «حين أُعيد النظر في نهضة الشعر العربي أرى أننا كنا نحاول واعين أن نحدِث ثورة، تجعل الشعر الحديث ينفصل عن الشعر العربي بقدر ما يتصل به، وكان كل منا يحاول الانطلاق مما يراه عناصر حية في التراث، وأعتقد أن كل نهضة شعرية في أمة تحمل تراثًا شعريًّا عريقًا متراكمًا لا بد لها العودة إلى الينابيع الأصلية التي كانت مصدر كل نهضة في الماضي»[6] .

لقد حاول خليل حاوي من خلال هذا النص أن يُبين لنا بأنه علينا إدراك البعد الحضاري للشعر وأن نكون واعين لدوره الحقيقي، لأن دور الشاعر هو تحقيق البعث الحضاري من خلال إعادة ربط الشعر بالبناء الحضاري الذي ينبثق الشعر عنه ويكون صورة له، فالشاعر الحقيقي هو الشاعر الذي يعي جيدًا ويدرك العلاقة الجدلية التي تربط بين الإنسان والحضارة، من حيث الإنسان هو أبو الحضارة وابنها، وهو الفاعل فيها والمنفعل بها، وعلى الشاعر العربي المعاصر أن يعي التحديات التي تواجهها الأمة العربية، لأنه جزء منها بمعاناته العميقة، فالشعر لم يعد بوحًا ذاتيًا ولا انعكاسًا لهموم شخصية ولا وصفًا لمظاهر خارجية فقد اتجه اليوم الشاعر المعاصر إلى التعبير عن ضمير الأمة في همومها الحضارية.

إنّ الماضي يجب أن يبدله الحاضر كما أن الحاضر يوجهه الماضي والشاعر الواعي والناقد المتمرس يكون واعيًا لمدى الصعوبات الكبيرة التي يواجهها ولمسؤولياته العظيمة، فالتعبير الشعري في تراثنا القديم وفي عصرنا الحديث انعكاسًا للاتجاهات الحضارية والتوجهات الفكرية، ومنه كان اللقاء بين الأصيل من الشعر العربي الحديث والتراث لقاء تواصل وإبداع.

فالعلاقة بين الحداثة والتراث قضية يطرحها كل عمل فني يتم إبداعه، وعلى نُقادنا أن يتمكنوا من وضع أسس نظرية لمفهوم الحداثة في الأدب، وأن يرسوا مبادئ فكرية تحدد علاقة الشاعر والأديب بتراثه وبالتراث الإنساني ككل، حتى نتمكن من دراسة شعرنا دراسة جدية وقيِّمة من خلال الوعي التام بأهمية التراث، لا في مجال الشعر فحسب، بل على جميع المستويات الحضارية والثقافية، فالأمة التي لا تعي ماضيها تعيش على هامش التاريخ الحاضر وتمارس ضد ذاتها عملية إبادة.

الهوامش

1 - قدامة بن جعفر: نقد الشعر، ص: 64 .

2 - زكي نجيب محمود نجيب: فلسفة وفن ، ص: 345 .

3 - عز الدين إسماعيل: الشعر العربي المعاصر قضاياه وظواهره الفنية و المعنوية .

4 - ريتا عوض: تراثنا والحاجة إلى نظرة موضوعية ، العدد 609 ابريل، 2001، ص: 69 .

* مؤسس علم اللسانيات الحديث .

* مذهب قام على رفض الكلاسيكية .

5 - نقلاً عن: مجلة العربي الكويتية، الشعر والتراث تواصل أم انقطاع، رينا عوض، عدد 508، 2001م، ص:22.

نقلاً عن: مجلة العربي الكويتية، الشعر والتراث تواصل أم انقطاع، رينا عوض، عدد 508، 2001م، ص:22.

6 - نقلاً عن: مجلة العربي الكويتية، الشعر والتراث تواصل أم انقطاع، رينا عوض، عدد 508، 2001م، ص:22.

نزار قباني .. عاشق دمشق



يقول: «لا أستطيعُ أن أكتبَ عن دمشق، دون أن يُعرِّشَ الياسمين على أصابعي.
ولا أستطيع أن أنطقَ اسمها، دون أن يكتظَّ فمي بعصير المشمش، والرمان، والتوت، والسفرجلْ.
ولا أستطيع أن أتذكّرها، دون أن تحطَّ على جدران ذاكرتي ألف حمامة .. وتطير ألف حمامة».
تتوغَّل «دمشق» في لغة الشاعر، إلى حَدّ أنّ أبجديتها ليست إلا صورةً، تمثيلاً لكائنات المكان:
«كلُّ حروف أبجديتي مُقتلعةٌ حجراً حجراً من بيوت دمشق ... وأسوار بساتينها، وفسيفساء جوامعها...
قصائدي كلُّها معمَّرة على الطراز الشامي ..
كلُّ ألفٍ رسمتها على الورق هي مئذنةٌ دمشقية ..
كلُّ ضَمّة مستديرة هي قُبَّةٌ من قباب الشام ..
كلُّ حاءٍ هي حمامةٌ بيضاء في صحن الجامع الأمويّ ...
كلُّ عينٍ هي عينُ ماء ..
كلُّ شينٍ هي شجرةُ مشمشٍ مُزهرَة ..
كلُّ سينٍ هي سنبلةُ قمح ..
كلُّ ميمٍ هي امرأةٌ دمشقية .. وما أكثر الميمات في دواوين شعري ..
وهكذا تستوطن دمشق كتابتي، وتشكّلُ جغرافيتها جزءاً من جغرافية أدبي ..»

شاعر لا يتكرر ملء الدنيا بشعره، وهو واحد من أكبر شعراء العربية المعاصرين كتب الغزل ووصف دمشق ومآذنها وأزقتها وكتب عن هموم الأمة العربية.

تميزت قصائده بلغة سهلة وجدت بسرعة ملايين القراء في أنحاء العالم العربي.

ولد نزار قباني في 21 آذار/مارس 1923 في حي مئذنة الشحم ..أحد أحياء دمشق القديمة من أسرة دمشقية عريقة إذ يعد جده أبو خليل القباني رائد المسرح العربي.

يقول عن نفسه: «ولدت في دمشق في آذار/مارس 1923 بيت وسيع، كثير الماء والزهر، من منازل دمشق القديمة، والدي توفيق القباني، تاجر وجيه في حيه، عمل في الحركة الوطنية ووهب حياته وماله لها. تميز أبي بحساسية نادرة وبحبه للشعر ولكل ما هو جميل. ورث الحسّ الفني المرهف بدوره عن عمه أبي خليل القباني الشاعر والمؤلف والملحن والممثل وباذر أول بذرة في نهضة المسرح المصري.

امتازت طفولتي بحب عجيب للاكتشاف وتفكيك الأشياء وردها إلى أجزائها ومطاردة الأشكال النادرة وتحطيم الجميل من الألعاب بحثًا عن المجهول الأجمل. عنيت في بداية حياتي بالرسم. فمن الخامسة إلى الثانية عشرة من عمري كنت أعيش في بحر من الألوان. أرسم على الأرض وعلى الجدران وألطخ كل ما تقع عليه يدي بحثًا عن أشكال جديدة. ثم انتقلت بعدها إلى الموسيقى ولكن مشاكل الدراسة الثانوية أبعدتني عن هذه الهواية.

وكان الرسم والموسيقى عاملين مهمين في تهيئتي للمرحلة الثالثة وهي الشعر. في عام 1939، كنت في السادسة عشرة. توضح مصيري كشاعر حين كنت وأنا مبحر إلى إيطاليا في رحلة مدرسية. كتبت أول قصيدة في الحنين إلى بلادي وأذعتها من راديو روما. ثم عدت إلى استكمال دراسة الحقوق.

تخرج نزار قباني في كلية الحقوق بدمشق 1944 ، ثم التحق بالعمل الدبلوماسي، وتنقل خلاله بين القاهرة، وأنقرة، ولندن، ومدريد، وبكين، ولندن.

عمل فور تخرجه بالسلك الدبلوماسي بوزارة الخارجية السورية، وتنقل في سفاراتها بين مدن عديدة، خاصة القاهرة ولندن وبيروت ومدريد، وبعد إتمام الوحدة بين مصر وسوريا عام 1959، تم تعيينه سكرتيرًا ثانيًا للجمهورية المتحدة في سفارتها بالصين.

وظل نزار متمسكًا بعمله الدبلوماسي حتى استقال منه عام 1966 .

تناولت دواوينه الأربعة الأولى قصائد رومانسية. وكان ديوان (قصائد من نزار قباني) الصادر عام 1956 نقطة تحول في شعر نزار قباني، حيث تضمن هذا الديوان قصيدة (خبز وحشيش وقمر) التي انتقدت بشكل لاذع خمول المجتمع العربي. طالب رجال الدين في سوريا بطرده من الخارجية وفصله من العمل الدبلوماسي في منتصف الخمسينيات، بعد نشر قصيدة الشهيرة (خبز وحشيش وقمر) التي أثارت ضده عاصفة شديدة وصلت إلى البرلمان.

كان يتقن اللغة الإنجليزية، خاصة وأنه تعلّم تلك اللغة على أصولها، عندما عمل سفيرًا لسوريا في لندن بين عامي 1952 – 1955.

تميز قباني أيضًا بنقده السياسي القوي، من أشهر قصائده السياسية (هوامش على دفتر النكسة) 1967 التي تناولت هزيمة العرب على أيدي إسرائيل التي سميت بالنكسة. من أهم أعماله: (حبيبتي) 1961، (الرسم بالكلمات) 1966، و(قصائد حب عربية) 1993.

وفي ربيع 1966، ترك نزار العمل الدبلوماسي وأسس في بيروت دارًا للنشر تحمل اسمه (منشورات نزار قباني)، وتفرغ للشعر. وكانت ثمرة مسيرته الشعرية إحدى وأربعين مجموعة شعرية ونثرية، كانت أولاها (قالت لي السمراء) 1944 ، وكانت آخر مجموعاته (أنا رجل واحد وأنت قبيلة من النساء) 1993 .

نقلت هزيمة 1967 شعر نزار قباني نقلة نوعية: من شعر الحب إلى شعر السياسة والرفض والمقاومة؛ فكانت قصيدته (هوامش على دفتر النكسة) 1967 التي كانت نقدًا ذاتيًا جارحًا للتقصير العربي، مما أثار عليه غضب اليمين واليسار معًا.

توفي في الثلاثين من نيسان/ أبريل 1999.

وقد طبعت جميع دواوين نزار قباني ضمن مجلدات تحمل اسم (المجموعة الكاملة لنزار قباني)، وقد أثار شعر نزار قباني الكثير من الآراء النقدية والإصلاحية حوله، وألفت حوله العديد من الدراسات والبحوث

الأكاديمية وكتبت عنه كثير من المقالات النقدية.

قال النقاد عن نزار أنه (مدرسة شعرية) و(حالة اجتماعية وظاهرة ثقافية) وأسماهُ حسين بن حمزة (رئيس جمهورية الشعر). كما لقبّه (أحد آباء القصيدة اليومية): إذ قرّب الشعر من عامة الناس. الأديب المصري أحمد عبد المعطي حجازي وصف نزار بكونه «شاعر حقيقي له لغته الخاصة، إلى جانب كونه جريئًا في لغته واختيار موضوعاته»، لكنه انتقد هذه الجرأة «التي وصلت في المرحلة الأخيرة من قصائده لما يشبه السباب». الشاعر علي منصور قال إن نزار قد حفر اسمه في الذاكرة الجماعيّة، وأنه شكل حالة لدى الجمهور «حتى يمكن اعتباره عمر بن أبي ربيعة في العصر الحديث».

له أيضًا دور بارز في تحديث مواضيع الشعر العربي (الحديث) إذ ترأس طقوس الندب السياسي وكذلك لغته، إذ كان نزار مع الحداثة الشعرية، وكتب بلغة أقرب إلى الصحافة تصدم المتعوّد على المجازات الذهنية الكبرى. وقد ألقت حداثته بظلال كثيفة على كل من كتب الشعر، وذلك لكون قصائد نزار سريعة الانتشار.

من ناحية ثانية، كانت قصيدته «خبز وحشيش وقمر» سببًا بجدال ضخم انتشر في دمشق ووصل حتى قبة البرلمان، نتيجة اعتراض بعض رجال الدين عليه ومطالبتهم بقتله، فما كان منه إلا أن أعاد نشرها خارج سوريا، وقبل ذلك عام 1946 كتب الشيخ رفاعة الطهطاوي في القاهرة عام 1946، مقالة جاء فيها:

«كلامه مطبوع على صفة الشعر، لكنه يشمل على ما يكون بين الفاسق والقارح والبغي المتمرسة الوقحة»، وقال أيضًا: «في الكتاب تجديد في بحور العروض، يختلط فيه البحر البسيط والبحر الأبيض المتوسط، وتجديد في قواعد النحو، لأن الناس ملّوا رفع الفاعل ونصب المفعول». رغم ذلك فقد قررت محافظة دمشق تسمية الشارع الذي ولد فيه على اسمه، وحينها قال نزار إثر قرار المحافظة:

هذا الشارع الذي أهدته دمشق إليّ، هو هدية العمر وهو أجمل بيت أمتلكه على تراب الجنّة. تذكروا أنني كنت يومًا ولدًا من أولاد هذا الشارع لعبت فوق حجارته وقطفت أزهاره، وبللت أصابعي بماء نوافيره.

ما يثير الانتباه في شعرية نزار قباني هذا الحضور العنيف للمكان. وعلى وجه التحديد حضور دمشق المدينة التي ما فتئت تحفر في صورته وجسده. المكان الذي لا يستطيع نزار التملص من سطوته واستحواذه.

مآذنُ الشّام تبكي إذ تعانقني   وللمآذنِ كالأشجارِ أرواحُ
للياسمينِ حقولٌ في منازلنا   وقطّةُ البيتِ تغفو حيثُ ترتاحُ
طاحونةُ البنِّ جزءٌ من طفولتنا   فكيفَ أنسى؟ وعطرُ الهيلِ فوّاحُ
هذا مكانُ (أبي المعتزِّ) منتظرٌ   ووجهُ (فائزة) حلوٌ ولمّاحُ
هنا جذوري هنا قلبي هنا لغتي   فكيفَ أوضحُ؟ هل في العشقِ إيضاحُ؟
كم من دمشقيةٍ باعت أساورَها   حتّى أغازلها والشعرُ مفتاحُ
أتيتُ يا شجرَ الصفصافِ معتذراً   فهل تسامحُ هيفاءٌ ووضّاحُ؟
خمسونَ عاماً وأجزائي مبعثرةٌ   فوقَ المحيط وما في الأفقِ مصباحُ
تقاذفتني بحارٌ لا ضفافَ لها   وطاردتني شياطينٌ وأشباحُ
أقاتلُ القبحَ في شعري وفي أدبي   حتى يفتّحَ نوّارٌ وقدّاحُ
ما للعروبةِ تبدو مثلَ أرملةٍ؟   أليسَ في كتبِ التاريخِ أفراحُ؟
والشعرُ ماذا سيبقى من أصالتهِ؟   إذا تولاهُ نصّابٌ ومدّاحُ؟
وكيفَ نكتبُ والأقفالُ في فمنا؟   وكلُّ ثانيةٍ يأتيك سفّاحُ؟
حملت شعري على ظهري فأتعبني   ماذا من الشعرِ يبقى حينَ يرتاحُ؟

من مفكرة عاشق دمشقي

فرشت فوق ثراك الطاهر الهدبا   فيا دمشق... لماذا نبدأ العتبا؟
حبيبتي أنت... فاستلقي كأغنيةٍ   على ذراعي، ولا تستوضحي السببا
أنت النساء جميعاً.. ما من امرأةٍ   أحببت بعدك.. إلا خلتها كذبا
يا شام، إن جراحي لا ضفاف لها   فمسحي عن جبيني الحزن والتعبا
وأرجعيني إلى أسوار مدرستي   وأرجعي الحبر والطبشور والكتبا
تلك الزواريب كم كنز طمرت بها   وكم تركت عليها ذكريات صبا
وكم رسمت على جدرانها صوراً   وكم كسرت على أدراجها لعبا
أتيت من رحم الأحزان... يا وطني   أقبل الأرض والأبواب والشهبا
حبي هنا.. وحبيباتي ولدن هنا   فمن يعيد لي العمر الذي ذهبا؟
أنا قبيلة عشاق بكاملها   ومن دموعي سقيت البحر والسحبا
فكل صفصافةٍ حولتها امرأةً   و كل مئذنةٍ رصعتها ذهبا
هذي البساتين كانت بين أمتعتي   لما ارتحلت عن الفيحاء مغتربا
فلا قميص من القمصان ألبسه   إلا وجدت على خيطانه عنبا
كم مبحر.. وهموم البر تسكنه   وهارب من قضاء الحب ما هربا
يا شام، أين هما عينا معاوية   وأين من زحموا بالمنكب الشهبا
فلا خيول بني حمدان راقصةٌ   زهواً... ولا المتنبي مالئٌ حلبا
وقبر خالد في حمص نلامسه   فيرجف القبر من زواره غضبا
يا رب حي.. رخام القبر مسكنه   ورب ميت.. على أقدامه انتصبا
يا ابن الوليد.. ألا سيفٌ تؤجره؟   فكل أسيافنا قد أصبحت خشبا
دمشق، يا كنز أحلامي ومروحتي   أشكو العروبة أم أشكو لك العربا؟
أدمت سياط حزيران ظهورهم   فأدمنوها.. وباسوا كف من ضربا
وطالعوا كتب التاريخ.. واقتنعوا   متى البنادق كانت تسكن الكتبا؟
سقوا فلسطين أحلاماً ملونةً   وأطعموها سخيف القول والخطبا
وخلفوا القدس فوق الوحل عاريةً   تبيح عزة ..... لمن رغبا..
هل من فلسطين مكتوبٌ يطمئنني   عمن كتبت إليه.. وهو ما كتبا؟
وعن بساتين ليمون، وعن حلم   يزداد عني ابتعاداً.. كلما اقتربا
أيا فلسطين.. من يهديك زنبقةً؟   ومن يعيد لك البيت الذي خربا؟
شردت فوق رصيف الدمع باحثةً   عن الحنان، ولكن ما وجدت أبا..
تلفتي... تجدينا في مباذلنا..   من يعبد الجنس، أو من يعبد الذهبا
فواحدٌ أعمت النعمى بصيرته   فانحنى وأعطى الغواني كل ما كسبا
وواحدٌ ببحار النفط مغتسلٌ   قد ضاق بالخيش ثوباً فارتدى القصبا
وواحدٌ نرجسيٌّ في سريرته   وواحدٌ من دم الأحرار قد شربا
إن كان من ذبحوا التاريخ هم نسبي   على العصور.. فإني أرفض النسبا
يا شام، يا شام، ما في جعبتي طربٌ   أستغفر الشعر أن يستجدي الطربا
ماذا سأقرأ من شعري ومن أدبي؟   حوافر الخيل داست عندنا الأدبا
وحاصرتنا.. وآذتنا.. فلا قلمٌ   قال الحقيقة إلا اغتيل أو صلبا
يا من يعاتب مذبوحاً على دمه   ونزف شريانه، ما أسهل العتبا
من جرب الكي لا ينسى مواجعه   ومن رأى السم لا يشقى كمن شربا
حبل الفجيعة ملتفٌ على عنقي   من ذا يعاتب مشنوقاً إذا اضطربا؟
الشعر ليس حمامات نطيرها   نحو السماء، ولا ناياً.. وريح صبا
لكنه غضبٌ طالت أظافره   ما أجبن الشعر إن لم يركب الغضبا

الواقعية السحرية في أعمال ماريو بارغاس يوسا (صاحب نوبل)



د. أنور محمود زناتي

جامعة عين شمس- مصر

أعلنت الأكاديمية الملكية السويدية يوم الخميس 7 تشرين الأول (أكتوبر) 2010 فوز أديب بيرو الشهير « ماريو بارغاس يوسا» mario Vargas llosa بجائزة نوبل للآداب لهذا العام، وأبرزت الأكاديمية حصول الأديب اللاتيني على الجائزة لقدرته على « رسم هياكل السلطة، وصوره الراسخة للمقاومة والثورة وهزيمة الفرد». ويوسا يعد من أعلام الأدباء في أمريكا اللاتينية.

أدب أمريكا اللاتينية الواقعية السحرية
Magic Realism

وقد تطور أدب أمريكا اللاتينية منذ الخمسينيات من القرن العشرين ويطلق عليها مدة الازدهار حيث أنتجت عدد كبير من الروايات المهمة لعدد غير قليل من الكتاب والروائيون المبدعون من أمثال كارلوس فونتيس من المكسيك، وخوليوكورتازار من الأرجنتين، وغابريل غارسيا ماركيز من كولومبيا، وماريو فارغاس يوسا من بيرو، ومن أشهر أعمالهم: رواية (بيدرو بارامو) لخوان رولفو (المكسيك) و(مئة عام من العزلة) لغابريل غارسيا ماركيز و(السيميائي) لباولو كويلهو (البرازيل) و(مدينة الوحوش) لإيزابيل الليندي (التشيلي).

ويلجأ هؤلاء الكتاب إلى الاختراع الأدبي في قصصهم ليعبروا عن تراثهم الثقافي، وقد أجروا تجارب على اللغة والبيئة الروائية وكثيرًا ما أدخلوا الخيال الجامح مجتزئين الزمان والمكان، وأدّى هذا الازدهار إلى أسلوب يُعرف بالواقعية السحْرية وهو ما تمتزج فيه الأحلام والسحر بالواقع اليومي وتعد عن الهموم السياسية والاجتماعية والاقتصادية مثل التخلف، الاستبداد، الهيمنة الغربية.

وتعد الغرائبية جزء أساسي من دلالات الواقعية السحرية وفيه يرسم الروائي تفاصيل الحدث رسمًا غاية في البساطة والألفة مما يزيد من حدة الاصطدام بالغريب والمستحيل الحدوث حيث يجاوره ويتداخل فيه.

وكل روائي منهم يضع بصمته الخاصة على إبداعه، رغم أنه يشارك المبدعين الآخرين في همومهم وطموحاتهم، وقد عاش جميعهم أيامًا مليئة بالندوب والجروح، ومع ذلك لم تهزمهم الحياة، بل تمكنوا من الانتصار عليها بفضل ممارستهم للكتابة الإبداعية.

من هنا نلاحظ أن الغرائبية في رواية أمريكا اللاتينية غامرت في الولوج إلى عوالم مجهولة أشبه بالسحر، لكن روعتها تكمن في كونها لم تهرب إلى عالم (الفانتازيا) وتحلق بعيدًا عن هموم الإنسان وقضاياه؛ كل هذا يجعلنا نستنتج بأن أدباء أمريكا اللاتينية كانوا أصحاب مشاريع ثقافية نهضوية، حاولوا مخاطبة واقعهم، دون أن يتخلوا عن الاستفادة من الإنجاز الأوروبي، لهذا كرسوا أدبهم كما كرسوا حياتهم ليزدادوا التصاقًا بشعوبهم، ويعبروا عن هويتهم المتنوعة (الأوروبية، الأفريقية، الهندية) وبذلك استطاعوا تقديم أدب ينطق بخصوصيتهم؛ وهكذا أسهم الانفتاح الثقافي الذي كان رديفا للانفتاح الإنساني في جعل قراءة رواية أمريكا اللاتينية رحلة ممتعة في عوالم الدهشة والجمال والعمق، فغذّت الروح والعقل والمخيلة؛

ألف ليلة وليلة

والواقعية السحرية لها صلة قوية بثقافتنا وتراثنا ، خاصة إذا عرفنا أن معظم ممثلي هذا التيار تحدثوا عن شغفهم بحكايات (ألف ليلة وليلة) وتأثيرها الكبير عليهم وربما استمدوا عدد كبير من أفكار رواياتهم إليها.

وحقيقة أن كل قصاص، في داخل هذا الإطار، له عالمه الخاص، فخوان رولف له عالمه المختلف، وكذلك خورخي لويس بورخيس، وكل منهما مختلف عن عالم ماركيز فعالم بورخيس مأخوذ من ثقافات متعددة، على العكس من عالم ماركيز الذي يقتصر على الصنعة الروائية، وهذا يعني أنه ليس هناك شكل واحد يجمع كل الكتاب في صفة واحدة.

بارغاس يوسا المولد والنشأة

ولد فارغاس يوسا في اريكويبا في بيرو في 28 آذار/ مارس 1936، ونال الجنسية الإسبانية عام 1993 بعد ثلاث سنوات على هزيمته في الانتخابات الرئاسية البيروفية، حيث كان قد ترشح للانتخابات الرئاسية في البيرو عام 1990 لكنه هزم أمام البرتوفوجيموري، ونشأ يوسا مع والدته وجده في مدينة كوشابامبا في بوليفيا قبل أن يعود إلى البيرو في العام 1946، ثم أصبح صحافيًا وانتقل إلى فرنسا عام 1959 حيث عمل مدرسًا للغة وصحافيًا لدى وكالة فرانس برس وكذلك لدى التلفزيون الفرنسي قبل أن يصبح معروفًا بمؤلفاته.

بدأ ماريو حياته شابًا متحمسًا للأفكار اليسارية، ومؤيدًا للثورة الكوبية، لكنه مالبث أن ارتد على عقبيه، وأصبح من أشد المناوئين لها، ولأفكاره اليسارية السابقة، سواء في رواياته، أو في كتاباته الصحفية، ففي روايته (قصة مايتا) يكون البطل (مايتا) شابًا متعاطفًا مع الفقراء رومانسيًا حتى إنه كان يصوم لأن هناك فقراء في بلده!!... ثم يتعرف إلى أفكار اليسار وينضم إلى الحركة اليسارية، ويقوم مع رفاق في الحزب بمحاولة تنظيم تمرد مسلح على الطريقة الغيفارية، فيهاجمون أحد سجون النظام الدكتاتوري، لكن الهجوم يفشل ويزج من تبقى من أعضاء المجموعة في السجن.

عاشق القراءة

يتحدث يوسا عن بدايات مراحل الكتابة لديه قائلاً: الأمر بدأ مع القراءة أنا تعلمت القراءة في الخامسة من عمري، ودائمًا أقول إنه هذا هو الشيء الأهم الذي حصل معي، أتذكر كيف أن القراءة أغنت حياتي وعالمي من خلال الكتب والمغامرات التي كنت أقرؤها، واعتقد أن هذه كانت العلامات الأولى لقلق ما، لحساسية ما إزاء الأدب، كانت والدتي تخبرني أن الأشياء الأولى التي كتبتها كانت تتمات لروايات أو الحكايات التي كنت أقرؤها، فكنت أغير نهاياتها أو أطيلها، وإلى ما هنالك، علماً بأني لا أتذكر شيئًا من هذا، ما أتذكره هو أن القراءة شغلت طفولتي ومراهقتي، فأتذكر بوضوح تام الشخوص التي كنت أصادفها في الروايات أكثر مما أتذكر رفاقي في المدرسة، روايات الكساندر دومًا مثلاً كانت بالنسبة لي شيئًا رائعًا لامثيل له، عشتها كأنها تجربة شخصية، كأني كنت هناك، مع الشخوص، فأعيش تجاربهم حتى تصورت أني واحد من الفرسان الثلاثة أتذكر أيضًا /بؤساء/ فكتور هوغو عندما كنت في بداية صفوفي الثانوية، وقد أكون بدأت الكتابة في تلك الحقبة عندما كنت لا أزال في المدرسة حيث كتبت قصائد وقصصًا قصيرة وحكايات، بيد أني لم أفكر أني سأكرس يومًا حياتي للكتابة.

مناصر القضية الفلسطينية

كان يوسا مناصرًا متحمسًا للقضية الفلسطينية ولحقوق الشعب الفلسطيني خاصة بعد زيارة قام بها للأراضي الفلسطينية، ويعد يوسا زيارته تلك من أسوأ التجارب التي مرّ بها حيث لم يكن يتصور أن معاناة الفلسطينيين وصلت إلي هذا الحد غير الإنساني وأنه ينوي أن يكتب في هذا الموضوع، كما أنه صور فيلمًا توثيقيًا لما شاهده من أعمال وحشية.

ملامح أدب يوسا

جاء في حيثيات اختيارة لجائزة نوبل: «وذلك تتويجًا لأعماله حول بناء السلطة والصور الحادة لمقاومة الأشخاص وثورتهم وإخفاقاتهم».

ويكتب فارغاس يوسا، عن المجتمع العصري في بيرو، وتركز مواضيعه على حقيقة الحياة في بيرو، ويَعكسُ قلقَه للتغيير الاجتماعي، ويناصر المعارك ضدّ الفساد، ويعتمد يوسا على روح الثقافة المحلية، ذات الجذور العميقة الغور في تربة تلك المنطقة، ليعرض أحداثًا ووقائع يصعب تصديقها.

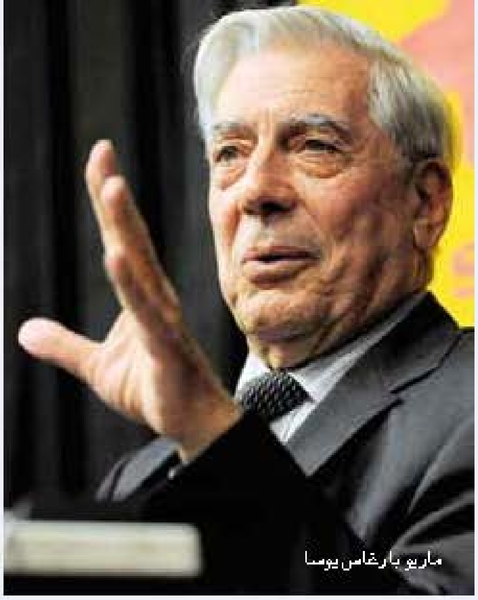
ففي روايته (وقت البطل) 1967، كشف فيها كيفية تجنيد بعض الضباط للعمل في المؤسسات الاستعمارية السرية، للقيام بانقلابات عسكرية لصالح القوى العظمى، وكان يقرّ بأن الرؤساء هم أول من يخونون البلد كلما استشرى الفساد الإداري في المرافق الحكومية.

ووجدنا في روايته (حفلة التيس) يتحدث عن دولة الدومينيكان حيث الطاغية (تروخييو) يعاني صراعًا بين إحساسه بألوهيته وبشريته، فهو تارة فوق قانون الزمن ويحرك الوزراء والشعب والعذراوات وفقًا لهواه من خلف نظارته الداكنة، لمدة ثلاثين عامًا (من -1930 إلى 1960 (زرع الرعب والحذر، وتارة ينقض عليه المرض ليذكره بضعفه البشري، ووجدناه في تلك الرواية الرائعة يتمكن من تحويل الهم الشخصي إلى هم عام يشارك القارئ فيه البطلة أورانيا عندما تواجه الطاغية الجبار.

وفيها وصف لنا ببراعة الراوي المتناقضات، الدكتاتورية والخنوع القوة والخوف والثأر والاستسلام، وحلل دوافع كل (أبطال الاغتيال) واضطراباتهم الداخلية، وأظهر من خلال الرواية ذلك السياسي الذي يعيش داخله كيف يفهم أسرار اللعبة التي تتبدل بها الولاءات والآراء في غمضة عين أو بسرعة طلقة الرصاصة التي أنهت حياة الديكتاتور، يتنقل الراوي بين القصص الإنسانية والأوضاع التي يعيشها الدومنكانيين مع الخطر الذي ترزح تحت وطئته بلا دهم والبذخ الذي تتقلب به عائلة الزعيم بدأها بأنثى تعود لوطن كانت أن تنساه وهي محمله بوجع وذكريات مرّة عن الانتهاك الذي وقعت فيه إنسانيتها وتعود لتحمل نفسها وقد أصبحت خفيفة بعد أن أفرغت غلّها في لقاء أسري ونظرات عجوز مشلول لا يكاد يفهم شيئًا مما تقوله سوى أنها ابنته الهاربة منه ومن التيس ومن الوطن.

أما في رواية (حديث في الكاتدرائية) 1975 المثيرة للجدل، التي فضح فيها بعض رجال الدين عندما تكون مصالحهم فوق مصلحة من يتاشدون باسمه، فكلما توغل القارئ، ينجذب إليه، ويرغب ببقية كتبه، فكتابه غزير المعلومة، دقيق التحديد، شامل التخصص.

وروايته السحرية الفردوس على الناصية الأخرى يحاول أن يثبت في هذه الرواية أن الكتابة الروائية (فنٌ وعلمٌ وحياة)، وقد أمضى أربع سنوات في كتابة هذه الرواية، وفصولها تتوزع بين قصتين، واحدة لمناضلة تسعى لتحرير العمال وإحلال المساواة وإقامة عالم نيوي عادل، والأخرى لفنان يهيمُ في جزر بعيدة باحثًا عن السعادة والإلهام والفنّ الذي يحرر العالم من تعقيدات الحياة الأوروبية، ونجد فلورا بطلة الرواية الابنة غير الشرعية



ماريو بارغاس يوسا

التي تحلم بفعل شيء يخفف من آلام المضطهدين، وبحياة أقل ألم وفيها يرصد أدق التفاصيل وربما أكثرها حساسية واحراجًا بجرأة مقنعة، إلى جانب أنه يتمتع بحالة فياضة من قوة الشاعرية في تناول العلاقات الانسانية.

ولا يكتشف القارئ الرابط بين الحكايتين إلا بعد فصول عديدة، حيث يتبيّن أن المناضلة هي جدة الفنان، ويحكي لنا (ماريو يوسا) الحكايتين معًا رغم الاختلاف الزمني!! ألا ترون معي هذا الإبداع ؟؟!! كيف يجعلك الكاتب تنسجم مع حكايتين لشخصين يربطهما الدم والهدف، وتفصل بينهما سنون عديدة؟؟!

الرواية نظرة في عمق الإنسانية، وفي حقيقة مساعي البشرية للوصول إلى السعادة التي ليست سوى حلم مخاتل، ومديح لشجاعة من اختاروا وساروا وفقًا لما اختاروه حتى النهاية، بالنسبة ليوسا، لا سبيل لسعادة الإنسان لأنه عاقل، وعقله فيه الشقاء، وعن طريق الرحلتين، يتوصل يوسا إلى رحلة واحدة لأن جوهر الإنسانية واحد.

والرواية مأخوذة عن أشخاص حقيقيين، فما الفنان إلا الرسام الفرنسي الشهير (بول جوجان)، وما المناضلة إلا جدته فلورا تريستان، يحكي لنا (يوسا) عنهما بمزيج من الواقع والخيال، فهو يرى أن الرواية ليست وثيقة تاريخية بل تخيّل إبداعي ينسج على الحقائق.

أما الثيمة الرئيسة في الرواية فهي البحث عن السعادة، عن الفردوس، كلٌ منا يبحث عن فردوس في حياته، على اختلاف أهدافنا ومشاربنا، والعنوان (الفردوس على الناصية الأخرى) مأخوذ من لعبة يلعبها الأطفال في إسبانيا وغيرها من الدول، حيث تُرسم دوائر على الأرض ويُغمض أحد الأطفال عينيه ثم يتقافز على الدوائر بحثًا عن الدائرة المطلوبة، وفي كل مرة يسأل: «هل الفردوس هنا؟» فيجيبه أصحابه: «كلا يا سيدي.. جرّب مرة أخرى فربما الفردوس على الناصية الأخرى».

وفي روايته (شيطنات الطفلة الخبيثة) تشكيله لتلك الشخصية النسائية الجديدة فمتد آنا كارنينا إلى مدام بوفاري وصولاً إلى شبيهاتهنّ المعاصرات يبدو الأمر

وكأنه لم يعد يحتمل وجود شخصية جديدة عاشقة على الطريقة الحديثة أو القديمة أو قاسية بطريقة لافتة، ومع ذلك ما يحاول أن يقوم يوسا فيها حين يبدع ويشكل لافت مخلوقًا روائيًا نسائيًا جديدًا ربما لم نلتق به على مرّ الروايات التي قرأناها، وحش لطيف، شيطان بكثير من الأخلاق، فالبطلة طفلة تثير عذاب الراوي المسمى ريكاردو وهي طفلة تقنع جميع سكان أحد الأحياء الراقية في ليما بأنها فتاة من تشيلي وذلك لتخفي أصولها الفقيرة والبائسة، كي تتمكن من الدخول إلى قلب السادة الذين يرتادون الأندية الراقية.

وسرعان ما يقع ريكاردو في حبها حتى إنه يعدها بالزواج وحين تعرف العائلات الكبيرة بأنها ليست سوى فتاة عادية وفقيرة وحقيرة ربما تختفي دون أن تترك أي أثر على وجودها، ومن هذه النقطة تبدأ الرواية بالدوران وتتعاقب مشاهد الظهور والاختفاء للطفلة الخبيثة، فمن باريس إلى طوكيو ومن لندن إلى كوبا وهي أمكنة عاش فيها يوسا خلال أوقات من حياته، وحيث لا يغفل الروائي . عبر ذلك . رصد كل الأحداث السياسية والاجتماعية خلال نصف قرن وانعكاساتها على حياة الأشخاص ومدى تأثيرها على تشكيل مسار حياتهم.

ذلك البورتريه الغريب الذي اشتغل عليه يوسا وقد بدا واضحًا من خلال قدرته على إضافة صفات جديدة للشخصية تجعلها في كل مرة أكثر غنى، صحيح أنها كانت تغش إلا أنها سرعان ما كانت تعترف بذلك وكأنها معونة بشراهتها، فيضطر الراوي كما القارئ إلى مسامحتها على الدوام، إزاء ذلك نجد أنفسنا في كل مرة تنزلق أمام فتاة عاهرة بطريقة كلاسيكية لتصل إلى أن تكون فتاة معذبة لكن مليئة بالفرح، وفي كل مرحلة من مراحل شيطنتها نشعر أنها كانت تتطهر وأن كل شيء يسير بانتظام، وفي رواية شيطنات الطفلة الخبيثة يراهن يوسا على علاقة مختلفة بين الواقع والمتخيل، فيجيد سحر القارئ عبر دمجه بين سيرته الذاتية أو تجربته الخاصة وعبر اختياره دروبًا سردية مختلفة، وينجح في كسب الرهان.

ويبدو أن لإقامته في باريس خلال عقد الستينيات، أثرًا واضحًا في كتابة هذه الرواية حيث كانت باريس يومذاك مركزًا حيويًا تنشط فيه مفاهيم الثورة، والحرية، والتمرد.

وتشعر عند قراءتك لأعمال يوسا بأنك أمام رجل موسوعي فتحترم جهده الدقيق في عمله الذي يأتي نتيجة خبرة وبحث مكثف ساعده على ذلك كثرة الترحال.

وأكثر أعماله طموحًا مؤلفه (حرب نهاية العالم) 1981م، وهي رواية تاريخية تتضمن مغامرات مثيرة وتستند في أحداثها على رواية بوكليدس دا كونها ثورة في الأقاليم الداخلية.

مدينة قابيل والدم البشري

يقتحم يوسا في أعماله عزلة البشر في الأقاليم النائية، ليقدم نصًا مشغولاً بعناية؛ إذ تختلط الحقائق بالخرافات، وتتلاشى الحدود بين الحلم والواقع كما فعل في روايته ليتوما في جبال الأنديز، الحائزة، عام 1994 جائزة سرفانتس الرفيعة في الأدب الاسباني.

يقول يوسا في بداية هذه الرواية، «مدينة قابيل شُيِّدت بالدم البشري، وليس بدم الثيران والماعز»، وفيها يكشف الكثير من الأسرار والتفاصيل الغريبة في هذه الرواية الحافلة بصور رهيبة عن القسوة والخوف والعنف هناك في البيرو، وعلى مرتفعات جبال الأنديز حيث الخرافات تفعل فعلها، وحيث الأساطير والحكايات الخيالية تمثل الخبز اليومي لسكان تلك البقاع، من دون أن تثير الشكوك لدى أحد.

ويوسا خبير في عرض قصصه، وقادر على جذب القارئ أيًا كانت الحكاية التي يرويها، وأعماله تقتفي دروب البيرو الوعرة وجغرافيتها؛ المسكونة بالكوابيس والألغاز والهواجس، وتجوب قراها وبلداتها وأقاليمها، تلج الكهوف المملوءة بكتابات ورسوم غامضة، تصغي إلى رسائل الأسلاف المدفونة في أخاديد الوديان وسفوح الجبال، ترصد الحروب الخفية والمعلنة، وتستقي من الموروث الشعبي الساذج والماكر في آن: «البيرو! ها هي: فسيحة، غامضة، اخضرار، فقر، ثراء، عراقة، تكتّم محكم».

ويؤكد يوسا دائمًا على أن وظيفة الروايات الجيدة إيقاظ الروح النقدية في ما يتعلق بالواقع المعيش والحث على العمل من أجل إصلاحه وتحسينه.

وكان الكتاب الأكثر شهرة من بين كتبه هو (رسائل إلى روائي شاب)، والذي يعد اليوم من أهم كتب النقد الأدبي، وهو عبارة عن اثنتا عشرة رسالة بعثها يوسا إلى كاتب شاب، لا نتعرف على اسمه يريد أن يصبح كاتبًا ناجحًا في المستقبل، ولا نقرأ نصوص رسائله التي اكتفى المؤلف بالإشارة إليها في بضعة مواقف، وردُّ عليها برسائل جوابية مليئة بالتشويق، وفي هذه الرسائل الأخيرة ضمّن يوسا رؤيته إلى العمل الروائي، وخلاصة تجربته في كتابة أعمال كبيرة تنتمي إلى هذا الجنس الأدبي.

وأول نجاح كبير له كان عبر رواية (البيت الأخضر) التي صدرت بالإنكليزية عام 1966 و(المدينة والكلاب) 1936 التي نال عليها جوائز عديدة منها جائزة (بيبليوتيكا بريفي) عام 1962 وجائزة (النقد) عام 1963 وترجمت إلى أكثر من عشرين لغة أجنبية، ومن ذلك الحين واصل تأليف روايات معظمها يعالج مواضيع سياسية والتاريخ المضطرب في دول أميركا اللاتينية.

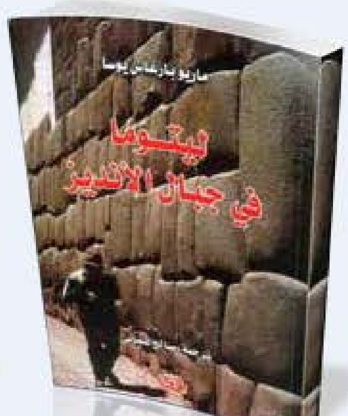
أما آخر رواياته هي (حلم الرجل السلتي) وقد استوحى أحداثها من سيرة الأيرلندي روجر كيسمنت الذي شغل منصب قنصل بريطانيا في الكونغو مطلع القرن العشرين، والذي اعترض على انتهاكات حقوق الانسان في الكونغو مطلع القرن العشرين وحكم عليه الإنكليز بالإعدام شنقًا بعدما دانوه بالخيانة سنة 1916.

تُرجمت معظم أعمال بارغاس يوسا إلى العربية، منها البيت الأخضر وشيطنات الطفلة الخبيثة بانتاليون والزائرات، وقصة مايتا، وليتوما في جبال الأنديز، وامتداح الخالة، ودفاتر دون ريغوبيرتو، وحفلة التيس، وقد قام بترجمة عدد كبير منها الكاتب الفلسطيني المتميز صالح علماني.

وقد حصل يوسا على عدد من الجوائز: منها جائزة النقاد وجائزة رومبلو غاييغوس وجائزة ثرفانتس وجائزة بلانيتا وجائزة بيبليوتيكا بريبي وتوجها أخيرًا جائزة نوبل في الآداب 2010.









سترحلين

شعر

حسين حجازي

سترحلينَ
وتكبُرينَ
وتذكرينَ وتحملينَ صوتيَ المبحوحَ فوقَ موئل البحرْ
من تحت أطباق المدى
من فوق أصقاع المنافي
من بين أعباء السفرْ
ستعبرينَ كالضحى زوابعي
وتذكرينَ حينما مرّت على زهر الندى أصابعي
يا أنتِ يا ريقَ القمرْ
كوردةٍ جميلة
كطفلةٍ وديعة
حبي لعينيك صغيرتي
يوزع الحنينَ مثلَ وقدة الشَّرَرْ
ستعقدينَ في الدجى حقائبَكْ
وتحضنينَ مهجتي
وترحلينَ وتحلُمينَ
وتذكرينَ كيف إذن في لحظةٍ تمردتْ أسماؤنا
وبعدها في برهةٍ
تشتت أحلامُنا
تمزق الوترْ
يا أنتِ يا صغيرتي..
وترحل الأيامُ عنا مثلما لا نشتهي..
آه ألا ماذا أقولُ للسَّحَرْ
من بعد هبّات الهوى
ماذا أقول للنوى
ماذا أقولُ يا قَدَرْ؟
أبكيكِ ما ناح الحمامُ يا حبيبتي
قد أينع الزمان قبلةً
ثم انتحرْ!

الفايكنغ والإسلام:
تاريخ منسيّ يوثقه معجم الفردوس



البروفيسور: مهند الفلوجي
أستاذ الجراحة والمشرف على:
معهد تاريخ الطب والعلوم
عند العرب والمسلمين
(www.ihams.org)

العنصر العربي في اللغة الإنجليزية: التأثير العربي عميق الجذور في اللغة الإنجليزية، لكنه إمّا يُهمّش بسبب جهل غير متقصد أو بسبب تجاهل مقصود، لتفاصيل انظر الفصل الثالث من (مقدمة الفردوس) إضافةً إلى النظر إلى (معجم الفردوس) بكليّته؛ ومصادر الكلمات العربية في اللغة الإنجليزية يجب أن تشمل ابتداءً:

التفاعل العربي مع الاسكندنافيين الفايكنغ هو تفاعل ذو جذور عميقة ممتدة في التاريخ الأوروبي (خصوصًا شمال أوروبا على وجه التحديد).

والفايكنغ شعوب بدائية رُحّل كانت تقطن الشمال الأوروبي (خلال القرون 8-11) الممتد من روسيا إلى إيرلندا بما في ذلك شمال ألمانيا والدول الإسكندنافية (النرويج والسويد والدنمارك) وآيسلندا وغرين-لاند، بل إن الفايكنغ هم الذين رسموا وصاغوا تاريخ روسيا، وكانوا من أوائل من استكشف أمريكا واستوطنها وسموها بـ (فنلاند).

لم يكن الإسلام غريبًا عن أوروبا منذ بدء الفتوحات الإسلامية ونشأة إمارة الأندلس في جنوب أوروبا في شبه الجزيرة الأيبيرية (إسبانيا والبرتغال اليوم)، لكن الدلائل على التواصل والاتصال العربي- الإسلامي بالأنجلو-ساكسون وبممالك وشعوب الفايكنغ شمال أوروبا له شواهد قوية جدًا، بل إن الدلائل على إسلام الفايكنغ أنفسهم، وقيامهم بدور المدافع المنافح عن الإسلام واليد الضاربة للخلافة الإسلامية في قلب أوروبا لهي أدلة كثيرة ومتشعبة جدًا:



أولاً: العلاقات العباسية بالأنجلو – ساكسون:

متمثلة في النقود الإسلامية الأنجلو- ساكسونية. (أنظر الصورة):

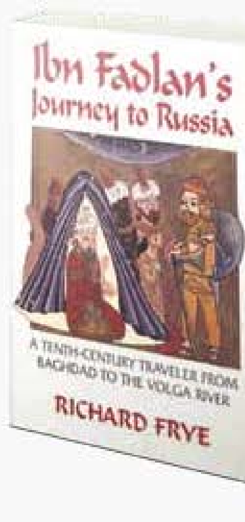




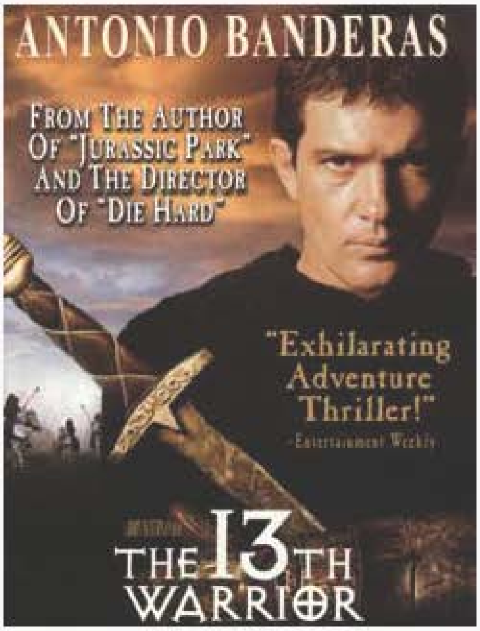
الدينار الذهبي للملك أوفا الأنجلو- ساكسوني (757 - 796) ملك إنجلترا المعاصر لخلافة أبي جعفر المنصور خليفة ممالك العالم الإسلامي آنذاك، لاحظ أن العملة تحمل اسم الملك أوفا باللاتيني على وجهها الأول وتحمل شهادة التوحيد الإسلامي بالعربية على وجهها الثاني (لا إله إلا الله وحده لا شريك له) ومؤطرة بقوله تعالى (محمد رسول الله أرسله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله)، من مقتنيات المتحف البريطاني، قارنه بالدينار العباسي أدناه المسكوك حوالي 811م.

ثانيًا: الرحّالة المسلمون وسفارة أحمد بن فضلان البغدادي العباسي للفايكنغ:

فالرحالة العربي أحمد بن فضلان البغدادي، كان مؤرخًا إخباريًا رائعًا وقد كتب وثائق السفارة إلى ملك البُلغار لأواسط الفولغا في عام 912م.



وقد وصف كيف يتصرف الفايكنغ وماذا يشبهون عند المتاجرة في عاصمة البُلغار. هذه السفارة العباسية لملك الفايكنغ قدّمت مصدرًا لا نظير له لكل الدراسات الأكاديمية العالمية عن الفايكنغ؛ وتُظهر مشهدًا متكاملاً عن كيفية الحياة ومعيشة الفايكنغ وتفاصيل المواصفات الشخصية للاسكندنافيين، متاجراتهم، وثقافتهم، ومراسيم وفيّاتهم (رحلة ابن فضلان صوّرت في فيلم شهير اسمه: «المحارب الثالث عشر»)، انظر الصورة:



ثم إن الكثير من المؤلفين العرب مثل: ابن خرداذبه (توفي 912) وابن رسته (توفي بعد عام 923) وصفوا التجّار النرويجيين والاسكندنافيين في روسية.

لقد حُققت رسالة ابن فضلان (حققها د. سامي الدهان من دمشق) كما وتُرجمت رسالة ابن فضلان للغات العالم فقد ظهرت باللغة الإنجليزية والروسية والفرنسية والإسكندنافية وغيرها، بل إن متاحف العالم خصوصًا في روسيا تعتمد رسالة ابن فضلان في عرض حياة الروس والفايكنغ خصوصًا مراسيم دفن بعض قادتهم، انظر الصورة:



ثالثاً: الرحّالة الفايكنغ الذين زاروا بغداد (وتوفوا فيها على الأرجح):

وبالعكس، فإن الكثير من قادة وزعماء الفايكنغ نذكر على سبيل المثال لا الحصر: (اورم) و(انجفار الذي سافر بعيداً) قد زاروا بغداد (عاصمة الخلافة الإسلامية) نحو 1020م.



Ingivar, the Far Travelled

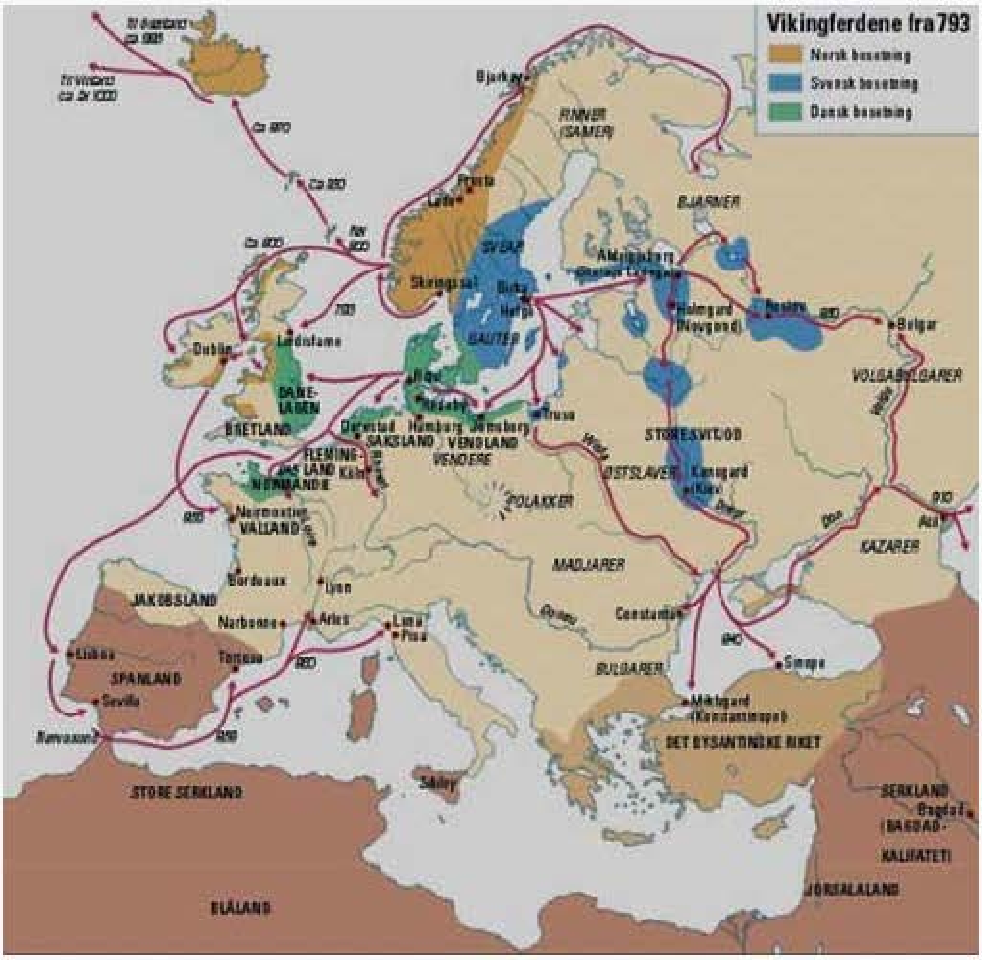
زار و مات في بغداد (قائد الفايكنغ) انجفار الذي سافر بعيداً.

إن صعوبة توثيق تاريخ الفايكنغ أنفسهم بكتاباتهم البدائية على الصخر قليلة جداً وهذا الذي يجعل المصدر العربي في توثيقهم كسفارة أحمد بن فضلان مرجعًا أكاديميًا أساسًا لا غنى لأوروبا عنه في توثيق عصر الفايكنغ من القرن الثامن للقرن الحادي عشر الميلادي.

وكانت هذه الزيارات المتكررة استتباعًا للسفارة العباسية لشعوب الفايكنغ، واستكمالاً للتجارة البينية الهائلة بين الإثنين.

ولعل دفء المناخ والمكان وحرارة اللقاءات الأخوية وسلوك الناس وكرمهم ونمط الحياة المتقدم آنذاك في العاصمة بغداد والعالم الإسلامي هو الذي حدا بهؤلاء القادة لطيب المقام فيها بل والوفاة هناك (إذا ما قارنوا ذلك بشظف عيشهم وصعوبته في شمال أوروبا البارد المظلم الكئيب).

وقد رسم الفايكنغ خارطة لأسماء مدن العالم آنذاك وسمّوا البلاد بأنفسهم فمثلاً: سموا القسطنطينية بـ(مكناغارد) وسموا بغداد بـ(سيرك-لاند) أي شرق-لاند يقصدوا بها بغداد أرض الشرق (والسراسين أي الشرقيين)، انظر الخارطة:



رابعاً: التجارة البينية الهائلة بين بلاد الإسلام وبين الفايكنغ:

لعل التجارة الكبيرة للفرو الاسكندنافي وحديد الصّبّ كانتا من بين البضائع التي استوردتها الأقطار الإسلامية من الشمال (لتجارة الرقيق، انظر تحت)، كما أن عالم الآثار لا يجد صعوبةً في تمييز الأشياء الغربية الموجودة في مقابر الفايكنغ مثل: عُملة نقد من بغداد مثلاً. وبالمقابل فإن تجار الفايكنغ كانوا يقايضون المسكوكات النقدية والمنسوجات والفواكه المجففة مثل التمور.

وحقيقةً فإن الفايكنغ استعملوا عُملات النقد من أوروبا الغربيّة والعالم العربي كما هو موضّح في الجدول الآتي، الذي يوثّق للعدد التقريبي لأنواع العُملة ما بين 800–1100 التي وجدت في اسكندنافية، هذا الجدول بحذف العُملة التي سُكّت في اسكندنافية في أواخر زمن الفايكنغ، التي منها عدد كبير بقي (مثلاً 6600 في الدنمارك):

الدولة	العملات العربية	العملات الأنجلوساكسونية	العملات الفرنسية والألمانية
النرويج	400	2.600 وأكثر	2.500 وأكثر
السويد	52.000	30.000	58.500
الدنمارك	3.500	5.300	9.000

والحقيقة أن الجدول أعلاه يعود للحفريات لتاريخ 1974، لكن هذا الكم الهائل من العملات النقدية الإسلامية قد وصل مؤخرًا وحسب آخر تعداد لـ 150000 (مئة وخمسين ألف قطعة) ليعكس هذه التجارة الهائلة.

وهناك آثار إسلامية أخرى كالقنابل الإسلامية والقبان والميزان والكاسات بنقوش عربية، وعمومًا تُعَدُّ العملات الإسلامية (دراهم الفضة) هي أول ما ظهر



من العناصر (ظهرت أولاً في الشمال نحو نهاية القرن التاسع)، وفي 970 م يبدو أنه كانت هناك أزمة، ربّما بسبب ما حدث في منتصف القرن العاشر لمناجم الفضة في جبال (هارز) حيث إن العملات الغربية وعُملات الجزء الغربي للخلافة الإسلامية بدأت تسود في مُدّخرات المخازن الاسكندنافية.

إن هذا الكم الهائل الذي وجد في قبور الفايكنغ له مدلولات ثلاثة:

1. حجم التجارة البينية والعلاقات الوثيقة بين العالم الإسلامي وبين الفايكنغ.

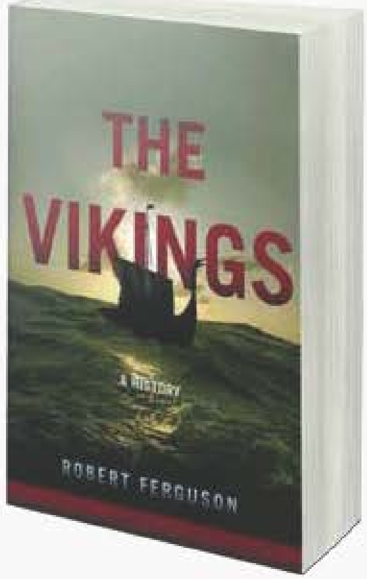
2. مدلول مهم وهو اعتبار هذه المسكوكات الإسلامية مصدر بركة وشفاعة للميت لكي يرتقي للجنة التي تسمى عند الفايكنغ بـ (ولاهلاّ - أي ولي صالة أو صالة الأولياء أي دار الأولياء الصالحين).

3. كما أن هذا الحجم الهائل للتجارة المتبادلة بين الفايكنج والعرب، مع الصلات المستفيضة مع الحضارة الإسلامية لا بد من انعكاسه لغويًا في التأثير العربي في اللغة النرويجيّة والاسكندنافية (وهم أصل مهم من أصول اللغة الإنجليزية القديمة).

فقد دخلت الكلمات العربية إلى الإنجليزية عَبْرَ النرويجية القديمة أولاً، وعبر الوسط الفرنسيّ النورمانديّ ثانيًا، والنورمانديون أصلاً هم بقايا الفايكنغ الذين غزوا شمال فرنسا واستوطنوها، وهم الامتداد المتأخر للفايكنغ الذين نزحوا من شمالي أوروبا بعد إجبارهم بالقوة للتنصر وبعد تفرنجهم وامتزاج عاداتهم ليصبحوا النورمانديين الذين نعرفهم، وبقايا الفايكنغ هؤلاء صاروا الفرنسيين النورمان االذين احتلوا من بعد إنجلترا واحتلوا صقلية العربية وشاركوا في قسم من الحروب الصليبيّة؛ واحتلوا الساحل المتوسط العربي كذلك، ومن خلالهم دخلت الكلمات العربية إلى اللاتينية ثم الفرنسية، ثم عبر الوسط الفرنسي دخلت الإنجليزية، لذا فالفرنسيون النورمان كانوا وسيطًا لعبور الكلمات العربيّة مرتين.

وللتوسع بالمفردات الإسكندنافية من الأصول العربية يرجى مراجعة معجم الفردوس (الكلمات الإنجليزية من الأصل النرويجي القديم Old Norse) كما يرجى الإستماع ومشاهدة الأمسية الثقافية في لندن (حديث الأمة: الفايكنغ والإسلام، تاريخٌ منسيّ).

وكل كاتب وكتاب عن الفايكنغ لا يرجع لرسالة ابن فضلان ولا يوثق حجم التجارة البينية بين عالم الإسلام وممالك الفايكنغ ولا يأخذ بالحسبان قضية التزاوج بين المسلمين والصقالبة، فهو كاتب جاهل وكتاب ناقص، ومن أمثلة كتب التاريخ الناقصة هذا الكتاب.



وقد انبريت بالتصدّي للكاتب والكتاب بردّ علمي واضح يضع الأمور في نصابها (انظر ردّي بالإنجليزية على الكتاب وتقييمه في Amazon Books):

4 of 8 people found the following review helpful

The Vikings - A History by Robert Ferguson (A Critique), January 28, 2013

By Dr. M. Al-Fallouji "mara"

This review is from: The Vikings: A History (Hardcover)

This book is a good historical survey of the Vikings age (from 8th to 11th century). While the author entertains the role and the place of Vikings aggressive raids and the reactions within European history, he was entirely Eurocentric in his views and vision, and nearly oblivious of the Vikings peaceful relationships with Abbaside Islamic Empire and with the East in general.

For instance, the book does not mention the First legendary Ibn Fadhlan's expedition in great details. Ibn Fadhlan's mission was not a geographic exploration and/or first account of Vikings description per se, but rather Imperial Islamic Embassy to the Vikings and a great Islamic expedition sent specifically by the Abbaside Caliph to the Vikings on their own request in order to explain Islam to them (Vikings conversion to Islam), to build a grand central mosque for Vikings king, and to make official alliance with Islamic Abbaside Caliphate against the Russian Khazars. In another word, Ibn Fadhlan's expedition was perhaps, the FIRST peaceful invader of Islam to Vikings.

The author never mentioned the mixed marriages between the Vikings and Muslims, to the extent that a mother of one Abbaside Caliphs was a Viking woman›

The author had mistaken the runic history that Swedish Viking Ingvar (known as the Far-Travelled) died near black sea, when in fact Ingvar had visited, resided, and died in Serkland i.e. Baghdad.

The plethora of Islamic coins and pieces (found in multi-thousands) and many other Islamic treasures buried and found in the graves of Viking Kings and VIPs testifies not only to the magnitude of extensive trade between the Vikings and the Muslim World, but it signifies the blessing of holy objects (represented by Islamic coins) highly regarded by the Vikings to be buried with them in their graves, a pattern that was found consistently, throughout Scandinavian countries.

In short, The Vikings were strong allies of Abbaside Islamic Empire in Europe (links between Islamic East and European West), partly because of their blood relations with Muslims; partly because of their extensive trade in the Mulim World; but more importantly because of their Islamic brotherhood with their fellow Eastern muslim brothers, in that era.

The Charlmagne's ruthless aggressive campaigns to convert the Vikings to christianty by force (policy to be Christian or to die), and Vikings Islamic conversion and/or alliance with Abbaside Caliphate can provide a better explanation as to: Why the Vikings were raiders and traders: violent raiders of the Christian West, ransacking their churches and monasteries in particular, while they were quite peaceful traders and dealers with the East, and with the Abbaside Islamic Caliphate, in particular.

خامساً: التزاوج بين المسلمين العرب والفايكنغ:

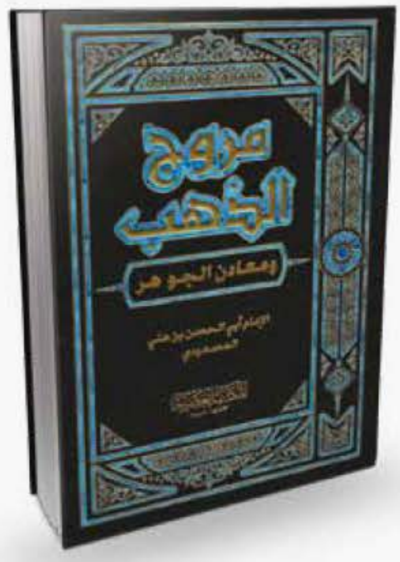
كان من أهم ما تميز به تجار الفايكنغ هو تجارة الرقيق الأبيض وبيع الجواري الأوروبيات الصقلبيات الجميلات اللاتي اشتهر ببيعهن تجار الفايكنغ آنذاك. وكانت تجارة الجواري من السبي والحروب تجارةً عالمية آنذاك، وقد قام الإسلام بشرائهن وإطلاق سراح الكثير منهن أو الزواج بهن أو رفع مقامهن بعد الحمل والولادة لتسمى هذه الأم الصقلبية بـ (أم ولد).

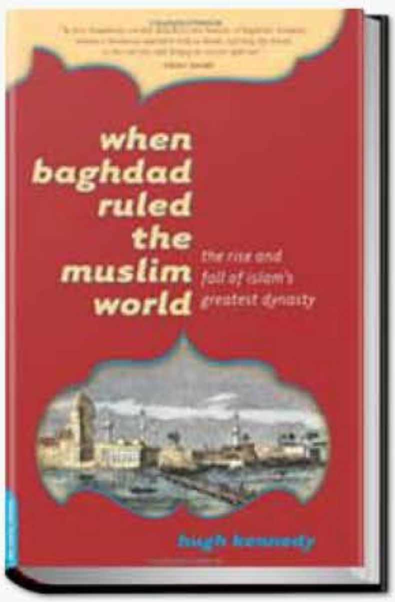
وكلمة صقلبي مشتقة من sclavus أي سلاف أوروبا وهم ممن كان الفايكنغ يسبيهن ويتاجر بهن في بغداد مباشرة أو في البلاد الإسلامية الأخرى. انظر تحت جارية صقلبية يبيعها الفايكنغ ويقوم التاجر المشتري بتقدير ثمنها بالقطع النقدية ويُرى وهو يزن بالميزان (يسار الصورة).



ومن الجدير بالذكر أن المسعودي في (مروج الذهب ومعادن الجوهر- ج3 ص 15) يذكر أن أم الخليفة العباسي (المستعين بالله) كانت صقلبية اسمها (مخارق) مما يعني أن أخوال الخليفة المستعين بالله كانوا صقالبة فايكنغ لهم الحظوة وموضع الصدارة، مما شجع انضمام الكثير من الفايكنغ ضمن جيش الخلافة العباسي في بغداد. أقول والناس على دين ملوكهم، وهذا يعني أن المسلمين في بغداد كانوا منفتحين للزواج بالصقلبيات أسوة بملوكهم وخلفائهم.

وقد أشار لذلك البروفيسور (هيو كينيدي) في ذكره الخليفة المستعين بالله في كتابه (عندما حكمت بغداد العالم الإسلامي).





ولعل تنوع الأعراق والتسامح الديني في العراق والإنصهار الاجتماعي المبدع كان سمة حضارية متميزة تتصف بها بغداد عاصمة وحاضرة العالم الإسلامي آنذاك مصداقًا لقول رسول الله ﷺ: (كلكم لآدم، وآدم من تراب)، وهذا الذي حدا دول الغرب للتأسي ببغداد منذ ذلك الحين وحتى يومنا هذا، فمثلاً:

كانت أم الخليفة (أبي جعفر المنصور العباسي الهاشمي) بربرية (سلاّمة البربرية)، وكانت أم الخليفة (هارون الرشيد) فارسية (الخيزران)، في حين كانت زوجة هارون الرشيد (زبيدة) عربية هاشمية وهي أم الخليفة (الأمين)، في حين كانت جاريته فارسية (اسمها مراجل) هي أم ابنه الثاني الخليفة (المأمون)، بينما كانت جاريته الأخرى تركية (ماردة أم ولد) وهي أم ابنه الثالث الخليفة (المعتصم بالله)، في حين كانت أم الخليفة (المستعين بالله) صقلبية من الفايكنغ (اسمها مخارق)، وهذا التزاوج المختلط يؤدي بالضرورة لحظوة أخوال الخليفة فتكون لهم الصدارة السياسية والتزاوج بشرائح المجتمع الأخرى. وهذا يدلل بوضوح على أن تركيبة الشخصية العراقية هي من دماء وأعراق شتى (من الدم السومري والدم العربي والدم الفارسي والدم التركي والدم الصقلبي الفايكنغ) تحت المظلة الإسلامية، مما يصقل مواهبهم، ويفسر لنا الكثير من مواصفات البغدادّة (أي البغداديين) من الذكاء والصبر والمصابرة والعنف والحماسة والحماقة وغيرها من جينات ورثوها منذ القدم.

لمشاهدة الأمسية الثقافية اضغط هنا

المراجع

1. انظر الفصل الثالث من (مقدمة الفردوس) إضافةً لـ (معجم الفردوس) بكليّته.

2. شاهد الأمسية الثقافية في لندن (حديث الأمة: الفايكنغ والإسلام، تاريخٌ منسيّ):
https://www.youtube.com/watch?v=u-CmZF38EoQ

3. P G Foote and D M Wilson: The Viking Achievement (The society and culture of early medieval Scandinavia). London. published by Book Cub Associates by arrangement with Sidgwick and Jackson Ltd. First edition 1970 and also published on 1974. Pages 107. 191. 198. 200. 201. 399. 408. 412.

الرمل الذي أنتظره

شعر

دليلة مكسح - الجزائر

أستاذة جامعية - جامعة الحاج لخضر - باتنة - الجزائر

خذْ بيدي أيها الرملُ إني تائهة..فلا صخبُ
يروي فراشاتي..
ولا مطر يُهَدْهِدُ حُرَقِي
ولا حطبُ
يدفئُ مقلتايَ
يجففها فوق صخر ينتحبُ
خذ بيدي...
قبل أن يبترها غراب البينِ
والوجع
خذها وردة للرشق
حينما يعلو السماءَ غضبُ
وارتحلْ بي من قفار الوهمِ
إلى بحار الوشم
لأختم فوق كفي أيقونة
لَوْنُــها موجٌ ... زبدٌ
نورسٌ يرتقبُ
مجيءَ الشمس من خِدْرِهَا
لتمنح للحيتان مراكبا
على دفاتها يعتلي الحلمُ ويحتسبُ
خذني..وخذني
وخذني..أقولها ثلاثا
لعل أوجاع النخيلِ
تسدل رناتها على وجه الخليلِ
الذي عفَّر بالشك
بتلاَّت الحقول
وأَسْكَتَ بالوهم
حرافيش النزولِ
وحوَّل الماء إلى صخرة
وحول النور إلى ظلمة
وصير الحلم انكسارا
وأيقظ في القفر فحيحا
واعتلى فوق هاماتنا يحتطبُ..
ما تبقى من رموش الجائعينَ
كي يلوكها قمرُ
على وجهه عُلقت امرأة
أنكرتْ نعمة البحر عليها
فقيَّدها الغد المغتربُ
خذ بيدي..فإني لا أريد
لأي كان أنتسبُ
خذ بيدي لكي أحترف التموج
دون خدشٍ لآثارِ خطوٍ يرتعبُ
خذ بيدي لأمنحك ربابةً
سِحْرُها ينأى بدمع
لا يجامل أعينَ الهائمينَ
ووحشة الصامتين
إلا على وقع عاصفةٍ لا تحتجبُ

الدِينِ والتَدَيُّن:
نظرة سيكولوجية



د. عبدالرحمن بن سليمان النملة
عضو هيئة التدريس بجامعة الإمام
محمد بن سعود الإسلامية

منذ زمن ليس بالبعيد، وقد انشغل علماء النفس ونادوا بأهمية الدين في حياة الإنسان، وأكدوا على دور الدين في بناء الصحة النفسية وتحقيق التكيف النفسي والاجتماعي للأفراد، مما يساعدهم على حل مشكلات الحياة ويجنبهم القلق الذي يتعرض له كثير منهم، وبخاصة إنهم يعيشون في عصور متقلبة يسيطر عليها الاهتمام الكبير بالحياة المادية، والتنافس الشديد في المصالح والمغريات الاجتماعية والاقتصادية، وتفتقر في الوقت نفسه إلى الغذاء الروحي؛ مما انعكس على حياة كثير من هؤلاء الأفراد سلبًا فأصبحوا عرضة للإصابة بالأمراض والاضطرابات النفسية والأزمات الاجتماعية. وقد توصل هؤلاء العلماء إلى أن الدين يؤدي دورًا إيجابيًا في الوقاية من أعراض هذه الاضطرابات فيؤدي إلى صحة نفسية أفضل، وقدرة أكبر على مواجهة الأمراض والتغلب على آثارها السلبية، وسرعة الشفاء من الأعراض النفسية والقدرة على تحمل الضغوط الناتجة عن أحداث الحياة اليومية

فالدين يمنح الثقة والقوة لمواجهة التحديات والأزمات التي تعترض الفرد في مجرى حياته، فيكون الملاذ وقت الشدة، الذي يشعره بالأمان وعدم الخوف، ومن هنا فقد زخرت الدراسات الغربية بتأكيدات على دور الدين، وضرورة الالتزام به في تقويم السلوك الفردي والجمعي للإنسان وإحداث تكيفه مع بيئته.

وهذا التكيف الذي يحدثه الدين هو حالة أعمق في مسار التوافق النفسي؛ فقد عرفت موسوعة علم النفس والتحليل النفسي التكيف بأنه خطوة أبعد من المواءمة على طريق التوافق سواء في المجال البيولوجي أو الاجتماعي أو النفسي، وهي تمثل تغييرًا في البناء أو السلوك لمواجهة متطلبات البيئة المحيطة.

فمما لا خلاف عليه أن الدين يزوّد الفرد بنسق من القيم والمبادئ والمعايير التي توفر له التكيف مع كل ما حوله، حيث إن سلوك الإنسان لا يضطرب لوجود قيم ومعايير ضابطة يرجع إليها؛ وإنما يضطرب عندما يبتعد الفرد بتدينه عن هذه المعايير وعن فطرته التي خلقه الله تعالى عليها. هذه الفطرة التي تؤثر تأثيرًا مباشرًا على صحته النفسية وتمتعه بالسعادة والرضا والتوافق النفسي مع الحياة والمجتمع.

وإذا كان الدين كنسق من القيم والمبادئ والمعايير هو الذي يبني الإنسان، فإن التدين هو منتج هذا الإنسان؛ فهو يمثل انعكاسًا لرؤية الفرد وخبراته الدينية وخصوصيته الذاتية، ومحاولاته لترجمة فهمه للدين على أرض الواقع في شكل سلوكي؛ لذا نجد أنماطًا متباينة من التدين، هذا التباين الذي يرجع إلى اختلاف الفهم والتطبيق للدين.

ومن هنا نجد أنماط التدين متفاوتة من فرد إلى آخر ومن بيئة اجتماعية إلى أخرى، ومن ثم فإن أنماط التدين هي أحد مظاهر التطور الإنساني، فهي تمثل انعكاسًا لمنظومة القيم والطبيعة الذاتية والظروف والأوضاع الاجتماعية والاقتصادية والثقافية التي يعيشها الإنسان في البيئات الاجتماعية المختلفة، والتي تفرز أنماطًا من التدين هي وليدة هذه التفاعلات الذاتية والبيئية. فالتدين إذن منتج بشري اجتهادي؛ ولأنه بشري فهو يتسم بسمات البشر، ولأنه اجتهادي فهو يصيب ويخطئ.

ولا أجد حرجًا في النظر للتدين على مستوى الفرد أنه ليس أمرًا مقلقًا؛ لأنّ ذلك من طبيعة الإنسان بشكل عام، في جميع المجتمعات، خاصةً الغربية، حيث تجد شخصًا كان إلى اليمين أقرب ثم تحول إلى اليسار، ومن هنا لابد من الابتعاد في المجالات التربوية عن المبالغة في التلقين، وتربية الشخص على المفهوم العقلاني المناسب، وليس المخالف حتى يتم قبول الفكرة عن قناعة تامة.

وقد أكد العلماء أن نشاطات الإنسان النفسية يمكن حصرها في ثلاثة جوانب: الجانب المعرفي الفكري، والجانب العاطفي الوجداني، والجانب المتعلق بالسلوك، وبناء على هذه الجوانب المتعددة لشخصية الفرد وسلوكه يمكن اشتقاق نماذج أو أنماط من الخبرات الدينية التي نلحظها في حياة الأفراد وقد حدد العلماء بعض أمثلة منها:

"التدين المعرفي الفكري": حيث يعرف الفرد من هذا النمط الكثير من أحكام الدين ومفاهيمه محصورة في المستوى المعرفي الفكري ولكنه غير ملتزم بهذه الأحكام في حياته اليومية وسلوكياته.

"التدين العاطفي الحماسي": والفرد ضمن هذا النمط يبدي عاطفة وجدانية جارفة نحو التعاليم الدينية لكنه لا يمتلك الأصول المعرفية لها مما يجعله غير قادر على الحوار والمناقشة المرنة، فتحدث هوة بين حماسيته واندفاعه من ناحية ومحدودية المعرفة لديه حول مضامين التعاليم الدينية وأبعادها من ناحية أخرى، فيصل في أحيان كثيرة إلى حالة من التطرف.

وتتعدد أنماط التدين وتتباين، ويعد "التدين الأصيل" هو أكمل أنماط التدين وأكثرها توازنًا فالتدين الأصيل: هو النمط الأمثل من بين أنماط التدين حيث يتوفر لدى الفرد هنا مظاهر الدين من جوانبه المختلفة بشكل متوازن معرفيًا وعاطفيًا وسلوكيًا، ويصبح الفرد منسجمًا مع ذاته وسلوكه، ومتفقًا قوله مع فعله، وظاهره مع باطنه، وهذا النوع من التدين يوصل صاحبه إلى الأمن والاستقرار والتوازن النفسي والاجتماعي، ويشعره بالطمأنينة

والتسامح والصبر والرضا.

وإذا نظرنا للتدين في مجتمعنا السعودي فإنه يمكننا القول إن المجتمع السعودي يتسم مثله مثل بقية المجتمعات العربية والإسلامية بأنه مجتمع قيمي عقيدي تملؤه الدعوات إلى التمسك بضوابط الإسلام والاحتكام لتعاليمه وشريعته، ويكون الحكم على مدى تدين المجتمع من عدمه بقبوله فكرة منهج الإسلام كنظام للحياة والمجتمع، وإذا كانت المجتمعات تتعرض لعوامل التغيير المختلفة بفعل التطور البشري والتي ينتج عنها مواجهات واستقطابات من أنماط فكرية متباينة، فإن بعض المجتمعات قد يستجيب لها، لكن مجتمعات أخرى لا تتأثر بمثل هذه الاستقطابات والمواجهات وعادة ما تلفظها، وربما لخصوصيات ومقومات تميز بها المجتمع السعودي عن غيره من المجتمعات.

فكان رفض المجتمع وعدم تقبله لنوع من التدين الجديد على المجتمع تمثل في (حركة الإخوان) في مطلع القرن العشرين والتي قوبلت برفض مجتمعي عارم، صاحبه سلوك تصحيحي من جانب الدعاة والوعاظ لبيان وتوضيح شطط هذا التدين للناس وبعده عن أصول الإسلام الأصيلة.

ثم تأتي المواجهة الثانية مع محاولة احتلال الحرم المكي عام 1400هـ فيما عرف بـ (حركة جهيمان) التي تم القضاء عليها ودحرها، لتشهد الجمعة التالية للقضاء عليها إقبالاً كثيفًا من المصلين لم يكن معتادًا آنذاك في صورة مجتمعية رمزية تعكس الرفض المجتمعي لهذا النوع من التدين المتطرف. لذا فالمجتمع السعودي دائمًا يثبت مقدرته على لفظ الأفكار الهدامة والتدين المرفوض والمتطرف؛ فلم تلق أي صورة من صور هذا التدين قبولاً لدى المجتمع السعودي.

غير أننا لا يمكننا وبصفة علمية أن ننفي عن المجتمع السعودي حالة من الانفصام التي يعيش فيها البعض؛ بين المناداة والمطالبة بضوابط وقيم مستمدة من الدين؛ وبين الحياة الفعلية لهؤلاء البعض التي هي بعيدة تماماً عمَّا ينادون به من أفكار.

وإذا كانت عملية التوجيه الإنساني بشكل عام لاتخاذ سلوك معين ليست بالأمر الهين؛ وتزداد العملية تعقيدًا كلما زاد قدر وأهمية السلوك المطلوب، وإذا كانت الحياة هي أغلى ما لدى الإنسان، فإن عملية التوجيه للتخلص من هذه الحياة عبر الانتحار أو تفجير الشخص ربما تكون من الصعوبة الشديدة، لكن من يقوم بهذا التوجيه يتجه في الأساس لجانب حيوي ومؤثر كامن في الشخص المراد التأثير عليه وهو جانب التدين.

هذا هو الباب والمدخل الذي يتم استقطاب الأشخاص المغرر بهم من خلاله، فإذا كانت النزعة الدينية التي تؤيدها السلوكيات المضطربة والفكر المشوش واضحة عند شخص ما، فهو بلا شك مطلب هذه الفئات ومحط أنظارها، فيجدون فيه الأرض الخصبة والفرصة السانحة لبث سمومهم وغرس بذورهم الخبيثة من خلال الاستقطاب المصبوغ بصبغة دينية؛ فيكون التدين لدى هذا الشخص هو مدخل التأثير عليه من خلال رصد ومراقبة سلوكياته عبر أشخاص عليهم سمة الصلاح والتقوى، ويتمتعون بقبول لدى الشخص المغرر به، فيتجه هؤلاء لتعميق التدين داخله بصورة مخالفة للممارسات الدينية السائدة في المجتمع، مع انتقادهم للممارسات المختلفة داخل مجتمعه، وإبراز مدى بعدها وتعارضها مع قواعد الدين من وجهة نظرهم؛ ومن ثم يغرسون الكراهية لدى الشخص لمجتمعه البعيد عن أوامر الله عبر ضرب أمثلة للظواهر والممارسات السيئة التي توجد في مجتمعه، ومن هنا يكون الانطلاق نحو تعزيز فكره لكراهية المجتمع.

بيد أن ليس كل أنماط هذا التدين دافعها خارجي؛ بل قد يكون لبعضها منشأ ذاتي؛ فكثير من الشباب في مجتمعنا يمكن تصنيفهم ضمن هذه الحالة، فهم يشعرون أنهم لم يقدّموا شيئًا للدين؛ مما يدفعهم إلى البحث عن الجهاد؛ في إطار فكرهم الأممي ورفضهم لمفهوم الدولة الوطنية. وهذا نوع من التشدد أفرزته السياقات الاجتماعية السائدة، وأدواتها من تربية وإعلام وغيرهما، حيث لم يكن هناك تأصيل لمفهوم الوطن في السياق الثقافي لدينا منذ الصغر، ولم يتم تثبيت مفهوم الوطنية إلاّ لاحقًا وبطريقة عابرة غير متأصلة.

إن التدين ليس طقوسًا دينية وموسمية فقط، وإنما هو منهاج حياة؛ حياة ترتكز على السلوك السوي القويم، والأخلاق الفاضلة والعبادة الصحيحة لله عز وجل التي لا تنفلت عن أصل الإيمان والمنهج الإسلامي في منابعه الأصيلة فهو عبادة ومعاملة، رقي وتحضر في القول والعمل والفكر.

لذا فنقد التدين وأنماطه البشرية المتنوعة الذي يمارسه الأفراد لا يعني نقدًا للثوابت والمقدسات، بل هو نقد لفهمهم للدين وسلوكياتهم المنتقدة ودعواتهم المضللة عبر وسائل التواصل الاجتماعي باسم الدين ورفعة الإسلام، بل إن بعض أنماط التدين تشكل عبئًا وتشويها للدين ذاته، فليس من المقبول تبني خيار العنف والإرهاب سبيلاً لتحقيق رفعة مزعومة للإسلام والمسلمين، فما أسوأ أن تقطع الرقاب باسم الدين!!، وأن تسال الدماء تقربًا لله!!، وتذبح الأطفال نصرة للدين!، وتباد المجتمعات لتحقيق رفعة الإسلام!! إنه لا مناص من التخلي عن أنماط التدين المذموم والتشدد المقيت التي تولد الحقد والكراهية ونبذ الآخر المختلف، وتتطور لتتخذ من العنف والإرهاب والتكفير سبلاً لترجمة أفكارها وفرضها على الواقع حتى بات النسيج الاجتماعي للمسلمين مهترئًا وتحول إلى واقع مفكك منكشف أمام إرادات القوى الإقليمية والدولية المتربصة.

﴿الدين يزوِّد الفرد بنسق من القيم والمبادئ والمعايير الضابطة التي توفر له التكيف مع كل ما حوله﴾

﴿التدين منتج بشري اجتهادي؛ ولأنه بشري فهو يتسم بسمات البشر، ولأنه اجتهادي فهو يصيب ويخطئ﴾

﴿المجتمع السعودي بطبيعته يلفظ أشكال "التدين المتطرف" التي تدعو للإرهاب والتخريب والتكفير﴾

﴿إن الخطأ الذي نعيشه اليوم هو محاولة إلباس "التدين المرفوض" ثوب القداسة لتحصينه من النقد﴾

﴿أي عقل يصدق أن إراقة الدماء وتكفير المجتمعات والإرهاب هو رفعة للإسلام والمسلمين؟!!﴾

﴿لا مناص من التخلي عن أنماط التدين المذموم، والتشدد المقيت التي تولد الحقد والكراهية ونبذ الآخر المختلف﴾

مكتبة المسجد النبوي الشريف



د. علي عفيفي علي غازي

أكاديمي وصحفي

﴿إذا كان طلب العلم من أفضل الأعمال، فإنه أفضل كثيرًا لاسيما إذا كان في المسجد النبوي، لقول المصطفى صلى الله عليه وسلم: (من جاء مسجدي هذا لم يأت إلا لخير يتعلمه أو يعلمه فهو بمنزلة المجاهد في سبيل الله، ومن جاء لغير ذلك فهو بمنزلة الرجل ينظر إلى متاع غيره)[1]. (رواه ابن ماجه وأحمد).﴾

كانت الكتب قبل اختراع الطباعة غالية الثمن، لا يقتنيها إلا الأغنياء، لأنها كان مخطوطات مرتفعة التكاليف، ولذلك قام القادرون من محبّي العلم بإنشاء المكتبات، يجمعون فيها الكتب، ويفتحون أبوابها للراغبين في القراءة والبحث. وقامت هذه المكتبات بالدور الذي تقوم به معاهد العلم والجامعات في الوقت الحاضر. ونظرًا لأن الإسلام دين سماوي، فقد حرص منذ بزوغه الأول على الاهتمام بالكتب، وبالكلمة المكتوبة بصفة عامة، وعلى المرء أن يتأمل المكانة التي حظي بها القرآن الكريم في الإسلام، لكي يُدرك مدى عمق هذه الحقيقة. واعتبارًا من القرن التاسع الميلادي، كانت هناك إشارات عديدة إلى المكتبات في العالم الإسلامي، وذلك على الرغم من وجود إشارات أيضًا إلى أن بعض المكتبات تعرضت للتدمير خلال الحروب العديدة، التي دارت رحاها، ولا بد لنا من الإشارة إلى أن النساء لم يكن مستبعدات من هذا العمل، ويُحدثنا المؤرخ وكاتب السير ابن خلكان، بأن سيدة زنجية تُدعى (توفيق) كانت المسؤولة عن إعارة الكتب في مكتبة بغداد للوراقين البارعين. وقد اهتم المسلمون بأبنية المكتبات العامة التي كانت تُعدُّ لاستقبال الجماهير، وكان البناء مزوَّدا بحجرات متعددة، تربط بينها أروقة واسعة، وكانت الرفوف تثبت بجوار الجدران لتوضع فيها الكتب، وكانت هناك أروقة للاطلاع، وأخرى للنسخ، وبعضها لحلقات الدراسة، وشملت بعض المكتبات كذلك حجرات للموسيقى يذهب إليها المطالعون للترفيه، وكانت لهذه المكتبات فهارس منظمة، تتناول عناوين الكتب وأسماء المؤلفين.

تعد المكتبات الإسلامية من أهم المؤسسات الثقافية التي يفخر بها الإسلام، والتي كان لها دور كبير جدًّا في نشر المعرفة تعدى تأثيرها المسلمين أنفسهم فانتقلت آثارها إلى ديار الغرب[2]. وقد عرفت الحضارة الإسلامية أنواعًا متعددة من المكتبات لم تعرفها أي حضارة أخرى، وانتشرت هذه المكتبات في جميع أرجاء الدولة الإسلامية، فوجدت المكتبات في قصور الخلفاء والمدارس والكتاتيب والجوامع، وكما وجدت في عواصم الإمارات وجدت في القرى النائية والأماكن البعيدة، مما يؤكد على تأصل حب العلم لدى أبناء هذه الحضارة، وكان من جملة ما عرفته الحضارة الإسلامية من مكتبات، المكتبات الأكاديمية، وهي من أشهر المكتبات في الحضارة الإسلامية، ومن أهمها مكتبة بغداد (بيت الحكمة)، وانتشرت المكتبات الخاصة في جميع أنحاء العالم الإسلامي بشكل واسع وجيد، ووجدت المكتبات العامة، وهي مؤسسات يحفظ فيها تراث الإنسانية الثقافي وخبراتها؛ ليكون في متناول الجميع من كافة الطبقات والأجناس والمهن والأعمار والثقافات المختلفة، ومن أمثلتها مكتبة مسجد قرطبة التي أسسها الخليفة الحكم المستنصر الأموي سنة 350هـ/ 961م[3]، ووجدت المكتبات المدرسية، إذ أولت الحضارة الإسلامية اهتمامها لإنشاء المدارس من أجل تعليم الناس جميعًا، وألحقت هذه المكتبات بالمدارس، وقد انتشرت بشكل عام في مدن العراق وسوريا ومصر وغيرها، ووجدت مكتبات في المساجد والجوامع، وهي البداية الأولى للمكتبات في الإسلام، حيث نشأت المكتبات في الإسلام مع نشأة المساجد، ومن أمثلتها مكتبة الجامع الأزهر، ومكتبة الجامع الكبير بالقيروان، وكان الإنفاق على المكتبات من ريع الأوقاف من الدولة أو من أهل الخير[4]. هكذا كانت نظرة الإسلام والمسلمين للمكتبة "غذاء للعقل، ومكانًا للعلم، ومركزًا للبحث".

التأسيس

تعد مكتبة المسجد النبوي الشريف مركزًا من مراكز



العلم بالمدينة المنورة. ومن أقدم المكتبات في المدينة المنورة. وقد ذكر صاحب كتاب خزائن الكتب العربية أن مكتبة المسجد النبوي تكونت قبل حريق المسجد النبوي في 13 رمضان عام 886هـ/ 15 نوفمبر 1481م حيث احترقت خزائن المصاحف والكتب في ذلك الحريق وكانت تضم الخزائن كتبًا نفيسة ومصاحف عظيمة [5].

أما في العهد السعودي فقد تأسست المكتبة عام 1352هـ/ 1933م باقتراح من السيد عبيد مدني حينما كان مديرًا للأوقاف في المدينة المنورة، وكان أول مدير لها هو السيد أحمد ياسين الخياري. وبالمكتبة بعض الكتب التي يعود تاريخ وقفها على المسجد النبوي قبل تاريخ إنشاء المكتبة مثل مكتبة الشيخ محمد عبد العزيز الوزير التي أوقفت عام 1320هـ/ 1902م، وهي من الكتب التي أدخلت في المكتبة بعد تأسيسها، وكانت هناك كتب في الروضة الشريفة على بعضها تاريخ متقدم عن تاريخ تأسيس المكتبة. وتوجد المكتبة حاليًا داخل المسجد النبوي للاستفادة من المكتبة والخدمات المقدمة فيها.

وصاحب اقتراح إنشاء المكتبة هو السيد عبيد مدني المولود عام 1324هـ/ 1906م، جده السيد محمد مدني، الذي تولى خلافة قاضي المدينة، وأمين ديوان المحكمة، ذا مال وأعوان وعبيد، وهو الذي بنى قصر الصالحية بالشونة وسكن فيه مع أولاده، وبعد وفاته سكنه أولاده الثلاثة إلا السيد عبد الله والد السيد عبيد فإنه سكن دارًا بسويقة المعروفة ببيت المفتي، وتزوج السيد عبد الله من شقيقة السيد زكي البرزنجي، ابن السيد أحمد البرزنجي، وبنى السيد عبد الله الفندق الكبير خارج باب المجيدي، به أكثر من ثلاثمئة غرفة لإسكان الحجاج، كما نزل في هذا الفندق الكثير من الشخصيات البارزة من الأتراك في مقدمتهم أنور باشا وجمال باشا وزير الحربية، وطلعت باشا وزير المالية. واشتهر السيد عبد الله بكرمه وكان بساطه ممدودًا لكل غاد ورائح.

أنجب ابنه البكر السيد عبيد وفرح بمولده وأنفق الكثير يوم ولادته، وبعد سبع سنوات من عمره توفي رحمه الله. وبقيت والدته في البيت بعد وفاة والده، ولما اندلعت الحرب العالمية الأولى سنة 1333هـ/ 1914م، أمر حاكم المدينة العسكري فخري باشا بإجلاء أهل المدينة للشام والأناضول خوفًا من انقطاع الأرزاق من الشام، وخوفًا من ميل الشريف مع الحلفاء صار سكان المدينة يسافرون تباعًا، وبقي السيد عبيد مع والدته بالمدينة وانتقلا لقصر الصالحية، حيث احتضنته أمه الشريفة صفية برزنجي التي رفضت الخروج في رحلة التهجير الجماعي لأهل طيبة. والتحق السيد عبيد بالمدرسة الفيصلية، ولم يواصل دراسته في المدرسة بل أخذ في الدرس بالحرم الشريف، وكان مولعًا بالأدب فتتلمذ على يدي المرحوم الشيخ العمري؛ فكان الشيخ يأتيه للبيت فيدرس عليه، ثم إن السيد عبيد حُبب إليه بيع الفندق حيث كان يؤجره لبعض المدرسين بأجرة طفيفة، واشترى بثمنه دارين بمصر إحداهما له والثانية لأخيه السيد أمين مدني، ومكث الأخوان وأقاما بها، ولما قام عبد الناصر بثورة الاشتراكية توقفت رواتب الموظفين السعوديين المقيمين بمصر فاضطر السيد عبيد للرجوع للمدينة. وتوفي في شوال 1396هـ/ أكتوبر 1976م بمصر وجاؤوا بجثمانه بالطائرة، وقد صلى عليه في المسجد النبوي ودفن بالبقيع. وترك ديوانًا شعريًّا مطبوعًا يزيد على 3 آلاف بيت، كما ترك موسوعة لتاريخ المدينة المنورة تبلغ 12 مجلدًا، إلاّ أنها لم تطبع حتى اليوم.

لقب السيد عبيد بشاعر المدينة وأديبها ومؤرّخها، حيث عاش ثلاثة عهود مختلفة من الحكم في طيبة، فأدرك أواخر حكم العثمانيين، ثم حكم الهاشميين، كما عاش أكثر حياته في ظل الحكم السعودي الذي دخل المدينة عام 1344هـ/ 1926م. وبرز اسمه في المناصب التي تقلدها كعضوية مجلس إدارة المدينة، ووفدها إلى المؤتمر الوطني بمكة عام 1350هـ/ 1932م، وإدارة أوقاف المسجد النبوي الشريف، وعضوية مجلس الشورى عام 1355-1373هـ، ومجلس الأوقاف الأعلى، ورئيس جمعية الدفاع عن فلسطين، وأسهم في تأسيس جريدة المدينة، ومجلة المنهل. وكانت له اتصالات بالملك عبدالعزيز، والملك سعود، والملك فيصل، رحمهم الله.

أما أول مدير لمكتبة الحرم النبوي الشريف فهو الشيخ أحمد ياسين الخياري، وهو شيخ القراء، وأحد أدباء المدينة المنورة الأفذاذ، ومن مؤرخيها المعروفين. وله عدة كتب مطبوعة، وله اهتمام واسع بالتاريخ وعلى وجه الخصوص تاريخ المدينة الفاضلة طيبة على ساكنها أفضل الصلاة والسلام، وكان رحمه الله حريصًا على اقتناء الكتب والمؤلفات المتعلقة بالمدينة المنورة وتاريخها الحافل. ولد بالمدينة المنورة عام 1321هـ/ 1903م. حفظ في كتاتيب الحرم النبوي في العاشرة من عمره المتون في سائر الفنون، وقرأ شروحها على والده، وتعمق

﴿عرفت الحضارة الإسلامية أنواعًا متعددة من المكتبات لم تعرفها أي حضارة أخرى، وإنتشرت هذه المكتبات في جميع أرجاء الدولة الإسلامية، فوجدت المكتبات في قصور الخلفاء والمدارس والكتاتيب والجوامع، وكما وجدت في عواصم الإمارات وجدت في القرى النائية والاماكن البعيدة﴾

﴿وبالمكتبة بعض الكتب التي يعود تاريخ وقفها على المسجد النبوي قبل تاريخ إنشاء المكتبة مثل مكتبة الشيخ محمد عبد العزيز الوزير التي أوقفت عام 1320هـ/ 1902م، وهي من الكتب التي أدخلت في المكتبة بعد تأسيسها، وكانت هناك كتب في الروضة الشريفة على بعضها تاريخ متقدم عن تاريخ تأسيس المكتبة. وتوجد المكتبة حاليًا داخل المسجد النبوي للاستفادة من المكتبة والخدمات المقدمة فيها﴾



في دراسة القراءات السبع والعشر والأربعة المتممة لها، وأكمل دراسته في الجامع الأزهر، وأدرج اسمه ضمن علماء الحرم النبوي بعد عودته من القاهرة في أوائل عام 1345هـ/ 1927م، وقام بالتدريس في مدرسة النجاح، واشترك في لجنة الاختبار السنوي لمدارس المدينة المنورة عدة سنوات. وعين عضوًا وسكرتيرًا ونائبًا لرئيس لجنة تنظيم مكتبات المدينة المنورة، ومديرًا لمكتبة الحرم النبوي الشريف، ثم مديرًا لمكتبة المحمودية. كما عين عضوًا في مجلس الأوقاف، وعمل في المحكمة الشرعية بطريق الانتداب للبحث في سجلات المحكمة الشرعية الكبرى عن الأوقاف المغمورة العائدة نظارتها إلى مديرية الأوقاف بالمدينة، وفي الحرم النبوي الشريف مندوبًا عن الأوقاف للإشراف على ترميم أبواب الحرم النبوي. وتجاوزت مؤلفاته الخمسين كتابًا، وهي على وجه العموم تدور حول القرآن وعلومه والتاريخ. وتوفي في ليلة الأربعاء 17 رجب 1380 هـ/ 5 يناير 1961م.

أقسام المكتبة

تضم أقسام المكتبة قاعات المطالعة الخاصة بالرجال، وتقع في الركن الشمالي الغربي من سطح المسجد النبوي، والمدخل السلم الكهربائي رقم (10)، وتحتوي على (358) دولاب، يوجد بها (100.000) كتاب، و(300) كرسي للرواد. وتوجد قاعات المطالعة الخاصة بالنساء وهي خمس قاعات ثلاث منها في مصلى النساء الشرقي بباب عثمان بن عفان رضي الله عنه رقم (24)، واثنتان في المصلى الغربي باب عمر بن الخطاب رضي الله عنه رقم (16)، وتم افتتاحها في غرة جمادى الأولى 1416هـ/ 26 سبتمبر 1995م. وتحتوي المكتبة النسائية على جميع التصانيف الرئيسة مثل قاعة المطالعة الخاصة بالرجال، بدءًا من المعارف العامة وانتهاءً بالتاريخ حسب تصنيف ديوي المعدل. وتوجد قاعات مطالعة خاصة بالأطفال.

وتضم المكتبة التصانيف الرئيسة للكتب، ويبلغ عدد المجلدات بها (19477) مجلدًا. وتضم المكتبة قرابة تسعين ألف كتاب مطبوع، وعشرة آلاف كتابًا مخطوطًا ما بين أصول خطية ومصورات رقمية وورقية وميكروفيلم، وثلاثة آلاف دورية. ومن أقدم المخطوطات التي وجد عليها تاريخ النسخ تفسير الإمام الثعلبي المسمى (الكشف والبيان في تفسير القرآن) والذي نسخ عام 578 هـ، و(المعلم شرح صحيح مسلم) للإمام المازري، نسخ أيضًا عام 578 هـ. وهناك الكثير من المصاحف والمخطوطات النادرة، سواء من ناحية الخط، أو الزخرفة والتذهيب، أو التعليقات والحواشي. والمكتبة تعد متخصصةً في علوم الدين الإسلامي: القرآن وعلومه والتفسير والحديث والفقه... التي تشكل ثمانين بالمئة من محتويات المكتبة.

وتضم المكتبة قسمًا للمكتبة الرقمية، وتحتوي على أجهزة حاسب آلي متصلة بشبكة خاصة محلية للمسجد النبوي، وشبكة الإنترنت، ومحمل عليها البرامج العلمية الحاسوبية، وتشمل الكتب والمخطوطات والصوتيات الرقمية التي تستعمل من قبل الباحثين. ويستفيد روادها بالبحث عن الكتب والموضوعات المختلفة المتوفرة في المكتبة، وبرنامج المكتبة الشاملة والمكتبة الإسلامية الكبرى ومواقع إسلامية على الإنترنت، ومكانها في الجهة الغربية داخل المسجد النبوي في الباب الثاني عشر بالطابق الثاني.

ويقوم قسم محدودة الاطلاع بحفظ الكتب المحدودة الاطلاع. ويضم قسم الدوريات أكثر من ثلاث آلاف دورية. ويقوم قسم الكتب النادرة بحفظ الكتب النادرة من حيث قدم تاريخ الطبع أو الزخرفة أو الأشكال والصور. وهناك ضوابط وضعت للكتاب حتى يحكم بأنه نادر.

أما قسم المجموعات الخاصة والمخطوطات، فيقع في الدور الأول والثاني من باب عثمان بن عفان رضي الله عنه نهاية التوسعة السعودية الأولى، وهو يضم خزانة المخطوطات الأصلية "كتب ومصاحف"، ومصورات ورقية وميكروفيلمية ورقمية، وأجهزة تصوير من الميكروفيلم إلى ورقي، وأجهزة حاسب آلي، وأجهزة تعقيم وصيانة المخطوطات، وطاولات لعرض نماذج من المخطوطات للزائرين، وصور ملتقطة مكبرة لنماذج بديعة من المخطوطات والمصاحف.

ويقع قسم المكتبة الصوتية في باب (17) للمسجد النبوي، ويقوم بحفظ ما يلقى في المسجد النبوي من التلاوات والدروس والخطب والصلوات من الحرمين الشريفين، وتبلغ محتوياته أكثر من مائة ألف ساعة صوتية مسجلة على أشرطة كاسيت وأقراص مدمجة ووسائط إليكترونية حديثة متعددة. كما تضم المكتبة الصوتية أكثر من مائة ألف ساعة صوتية، تشمل الدروس والمواعظ والخطب التي ألقيت بالمسجد الحرام و المسجد النبوي، وكذلك بعض المصاحف المسجلة لأئمة الحرمين الشريفين من صلاة التراويح والتهجد.

ويوجد القسم الفني بباب رقم (9) باب الملك سعود بن عبد العزيز رحمه الله، ويقوم بتجليد وترميم وتعقيم المخطوطات والكتب، وتصوير بعض طلبات التصوير من كتب ومخطوطات، والكتابة على الكتب المجلدة. ويشتمل القسم الفني على العديد من الأجهزة والمعدات والأدوات الحديثة الخاصة بالتجليد والترميم والتعقيم والتصوير وذلك للقيام بأي عمل لازم للكتب بأسرع وقت ممكن وبعمل متقن. وقد تم إدخال جميع فهارس الكتب بالحاسب الآلي وذلك بعمل برنامج خاص بالمكتبة يُسهل الاستعلام وسرعة البحث عن الكتاب المطلوب خدمة للباحثين.

ويضم القسم الفني أقسامًا هي: التجليد بأنواعه، والترميم لأجل ترميم المخطوطات والكتب. والطباعة الحرارية على الكتب آليًا ويدويًا. والتصوير والفهرسة والتصنيف والتزويد. ولكل من هذه الأقسام مهام: فقسم الفهرسة والتصنيف يقوم بتصنيف وفهرسة الكتب، وتسجيل الكتب الواردة للمكتبة في برنامج المكتبة بالحاسب الآلي. وقسم التزويد يقوم بتأمين الكتب الجديدة للمكتبة عن طريق الشراء، ومن مهامه أيضًا جلب الكتب الموقوفة على المكتبة، حيث يقوم البعض بوقف الكتب على المكتبة ونقلها إلى المكتبة في حياته أو بوصية منه بعد موته. وقسم المستودع يضم الكتب المكررة الزائدة عن حاجة رواد المكتبة، كما تحتفظ به كميات الكتب التي توزع على المساجد والمكتبات العامة في أنحاء العالم. وقسم الحاسب الآلي يقوم بإدخال بطائق الكتب (الفهارس) في الحاسب بعد ما تمّ إنجاز برامج لفهرسة الكتب والمخطوطات، والدوريات، كما يتمّ به تحويل المصورات الورقية والميكروفيلمية عبر الماسح الضوئي إلى الحاسب الآلي، وكذلك أدخل وحفظ التسجيلات الصوتية والمرئية في الحاسب الآلي.

ويقوم قسم التزويد بإعداد قوائم بالكتب التي تحتاجها المكتبة، ويتم التزويد عن طريق الرئاسة العامة لشئون المسجد الحرام والمسجد النبوي، أو عن طريق التبادل لبعض المصورات لكتب مطبوعة، أو عن طريق إهداء بعض

الكتب من الأفراد أو المكتبات العامة أو الجامعات والمراكز العلمية، أو عن طريق الوقف على المكتبة. وتتعاون المكتبة مع المكتبات الأخرى في داخل المملكة مثل مكتبة الملك فهد الوطنية، ومركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية بالرياض، ومكتبة الملك عبد العزيز العامة بالمدينة، ومكتبة الحرم المكي، ومكتبات الجامعات في الداخل، ومن أهمها مكتبة الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، كما تتعاون مع مكتبات الجامعات الإسلامية في الخارج.

وهناك أقسام أخرى مثل: البحث والترجمة، ويتمّ به بحث بعض المسائل حسب الحاجة، وترجمة ما يحتاج إلى ترجمة عربية من اللغات الأخرى كالإنجليزية والفرنسية والأوردو وغيرها، والاطلاع على الكتب المهداة أو الموقوفة على المكتبة وإجازتها. وقسم الأمن والسلامة ويقوم على مراقبة القاعات وتنظيم دخول وخروج الكتب إلى الأقسام وبين القاعات. وقسم الإهداء والتبادل ويقوم بتوزيع ما يتوفر من كتب ومطويات على رواد المكتبة وغيرهم، حسب النظام المتبع، وتبادل بعض الأفلام والمصورات سواء ورقية أو على أقراص ضوئية أو وسائط متعددة. وقسم الإعارة ويقوم بتنظيم إعارة بعض الكتب الخاصة بالإعارة حسب النظام والترتيب الموضوع لذلك.

تفتح المكتبة أبوابها يوميًا من الساعة السابعة والنصف صباحًا إلى ما بعد صلاة العشاء بما في ذلك أيام الخميس والجمعة والعطل الرسمية لعيدي الفطر والأضحى، ويتم إغلاق المكتبة فقط عند الصلوات حتى تخدم المكتبة أكبر عدد من الباحثين والزائرين، وليجد الباحث فرصة أوسع ليستفيد حسب الوقت الذي يتناسب مع ظروفه.

ويزور مكتبة المسجد النبوي الشريف أكثر من سبعين ألف زائر سنويًا من خمس وسبعينَ دولة، وترتاد المكتبة أعداد كبيرة من طلبة العلم وزوار المسجد النبوي، من أجل تلقي العلم وأيضًا للبحوث الخاصة بالدراسات العليا، ويسمح لجميع زوار المسجد النبوي الشريف بالاستفادة من المكتبة والخدمات المقدمة فيها.

ومن أجل المحافظة على موجودات المكتبة تم توفير العديد من الأجهزة مثل :تركيب أجهزة أمان على مداخل أبواب قاعات المطالعة للرجال والنساء، وتم وضع شريط ممغنط على جميع الكتب والمخطوطات بالمكتبة لكشف أي كتاب يخرج بإصدار صوت ينبه المسئول. وأجهزة مراقبة (كاميرات) وتتم المراقبة في غرفة خاصة للاطمئنان على سلامة الكتب من العبث. وتركيب طفايات الحريق منها اليدوية ومنها الآلية عند مداخل المكتبة وسقفها. وأجهزة الإنذار ضد الحريق للتنبيه عند وجود دخان أو حرارة من الأعمال التي يتم خلالها المحافظة على سلامة الموجودات. والتعقيم الدوري لجميع الكتب والتركيز على الكتب النادرة والمخطوطات. ووضع حرس أمن عند مدخل القاعة والمخطوطات. وترميم وصيانة المخطوطات والكتب وتجليد ما يحتاج إلى تجليد، وذلك عن طريق القسم الفني بصفة مستمرة، بالإضافة إلى وجود مسئول أمن عند مداخل القاعات. وإدخال جميع المخطوطات الأصلية في الحاسب لتسهيل ا لاطلاع والتصوير للباحثين والمحافظة على الأصل، ويتم الاطلاع عليها عن طريق الحاسب الآلي، والاحتفاظ بنسخه من الأشرطة والاسطوانات الخاصة بالحاسب الآلي التي تطلب للرجوع إليها عند تلف أو فقد النسخة المستعملة.

يعمل بالمكتبة ثمانون شخصًا من موظفين، وفنين، ومستخدمين، وعمال، إضافةً إلى العاملات اللاتي يعملن بالمكتبة النسائية. ويتم توزيع العاملين على فترتين، صباحية ومسائية. وتقدم المكتبة الخدمات المتنوعة للباحثين والقراء مدة فتح المكتبة، ويقوم الموظف المختص بمساعدة الباحثين في قاعات المطالعة بما يحتاجونه من خدمات. وتبادل صور المخطوطات الأصلية والمصورات الورقية والميكروفيلمية مع الأفراد والمكتبات العامة ومكتبات الجامعات في المملكة العربية السعودية وغيرها. ونسخ تسجيلات القرآن الكريم والدروس والخطب المحفوظة في المكتبة الصوتية والملقاة في الحرمين الشريفين لمن يطلبها بعد إحضاره أوعية فارغة. وتصوير طلبات الباحثين والرواد حسب التعليمات. وتوزيع بعض النشرات والمطويات والكتب المتوافرة على رواد المكتبة.

﴿والمكتبة تعد متخصصةً في علوم الدين الإسلامي: القرآن وعلومه والتفسير والحديث والفقه...، التي تشكل ثمانين بالمئة من محتويات المكتبة﴾

﴿تضم المكتبة التصانيف الرئيسة للكتب، ويبلغ عدد المجلدات بها (19477) مجلدًا. وتضم المكتبة قرابة تسعين ألف كتاب مطبوع، وعشرة آلاف كتابًا مخطوطا ما بين أصول خطية ومصورات رقمية وورقية وميكروفيلم، وثلاثة آلاف دورية. ومن أقدم المخطوطات التي وجد عليها تاريخ النسخ تفسير الإمام الثعلبي المسمى (الكشف والبيان في تفسير القرآن) والذي نسخ عام 578 هـ، و(المعلم شرح صحيح مسلم) للإمام المازري، نسخ أيضا عام 578 هـ. وهناك الكثير من المصاحف والمخطوطات النادرة، سواء من ناحية الخط، أو الزخرفة والتذهيب، أو التعليقات والحواشي﴾

المصادر:

1 - محمد بن عبد الله الخطيب التبريزي: مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، تحقيق جمال عيتاني، (بيروت: دار الكتب العلمية، 2001)، الجزء الثاني، ص 417.

2 - صلاح أحمد الطنوبي: "المكتبات في الإسلام"، مجلة الوعي الإسلامي، العدد 271، (رجب 1407هـ/ مارس 1987م)، ص 48-54.

3 -عيسى الحسن: الأندلس في ظل الإسلام تكامل البناء الحضاري، (عمان: الأهلية للنشر والتوزيع، 2010)، ص 96؛ عبد الغني عبد الفتاح زهرة؛ نورة محمد عبد العزيز التويجري: تاريخ الفتح الإسلامي والدول الإسلامية في بلاد الأندلس، (الرياض: مكتبة الرشد، 2010)، ص 191؛ عبد الرحمن علي الحجي: التاريخ الأندلسي من الفتح الإسلامي حتى سقوط غرناطة، (الدوحة: وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، 2012)، ص 317.

4 - محمد ماهر حمادة: المكتبات في الإسلام نشأتها وتطورها ومصائرها، (بيروت: مؤسسة الرسالة، 1978)، ص 82، 127.

5 - الفيكنت فيليب دي طرازي: خزائن الكتب العربية في الخافقين، (بيروت: منشورات وزارة التربية الوطنية والفنون الجميلة، د. ت.)، ص 146.

ألوان من الأدب العالمي والعربي



إبراهيم عبد الله الخويطر

كاتب ومفكر

من الأدب العالمي التفاؤل والتشاؤم

(اليوم لم يختتم بعد والسوق التي على شاطئ النهر لاتزال. ولقد خفت أن يكون يومي قد تبدد وآخر دراهمي قد ضاع. ولكن لا لا يا أخي. ما زلت أملك شيئًا. لأن حظي لم يسلبني كل شيء.

الآن انتهى البيع والشراء. لقد جمعت حصيلتي من الطرفين. والآن حان وقت عودتي إلى البيت.

ولكن أيها الحارس . أفتطلب ضريبتك؟

لا تخف يا أخي. لأني ما زلت أملك شيئًا. لأن حظي لم يسلبني كل شيء.

إن سكون الريح ينذر بالعاصفة.

⁂ ⁂ ⁂

وإن السحب المتجهمة في الغرب لا تبشر بخير.

والماء ساكن ينتظر الريح.

أما أنا فأهرول لأعبر النهر قبل أن يدركني الليل.

ولكن يا صاحب المعبر أفتريد أن تطلب أجرك؟

أجل يا أخي إني ما زلت أملك شيئًا. لأن حظي لم يسلبني كل شيء.

⁂ ⁂ ⁂

وفي ظلال الشجرة على جانب الطريق تربع شحاذ.

وا أسفاه. إنه يحدق في وجهي وفي عينيه رجاء وحياء.

إني في ظنه غني بما ربحت في يومي.

أجل. يا أخي. إني ما زلت أملك شيئًا. لأن حظي لم يسلبني كل شيء

⁂ ⁂ ⁂

لقد اشتد ظلام الليل. وأقفر الطريق. وتألق الحباحب بين أوراق الشجر

من عساك تكون يا من تتبعني في خطوات متلصصة صامتة

آه. لقد عرفت. إنك تريد أن تسرق مني كل أرباحي

لن أخيب ظنك !

لأني ما زلت أملك شيئًا. لأن حظي لم يسلبني كل شيء.

⁂ ⁂ ⁂

وصلت إلى المنزل عند منتصف الليل بيدين

وأنت لدى الباب تنتظرين في يقظة وصمت. وفي عينيك الرغبة

وكعصفورة وجلة طرت إلى صدري. يدفعك حب تواق.

آه يا إلهي. إن شيئًا كثيرًا ما يزال باقيًا معي. لأن حظي لم يخدعني ويسلبني كل شيء.

طاغور البستان

(التشاؤم)

أخالك تحفر عند قبري يا حبيبي. تغرس على حوافيه أشجار السذاب

كلا ! حبيبك ذهب البارحة ليخطب كريمة من أجمل كرائم الثراء! وهو يقول

في نفسه: ماذا عليها من ضير أن أنقض لها عهدي في الحياة ؟!

إذن من ذلك الذي يحفر ناحية القبر؟ أقاربي الأعزاء ؟

لا بنية! إنهم يجلسون هناك ويقولون: ماذا يجدي؟ أي نفع لهذه الأشجار والأزهار.

إن روحها لن يفلت من براثن القضاء خلال ذلك التراب المركوم!

ولكني أسمع حافرًا يحفر هناك من ذا عسى أن يكون! أهو عدوتي اللئيمة الرعناء؟

لا. إنها حين علمت أنك عبرت الباب الذي لا مفر منه. ضنت عليك بالعداوة. ولم تجدك أهلا للكره والبغضاء.

فما تبالي اليوم في أي مرقد ترقدين!

إذن من يكون ذلك الحافر على قبري؟ فقد أعياني الظن. وأقرت بالإعياء !

أواه إنه أنا يا سيدتي الودود! أنا كلبك الصغير. أعيش بقربك وأرجو ألا يزعجك ذهابي ومآبي في هذا الجوار !

آه نعم ! أنت الذي تحفر على قبري. عجبًا كيف غفلت. عنك. ونسيت أن قلبًا واحدًا وفيًا قد تركته بين تلك القلوب الخواء! وأي عاطفة لعمرك في قلوب الناس تعدل عاطفة الولاء في فؤاد الكلب الأمين؟

سيدتي إنني أحفر عندما أحفر لأدفن عظمة أعود إليها ساعة الجوع في هذا الطريق.

فلا تعتبي على إزعاجك، فقد نسيت أنك في ذلك المكان تنامين نومك الأخير !!!

النقد الأدبي-قطب

نموذج التشاؤم لأعرابي (المعري)

صاح! هذه قبورنا

غير مجد في ملتي واعتقادي   نوح باك ولا ترنم شاد
وشبيه صوت النعي، إذا قيس بصوت البشير في كل ناد
أبكت تلكم الحمامة أم غنت   على غصنها الميّاد

إيليا أبو ماضي

قال السماء كئيبة وتجهما

قال: العدى حولي علت صيحاتهم
أأسر والأعداء حولي في الحمى ؟
قلت: ابتسم .. لم يطلبوا بذمهم
لو لم تكن منهم أجل وأعظما
قال : المواسم قد بدت أعلامها
وتعرضت لي في الملابس والدمى
وعلي للأحباب فرض لازم
لكن كفي ليس تملك درهما
قلت: ابتسم يكفيك أنك لم تزل
حيًّا ولست من الأحبة معدما!
قال: الليالي جرعتني علقما
قلت: ابتسم ولئن جرعت العلقما
فلعل غيرك إن رآك مترنما
طرح الكآبة جانبا وترنما
أتراك تغنم بالتبرم درهما
أم أنت تخسر بالبشاشة مغنما ؟
ياصاح، لا خطر على شفتيك أن
تتثلما، والوجه أن يتحطما
فاضحك فإن الشهب تضحك والدجى
متلاطم، ولذا أحب الأنجما
قال: البشاشة ليس تسعد كاؤنا
يأتي إلى الدنيا ويذهب مرغما
قلت : ابتسم ما دام بينك والردى
شبر، فإنك بعد لن تتبسما

(نموذج آخر لأبي ماضي كن بلسما)

كن بلسماً إن صار دهرك أرقما
وحلاوة إن صار غيرك علقما
إن الحياة حبتك كلّ كنوزها
لا تبخلنّ على الحياة ببعض ما
أحسنْ وإن لم تجزَ حتى بالثنا
أيَّ الجزاء الغيثُ يبغي إن همى ؟
مَنْ ذا يكافئُ زهرةً فواحةً ؟
أو من يثيبُ البلبل المترنما ؟
عُدّ الكرامَ المحسنين وقسْهُمُ
بهما تجدْ هذين منهم أكرما
ياصاحِ خُذ علم المحبة عنهما
إني وجدتُ الحبَّ علما قيما
لو لم تَفُحْ هذي، وهذا ما شدا،
عاشتْ مذممةً وعاش مذمما
فاعمل لإسعاد السّوى وهنائهم
إن شئت تسعد في الحياة وتنعما

* * *

أيقظ شعورك بالمحبة إن غفا
لولا الشعور الناس كانوا كالدمى
أحبب فيغدو الكوخ قصرًا نيرًا
وابغض فيمسي الكون سجنا مظلما
ما الكأس لولا الخمر غير زجاجة
والمرءُ لولا الحب إلا أعظُما
كرهَ الدجى فاسودّ إلا شهبُهُ
بقيتْ لتضحك منه كيف تجهّما
لو تعشق البيداءُ أصبحَ رملُها
زهراً، وصارَ سرابُها الخدّاع ما
لو لم يكن في الأرض إلا مبغضٌ
لتبرمتْ بوجوده وتبرّما
لاح الجمالُ لذي نُهى فأحبه
ورآه ذو جهلٍ فظنّ ورجما
لا تطلبنّ محبةً من جاهلٍ
المرءُ ليس يُحَبُّ حتى يُفهما
وارفقْ بأبناء الغباء كأنهم
مرضى، فإنّ الجهل شيءٌ كالعمى
والهُ بوردِ الروضِ عن أشواكه
وانسَ العقاربَ إن رأيت الأنجما

* * *

يا من أتانا بالسلام مبشراً
هشّ الحمى لما دخلتَ إلى الحمى
وصفوكَ بالتقوى وقالوا جهبذٌ
علامةٌ، ولقد وجدتك مثلما
لفظٌ أرقّ من النسيم إذا سرى
سَحَراً، وحلوٌ كالكرى إن هوّما
وإذا نطقتَ ففي الجوارح نشوةٌ
هي نشوةُ الروح ارتوتْ بعدَ الظما
وإذا كتبتَ ففي الطروس حدائقٌ
وشّى حواشيها اليراعُ ونمنما
وإذا وقفتَ على المنابر أوشكتْ
أخشابها للزهو أن تتكلما
إن كنت قد أخطاكَ سربال الغنَى
عاش ابنُ مريم ليس يملك درهما
وأحبّ حتى من أحب هلاكه
وأعان حتى من أساء وأجرما

(ولأننا نعيش أيامًا أقرب إلى التشاؤم فنحن بحاجة إلى فلسفة التفاؤل)

(فلسفة الحياة - إيليا أبو ماضي)

أيّهذا الشّاكي وما بك داء
كيف تغدو إذا غدوت عليلا؟
إن شرّ الجناة في الأرض نفس
تتوقى قبل الرحيل الرحيلا
هو عبء على الحياة ثقيل
من يظن الحياة عبئًا ثقيلا
والذي نفسه بغير جمال
لا يرى في الوجود شيئًا جميلا
ليس أشقى ممن يرى العيش مرا
ويظن اللذات فيه فضولا
أحكم الناس في الحياة أناس
عللوها فأحسنوا التعليلا
فتمتع بالصبح ما دمت فيه
لا تخف أن يزول حتى يزولا
وإذا ما أظلّ رأسك همّ
قصر البحث فيه كيلا يطولا
أنت للأرض أولاً وأخيرًا
كنت ملكا أو كنت عبدًا ذليلا
لا خلود تحت السماء لحي
فلماذا تراود المستحيلا؟
كل نجم إلى الأفول ولكن
آفة النجم أن يخاف الأفولا
غاية الورد في الرياض ذبول
كن حكيمًا واسبق إليه الذبولا
وإذا ما وجدت في الأرض ظلا
فتفيأ به إلى أن يحولا
وتوقع إذا السماء اكفهرّت
مطرًا في السهول يحيي السهولا
قل لقوم يستنزفون المآقي
هل شفيتم مع البكاء عليلا
ما أتينا إلى الحياة لنشقى
فأريحوا أهل العقول العقولا
كل من يجمع الهموم عليه
أخذته الهموم أخذًا وبيلا

(أعرابي مدمن باع صوفًا واشترى فيه خمرًا فلامته زوجيه)

(خروف من عرائس وشياطين للعقاد)

تزوجت اثنتين لفرط جهلي
بما يشقى بـه زوج اثنتين
فقلت: أصير بينهما خروفًا
ينعم بين أكرم نعجتين
فصرت كنعجة تضحى وتمسي
تداول بين أكرم نعجتين
رضى هذي يهج سخط هذي
فما أعرى من إحدى السخطتين
وألقى في المعيشة كل ضر
كذاك الضر بين الضرتين
لهذي ليلة ولتلك أخرى
عتاب دائم في الليلتين
فإن أحببت أن تبقى كريما
من الخيرات مملوء اليدين
فعش عزبا فإن لم تستطعه
فضربا في عراض الجحفلين

❊ ❊ ❊

(أعرابي سكير باع صوفًا واشترى بثمنه خمرًا فلامته امرأته) قال:

غضبت علي لأن شربت بصوف
ولئن غضبت لأشربن بخروف !
ولئن غضبت لأشربن بنعجة
دهساء مالئة الإناء سحوف
ولئن غضبت لأشربن بناقة
كوماء ناوية العظام صفوف
ولئن غضبت لأشربن بسابح
نهد أشم المنكبين منيف
ولئن غضبت لأشربن بواحدي
ولأجعلن الصبر عنه حليفي

عرائس وشياطين- العقاد - كرم أعرابي (الحطيئة)

وطاوي ثلاث عاصب البطن مُرمِلِ
ببيداء لم يعرف بها ساكن رسما
أخي جفوة فيه من الإنس وحشة
يرى البؤس فيها من شراسته نعما
تفرد في شعب، عجوزًا إزاءها
ثلاثة أشباح. . تخالهما. . بهما
حفاة عراة، ما اغتذوا خبز ملة
ولا عرفوا للبر مذ خلقوا طعما
رأى شبحا وسط الظلام، فراعه
فلما بدا شبحا تشمر . . واهتما
فقال ابنه لما رآه بحيرة
أيا أبت اذبحني ويسر لـه طعما
ولا تعتذر بالعدم على الذي طرى
يظن لنا مالا فيوسعنا ذما
فروى قليلا، ثم أحجم برهة
وإن هو لم يذبح فتاه فقد هما
وقال: أيا رباه ضيفي لا قرى
بحقك لا تحرمه تالليلة اللحما
فبيناهم، عنت على البعد عانة
قد انتظمت من خلف مسحلها نظما
ظماء تريد الماء فانساب نحوها
على أنه إلى دمها أظمـا
فأمهلها حتى تروت عطاشها
فأرسل فيها من كنانته سهما
فخرت نحوصًا، ذات جحش فتية
قد اكتنزت لحمًا وقد طبقت شحما
فيا بشره إذ جرها نحو أهله
ويابشرهم لما رأوا كلمها يدمى
فباتوا كراما قد قضوا حق ضيفهم
فلم يغرموا غرما، وقد غنموا غنما
وبات أبوهم من بشاشته أبًا
لضيفهم أبا والأم من بشرها أما

(المتنبي مع سيف الدولة عتاب ووداع مر)

وَاحَـرّ قَلباهُ ممن قلبهُ شَبِمُ
ومن بجسمي وحالي عنده سقم
مالي أكتم حبًا قد برى جسدي
وتدعي حب سيف الدولة الأمم
إن كان يجمعنا حب لغرته
فليت أنا، بقدر الحب نقتسم نعم
قد زرته، وسيوف الهند مغمدة
وقد نظرت إليه والسيوف دم
فكان أحسن خلق الله كلهم
وكان أحسن ما في الأحسن الشيم
فوت العدو، الذي يممته، ظفر
في طيه أسف في طيه نعم
قد ناب عنك شديد الخوف، واصطنعت
لك المهابة ما لا تصنع البهم
عليك هزمهم في كل معترك
وما عليك بهم عار إذا انهزموا
يا أعدل الناس إلا في معاملتي
فيك الخصام، وأنت الخصم والحكم
أعيذها نظرات منك صادقة
إن تحسب الشحم في من شحمه ورم
وما انتفاع أخي الدنيا بناظره
إذا استوت عنده، الأنوار والظلم
سيعلم الجمع، ممن ضم مجلسنا
بأنني خير من تسعى به قدم
أنا الذي نظر الأعمى إلى أدبي
وأسمعت كلماتي من به صمم
أنام ملء جفوني عن شواردها
ويسهر الخلق جراها ويختصم
وجاهل مده في جهله ضحكي
حتى أتته يد فراسة وفم
إذا رأيت نيوب الليث بارزة
فلا تظنن أن الليث يبتسم
الخيل والليل والبيداء تعرفني
والسيف والرمح والقرطاس والقلم
صحبت، في الفلوات الوحش منفرا
حتى تعجب مني القورُ والأكم
يا من يعز علينا أن نفارقهم
وجداننا كل شيء بعدكم عدم
ما كان أخلقنا منكم بتكرمة
لو أن أمركم من أمرنا أمم
إن كان سركم ما قال حاسدنا
فما لجرح إذا أرضاكم ألم
وبيننا، لو رعيتم ذاك، معرفة
إن المعارف في أهل النهى ذمم
كم تطلبون لنا عيبا فيعجزكم
ويكره الله ما تأتون والكرم
ما أبعد العيب والنقصان من شرفي
أنا الثريا وذان الشيب والهرم
ليت الغمام الذي عندي صواعقه
يزيلهن إلى من عنده الديم
لئن تركن ضميرًا، عن ميامننا
ليحدثن إلى من ودعتهم ندم
إذا ترحلت عن قوم وقد قدروا
ألا تفارقهم فالراحلون هم
شر البلاد مكان لا صديق به !
وشر ما يكسب الإنسان مايصم
وشر ما قنصته راحتي قنص
شهب البزاة سواء فيه والرخم
هـذا عتابك إلا أنه مقة
قد ضمن الدر إلا أنه كلم

يا أمير البيان..

(تحية واعتذار إلى الراحل نزار قباني)



شعر

سعد عبد الله الغريبي

لك مني تحيتي وسلامي   شاعر الوجد والجوى والغرام
شاعر الياسمين فاح أريجا   شاعر البحر والندى والغمام
شاعر الحرب إذ توالى خطوب   شاعر الحب حين وقت السلام
لست أدري من أين أبدأ بوحي   باشتياقي ولوعتي واحترامي؟!
أم بتقديم عذرنا وأسانا   حين كلنا إليك كل اتهام
حين قلنا (نزار) زير نساء   ورهين لـ (كيفه) والهيام
أي شأن له بأحلام شعب   وجهاد لنيل حق مرام؟!
أي شأن له بتحقيق حلم   عربي وعزة واحترام؟!
حين قلنا أفسدت فينا شبابا   ناصع الفكر طاهر الأحلام
ولعمري فلم يضرهم سوانا   باختلاف وفتنة واضطرام
راعنا أن رميت أقلام ورد   وتحولت كاتبًا بالحسام
هالنا أن طرحت وردة حب   وتخليت عن كؤوس المدام
وذهلنا إذ اعتزلت الندامى   وتوجهت نحونا باهتمام

* * *

شاعر النبل والمروءة حقا   شاعر الود والصفا والوئام
ما قدرناك حق قدرك لما   كنت فينا تقودنا للأمام
ما عرفناك يوم كنت لدينا   تضمد الجرح رغبة في التئام
بل عرفناك حين جدت أمور   وتوالت مصائبُ كالسهام
كنت نبهتنا إليها ولكنا خشينا مغبة الإقدام
كنت أنذرتنا كثيرًا كثيرًا   من شتات وفرقة وانقسام
وأنرت السبيل للمجد لكنا اتجهنا إلى دروب الظلام
كم تنبأت للشعوب بقهر   إن تسلم قيادها للطغام
صدق الحدس يا نزار فصرنا   في يديهم كصبية أيتام
قد تولوا قيادنا فاستحلنا   لعبة في اليدين والأقدام

* * *

شاعر الثأر للكرامة ممن   سلبوها في غفلة وانهزام
داعي العرب للتحرر من ربقة كل المستعمرين اللئام
أو تدري بما فعلناه لما   غبت عنا في هذه الأعوام؟!
أوتدري بأن مسرى النبي   لم نعده إلى حمى الإسلام؟!
بل أضعنا عراقنا ويح قلبي   وقريبًا نضيع أرض الشآم
وقطار التطبيع ما زال يمضي   بيننا والعدا بكل انتظام
وقطار التركيع ما زال يسري   بسكون .. وهدأة .. وسلام

* * *

يا أمير البيان شعرًا ونثرًا   ودليل الورى لفن الكلام
كنت لامست كل جرح عميق   حين أدركت ما بنا من سقام
حين أدركت أننا ما أخذنا   من فنون الشعوب غير الحطام
يا أمير القريض عفوًا فإنا   قد سئمنا معيشة الأنعام
عُد إلينا تُعد لنا يا عزيزي   ما افتقدناه من حياة الكرام

قيثارة الحزن وشهرزاد الغزل..

إدريس جمّاع



بقلم: عماد أحمد العالم

@emadelalem

يُقال: ومن الحب ما قتل.. ولست منكرًا لذلك، فأنا الذي استشهدت وكتبت من قبل كما آخرين عن قيس الذي وصفوه بالمجنون وبحبيبته ابنة عمه ليلى العامرية التي أدمى هواها قلبه؛ لكن الغريب وقد يكون النادر مستحيل الحدوث هو أن يقضي الشخص نحبه من فرط هواه بالجمال وغرامه به وتعلقه دون أن يكون لأحد هي أنثى بذاتها، سلبت لبه وتملكت عقله، فانشغل عن دنياه وواقعه وهام في ملكوت الحب اللامتناهي حتى فقد عقله، وأمسى وحيدًا ملكًا وشعبًا في مملكة جنونه التي أطلقوها عليه واختارها بنفسه ولم يجد عارًا في ذلك، أو رغبةً في الخروج منها، بعد أن أصبح الجمال هاجسه الذي لا يُمكن أن يُشفى منه.

هو ابن النيل الجواد وشاعر السودان الذي قضى فاقدًا لعقله بعد سنوات من معاناته وأمراضه النفسية التي حجرت على جسده، لكنها لم تحجر على جود لسانه، الذي قرض به شعرًا الوَتِن بما فاضت به قريحة الشعراء المعاصرين في الهوى والجمال والغزل لوزنهم ورجحت كفته عليهم!

إدريس جماع مدرس اللغة العربية الذي ترك حبيبةً جارة له في السودان ورحل أربعينيات القرن الماضي صوب مصر فحصل منها على ليسانس اللغة العربية وعاد ليجد المحبوبة وقد تزوجت قريبًا لها، فجن جنونه وهام في شوارع الخرطوم يرثي حظًا لم يكرمه بعد أن فقد وصال من منى نفسه بأن تكون يومًا شريكةً لحياته، كان رحمه الله وكما روي عنه هائمًا في سوق الخرطوم كالباحث عن شيء فقده وغير مكترث لما حوله، فناشد العديد من الأدباء والمفكرين والمثقفين حكومة الرئيس السوداني إبراهيم عبود التي عُرف عنها اهتمامها بالأدب والفن علاجه في الخارج فاستجابت وأرسلته إلى لبنان التي عاد منها للسودان مرة أخرى دون أن تتحسن حالته، حتى قيل إنه كان يُرى راقدًا على خطوط السكة الحديدية، ليقوم منتفضًا كمن به مس عند اقتراب القطار، بقي حاله على ما هو عليه حتى ضنى جسده ونحل وتوفي بشعره العام 1980.

عُرف برهف حسه وبلاغة شعره وبسمو معانيه، التي كانت تخرج مسرعةً فتصطف كلماتها بإبداع فارضها كسوار من لؤلؤ أضنى بحاره حتى جمعه بتفانٍ وعزيمة، بأن يخرج في كل غطسة بلآلئ متناسقة براقة، حال جمعها وصقلها تغدو حلم أميرة يزدان بها معصمها حال لبسه!

من منا في لحظات قنوطه وحسرته لرداءة حظه لم ينشد:

إن حظي كدقيقٍ فوق شوك نثروه
ثم قالوا لحُفاةٍ يومَ ريحٍ اجمعوه
عَظُم الأمرُ عليهم ثم قالوا اتركوه
أن من أشقاهُ ربي كيف أنتم تُسعدوه

هي كلمات يرثي بها الشاعر إدريس نفسه، وإن كانت اختلف في مصدرها فنسبها البعض للشاعر السوداني محمد عبد الحي وآخرون أرجعوها لمحمد محجوب؛ لكن المنطق يشير إلى أن معانيها جسدت نمط تفكر جمّاع وكرست عمق إيمانه بالله سبحانه وتعالى وبقوته التي لا تجاريها أو تقترب منها قوة البشر.

من أكثر الروايات التي تم تداولها عنه وأثرى الغزل والجمال بها بقصيدة (أنت السماء)؛ ما روي عن موقف حدث معه وهو في المطار مستهلاً مشواره العلاجي في الخارج، حيث رأى عروسًا تجلس بجانب عريسها في صالة

الانتظار، فبهره فرط جمالها، فلم يزح ناظريه عنها برغم ما أثاره ذاك الصفون بالمرأة من حفيظة زوجها الذي حاول أن يبعدها عنه، فقال أحد أروع قصائده التي تغنى بها الفنان الراحل سيد خليفة، وكأنه يخاطب فيها زوجها المحتج والمتغظ من نظراته:

أعلى الجمال تغار منا ماذا عليك إذا نظرنا
هي نظرة تنسى الوقار وتسعد الروح المعنّى
دنياي أنت وفرحتي ومنى الفؤاد إذا تمنّى
أنتَ السماءُ بدتْ لنا واستعصمتْ بالبعدِ عنا
هلاّ رحمتَ متيمًا عصفت به الأشواق وهنا
وهفت به الذكرى فطاف مع الدجى مغنى فمغنى
هزته منك محاسن غنى بها لمّا تغنّى
يا شعلةً طافتْ خواطرنا حَوَالَيْها وطفنا
آنست فيكَ قداسةً ولمستُ إشراقًا وفنّا
ونظرتُ في عينيكِ آفاقًا وأسرارًا ومعنى
كلّمْ عهودًا في الصبا وأسألْ عهودًا كيف كنّا
كمْ باللقا سمحتْ لنا كمْ بالطهارةِ ظللتنا
ذهبَ الصبا بعُهودِه ليتَ الطفُولَةَ عاودتنا

في قصة أخرى اشتهرت عنه ونتج عنها واحدة من قصائده العذبة؛ قيل عنه في أثناء تواجده في مستشفىً فرنسي للعلاج أنه أولع بعيني ممرضته التي تتولى علاجه وأسرته بجمالها، فلم يترك النظر إليها لحظة حتى خافت منه فاشتكت لمدير المستشفى، الذي نصحها بأن تضع نظارة سوداء حال تواجدها معه، ليتفاجأ جمّاع بما فعلت فقال فيها:

السيف في غمده لا تُخشى بواتره
وسيف عينيك في الحالتين بتار!

فتمت ترجمة ما قال للمرضة التي بكت من حسنه، وهو الذي صنف فيما بعد كأبلغ بيت شعر غزلي في العصر الحديث!

كتب عنه الدكتور عبده بدوي في كتابه الشعر الحديث في السودان «إن أهم ما يميز الشاعر إدريس جمّاع هو إحساسه الدافق بالإنسانية وشعوره بالناس من حوله»، فيما وصف الدكتور تاج السر الحسن المُشرف على طباعة ديوانه الوحيد (لحظة باقية) وفيها جمعت قصائده التي لم يتسن نشرها بسبب مرضه عدا عن عديدة فقدت بسبب كتابته لها وتمزيقها أو كتابتها على الجدران؛ شعره بالذي يقع في إطار التراثي والديواني العربي، كونه من مدرسة العربية الابتدائية ومن رواد التجديد الشعري ومن شعراء مدرسة الديوان على وجه الخصوص ضمن مجموعة عبدالرحمن شكري وعباس العقاد وإبراهيم المازني.

أما هذه الأبيات للشاعر إدريس جماع فيمكن أن تقرأ رأسيًا وأفقيًا بنفس المعنى:

ألوم حبيبي وهذا محال
حبيبي أفيك الكلام يقال
وهذا الكلام غداة الجمال
محال يقال الجمال محال

سيبقى شعر إدريس جماع خالدًا وهو الذي يعد من أرق من كتب الشعر الممزوج بالبؤس والمعاناة والألم والحرمان الذي طال قائله، لكنه ومع ذلك خرج لنا بقصائد عذبة يفيض منها عبق الإنسانية والمشاعر المرهفة والإحساس الصادق الذي تغنى بالجمال وقدسه ودعى للوطنية ومجدها وساندها في أوقات شهدت ثورات عربية كان من أشد المتحمسين لها وعلى رأسها القضية الفلسطينية والجزائر ومصر وقضايا التحرر في العالم أجمع، كما تغنى بأفريقيا ونادى لوحدة الشعوب ونبذ العنف وللسلام والمحبة ومجد وطنه وعشقه، ومن بعض ما قال فيه بإحدى قصائده التي تم إضافتها للمناهج الدراسية ويقول فيها:

سأمشي رافعًا رأسي بأرض النيل والطهر
ومن تقديس أوطاني وحب في دمي يجري
ومن ذكرى كفاح الأمس من أيامه الغر
سأجعل للعلا زادي وأقضي رحلة العمر
هنا صوت يناديني نعم لبيك أوطاني
دمي عزمي وصدري كله أضواء إيماني
سأرفع راية المجد وأبني خير بنياني
هنا صوت يناديني تقدم أنت سوداني

من قصائده الغزلية الأخرى قرأنا له:

في ربيع الحب كنا نتساقى ونغني
نتناجى ونناجي الطير من غصن لغصن
إننا طيفان في حلم سماوي سرينا
واعتصرنا نشوة العمر ولكن ما ارتوينا
إنه الحب فلا تسأل ولا تعتب علينا
كانت الجنة مأوانا فضاعت من يدينا
أطلقت روحي من الأشجان ما كان سجينا
أنا ذوبت فؤادي لك لحنًا وأنينا
فارحم العود إذا غنوا به لحنًا حزينا
ليس لي غير ابتساماتك من زاد وخمر
بسمة منك تشع النور في ظلمات دهري
وتعيد الماء والأزهار في صحراء عمري



إدريس جمّاع

«هام في شوارع الخرطوم يرثي حظًا لم يكرمه بعد أن فقد وصال من مني نفسه بأن تكون يومًا شريكةً لحياته. كان رحمه الله وكما روي عنه هائمًا في سوق الخرطوم كالباحث عن شيءٍ فقده وغير مكترث لما حوله»

حياة المهمشين في مرآة الفن



أ. د. أحمد يحيى علي

أستاذ الأدب والنقد، كلية الألسن، جامعة عين شمس، مصر

حياتنا مثل صفحة كتاب .. في هذه الصفحة نجد تقسيمًا لها - في الغالب - إلى متن وهامش. وهذا الهامش كما هو معلوم يوجد أسفل الصفحة حتى يتسنى للعين القارئة أن تركز عدستها على المتن أكثر وما يتضمنه.. أمر آخر: الخط في المتن أكبر حجمًا منه في الهامش.. هكذا الحياة وما فيها من بشر تنقسم إلى أناس يعيشون في دائرة الضوء. هؤلاء ارتبطت حياتهم - إلى حد كبير - بمعاني الاستقرار والنعيم.. وإلى جوارهم في الصفحة نفسها جماعة أخرى أكثر عددًا ابتعدوا أو أبعدوا ليسكنوا أسفل الصفحة في منطقة الهامش. لا ينظر إليهم ولا يعبأ بهم كثيرًا معظم من سكنوا في المنطقة الأولى ..

مساحة هؤلاء في الحياة ليست كبيرة. إنها محدودة بمحدودية أدوارهم. بتصاغر أحلامهم. تماما كما هو الحال بالنسبة لكلمات الهامش التي تتضاءل أحجامها إذا ما قورنت بنظيرتها في المتن..

عين المبدع مثل عينك تطوف بعدستها أرجاء الواقع المعيش. لكنها ترصد لتسجل بعد ذلك ما تركه هذا المرئي بداخلها .. هذا التسجيل قد يأتي في شكل لوحة مرسومة أو رواية مكتوبة أو قصة أو مسرحية وقد يأتي في شكل قصيدة شعر..

ونحن في هذه السطور نصاحب الفن من خلال مجموعة قصصية تحمل عنوان (عسل الشمس) للأديب فؤاد قنديل. مصري الجنسية.

وفي هذا العالم الفني نلج بعضًا من غرفاته عنوانه (عسل الشمس)..

إن هذا التركيب يأخذنا إلى ما يمكن تسميته: إفراز النهار .. ناتج حركتنا فيه.. محطة الوصول بعد سفر نهاري طويل.. لكن يا تُرى ما الفرق بين عسل النحل وعسل الشمس؟..

إن عسل النحل طعمه حلو. فيه شفاء للناس. لكن هل عسل الشمس حلو مثله ؟.. الجواب عند فؤاد قنديل وراويه الذي يصاحبنا في رحلة القراءة لغرفات هذا العالم القصصي..

في هذا العالم القصصي عند قنديل نجدنا أنفسنا في حركة/ رحلة تقوم بها الشخصية من الريف إلى المدينة. هذه الحركة الكائنة على مستوى الواقع بكل ما يعلق بها من قضايا وإشكاليات بالنظر إلى الواقع الاجتماعي المصري - على وجه التحديد - تعد بمثابة أو الحكاية الكبرى التي تم الانطلاق منها وتوظيفه من خلال شخصيات القصص الثلاث الأولى في داخل هذه المجموعة... وهي شخصيات بينها رباط منطقي: الأم (الزوجة) في القصة الأولى. الرجل (الزوج) في القصة الثانية. الابن في القصة الثالثة... من هذا التوظيف لمعجم الأسرة خرجت دراما رحلية لها نقطة بداية (خروج) ولها نقطة نهاية (عودة)...

• رحلة الأم

أول قصة في مجموعة عسل الشمس بعنوان (أمنيات بهانة) .. بالفعل بطل القصة كما يبدو من العنوان مؤنث اسمه بهانة.. وهو اسم يحيل إلى البيئة الريفية.. نستطيع الاقتراب منها من خلال عدسة الراوي الواصفة على النحو الآتي:

«لم يبق حتى تبلغ المدينة غير كيلو واحد. القفة المحشوة بحزم البقدونس والكرُّات ثقيلة. الرقبة المشدودة تعين الرأس على حملها... القدمان الحافيتان تهبطان في بحيرات الماء وتدوسان الحصى وتخوضان في النقابة.. أسرعت تلف السوق.. ربنا يسترها مع سليم العسكري كده أنا قاعدة رجل جوة ورجل برة.. علمت نفسها أن تجلس والقفة لا تزال على رأسها دون معاونة. هبطت أولاً على ركبتيها كالجمل.. ثم سحبت ساقًا من تحتها فأصبحت أمامها وسحبت الأخرى وربعت.. ثم وضعت الرضيع في حجرها. تذكرت بهانة أن اليوم عمدة بلدهم عنده (ليلة) سيقيم حضرة وذكر.. وسيذبح عجلاً كالعادة.. يا ريتك يا بني تيجي علشان تفوت بحتة لحم. أحست بالتعب فجأة يخدر أعضاءها.. تبخر كل أثر للإرهاق وهي تمني نفسها بالعودة المبكرة كي تستعد لزوجها وتراه بالشريطة الثالثة وابنها الذي سيجيئ اليوم من مصر.. فجأة هبت العاصفة. وقبل أن تنحني على مالها تحميه وتستنقذه كان الحذاء الرهيب قد بعثر القفة على الطريق وتمرغت الحزم في التراب.. فزعت الطفلة وصرخ الرضيع حين ألقته أمه على الأرض..» قصة أمنيات بهانة، ص7، 8.

11، 12، 14، 15 ضمن مجموعة عسل الشمس، طبعة 1990م، الهيئة العامة للكتاب .

بهانة في عالم فؤاد قنديل القصصي نموذج مأخوذ من الواقع لكل إنسان يمشي في مناكب الحياة محملاً بمعاني التعب والشقاء ليدرك في النهاية القليل.. وهو في هذه الدراما يسير ملازمًا له إحساس بالخوف يساوي إعاقة وعدم قدرة على الوصول إلى مبتغاه..

قد تفتح هذه الرؤية المجال أمام مقارنات بين هذا الحال عند بهانة، ومن يقرأ حكاياتها كما يقدمها الراوي عند قنديل؛ فالحياة قاسم مشترك بيننا وبين بهانة نعيشها جميعًا بلحظاتها الحلوة ولحظاتها المرة، لكن صوت الراوي عند فؤاد قنديل يقدم لنا هذه الحياة من خلال وجهها المأساوي، من منطقة الأزمة فيها.. إن بهانة نموذج نقف عنده لنتواصل معه إيجابياً، وفي الوقت نفسه لنهرب منه حتى لا نعيش في جلبابه مستقبلاً.

ماذا لو رُفعت الباء من اسم البطل (بهانة) ووضعت بدلاً منها الميم المضمومة، أو المفتوحة لتصبح (مُهانة) أو (مَهانة)، إن هذه التسمية تعبر عن الوضع الدرامي للشخصية بشكل دقيق.

إن الشخصية (مُهانة) اسم مفعول؛ ومن ثم فهي ضحية فاعل سلبي أدى بها إلى ذلك الحال.. ويبدو أن أثر هذا الفاعل السلبي سيمتد عندما نلج مع راوي فؤاد قنديل القصة الثانية التي تحمل عنوان (عصر بهانة).

- **رحلة الأب**

عادت بهانة إلى قريتها تخدم في بيت العمدة منتظرة عودة زوجها الشاويش محفوظ وابنها من القاهرة :

«اندفعت بهانة تشعل باجورًا خامسًا.. وضعت فوقه حلة كبيرة ثم دخلت حجرة العجين لتطمئن عليه.. مضت إلى الفرن.. فجأة أم.. أم.. الحقي يا أم.. انتفضت بهانة على صوت ابنها أبويا جابوه العساكر متصاب وراسه مربوطة بشاش» مجموعة (عسل الشمس)، قصة عصر بهانة، ص20، 22، 23 لماذا؟:

«.. باستطاعة محفوظ أن يقتحم أي مظاهرة.. ويبهر رؤساءه.. اطمأن الجنود الذين يرافقون محفوظًا إلى أن المظاهرة سلمية، لكنهم بعد دقائق أحسوا أنها ليست سلمية على الإطلاق.. الأوامر تتردد في جهاز اللاسلكي الذي يحمله الضابط.. وتهبط من رتبة إلى رتبة ثم تحملها الرتبة الأخيرة إلى رتبة أقل.. إلى أن تصل إلى ..لكن الطلبة هبوا فجأة وانهالوا على الجميع بالحجارة.. ثم سمع الضابط صوت ارتطام قريب وفوجئ بالدم ينفجر في رأس محفوظ..» المجموعة ص26، 31، 32.

إن «شخصية محفوظ» امتداد للزوجة بهانة؛ إنه يحيا في أسفل الصفحة هو الآخر، لا يعدو أن يكون قدم سلطة تركل بها من تريد.. وتوظفها بطريقتها الخاصة.

إن محفوظ اسم مفعول هو الآخر مثل بهانة المهانة، لكن لماذا محفوظ ؟ لأنه معلوم ومعروف ومحكوم ومحدد وموضوع في قالب لا يمكنه الخروج عنه، قالب صبه فيه فاعل يحركه؛ إنه يعرف أبعاده ويدرك تمامًا أنه أداة طيعة لتنفيذ ما يريد وإلا لما كانت هذه المواجهة التي أفضت إلى «أبويا جابوه العساكر متصاب وراسه مربوطة بشاش»..

- **رحلة الابن**

..وتكتمل أركان مثلث هذا البيت المصري المأزوم مع الابن (جلال) في القصة الثالثة داخل مجموعة (عسل الشمس) التي تحمل عنوان (ابن بهانة).. إنه طالب نزل إلى القاهرة للدراسة بالجامعة.. وحان موعد عودته الأسبوعية إلى قريته وأمه وأبيه فكان القطار هو وسيلته لتحقيق هذه الغاية حتى يتسنى له الوصول عند المغرب:

«.. جلس جلال في أول كرسي وجده خاليًا في إحدى عربات الدرجة الثالثة.. استأذن جندي من جلال كي يصعد إلى رف الحقائب.. وحين استقر الجندي في موضعه استقرت فردتا حذائه الضخم فوق رأس جلال.. الحذاء كبير له ملامح فظة.. ما الذي يمكن أن يفعله ليختفي هذا الحذاء من الوجود؟ المشكلة الوحيدة الآن في العالم كله هي هذا الحذاء الذي يسكن بالضبط فوق رأسه.. قال له جلال: ابعد حذاءك.. اهتدى الجندي فجأة إلى حل يرضي جلال أقلعها؟ قال له جلال على الفور: اقلعها.. اندلعت فجأة في أنفه رائحة كريهة بشكل قاتل.. تسللت إلى عينيه فلم يعد يبصر.. اكتشف أن الرائحة التي كهربت الجو كله وسممته هي رائحة جوارب الجندي.. ظل جلال مسيطرًا على نفسه.. يكتم أنفاسه إزاء الرائحة الفظيعة رائحة الإنسان حين تنفجر فيه البلادة وينعدم الإحساس» المجموعة ص37، 41، 42، 43، 44، 46.

ما زلنا أمام ثنائية (الفاعل السلبي والمفعول الضحية).. إن كلمة مُهانة قد تجاوزت بأثرها السياق الدرامي الذي ظهرت فيه بداية بصحبة البطل (بهانة) لتصل إلى الابن إنه رقم ثلاثة الذي يقبع أسفل الخط في منطقة الهامش في صفحة الحياة؛ هاهو ذا الحذاء الذي تعلق فوق رأسه وهاهي ذي الدرجة الثالثة وليست الأولى ولا الثانية في قطار الرجعة علامتان رمزيتان تؤكدان على هامشية هذه الوضعية في الحياة التي للأب وللأم وللابن..

- **عسل الرحلة**

إننا أمام أسرة في عالم الفن ترمز وتختزل أسرة مصرية كبيرة في العدد على مستوى الواقع تم إقصاؤها عنوة من منطقة المتن حيث الحياة الكريمة إلى منطقة الهامش، حيث الحياة بأزماتها الجاثمة على الصدور في عرض فني سلط فيه الراوي عدسته الراصدة على أحد الأوجه المأساوية للواقع.

وبناء على هذا التشكيل الدرامي للخبر يمكن القول: إن عالم فؤاد قنديل الذي يبدو من خلال هذه المتوالية القصصية ثلاثية الأركان: الزوجة، الزوج، الابن يبدو متقاطعًا - بدرجة كبيرة - مع هذه القصة الشهيرة ليوسف إدريس (النداهة) التي وفق فيها في توظيف موروث شعبي يقوم على الخرافة في بناء فني أسكنه رؤيته الفكرية إزاء مسألة الهجرة من الريف إلى المدينة، وما يترتب عليها من مشكلات على مستوى الفرد والمجتمع معًا... هذه الرؤية يمكن الوقوف على مفرداتها من خلال هذا المجمل بدايةً (العنوان) وما يطرحه من دلالات، ومن خلال الحركة الدرامية للشخصية من الداخل وما ينجم عنها... عندئذ يبدو على الفور خطأ التعامل مع سياق الواقع وبناء رؤى تجاهه بناء على أبعاد ميتافيزيقية ينتفي عنها منطق البحث القائم على علم حقيقي بما فيه قبل أن تتم صياغة أحكام تجاهه سواء أكان ذلك بالقبول أم بالرفض، فتكون النتيجة في نهاية المطاف صناعة الوهم الذي يساوي أزمةً واغترابًا...

جدلية التناص وتجلياته في القصة القصيرة المغربية:

قراءة في مجموعة أحمد بوزفور (نافذة على الداخل)



بقلم: عزيز العرباوي

كاتب وناقد - المغرب

يعد التناص في مفهومه الشامل بأنه تفاعل أو تشارك بين نصين أدبيين أحدهما يستفيد من الآخر. حيث يعني في الثقافة الغربية والعربية ذلك «التواجد اللغوي لنص في نص آخر. أي كل ما يجعل النص في علاقة ظاهرة أو خفية مع نصوص أخرى»[1]. فالتناص حسب جيرار جينيت «هو ذلك الرق الذي أزيلت منه الكتابة الأولى لتحل محلها أخرى، ولكن العملية لم تطمس كليًّا النص الأول مما يمكن من قراءة النص القديم من وراء الجديد مثل ما يحدث في (التشفيف). وهذه الحالة تبين أن نصًّا يمكن أن يستر نصًّا آخر، ولكن لا يخفيه كلية إلا في القليل النادر. فالنص في الغالب يتقبل قراءة مزدوجة، إذ يتشابك فيه على الأقل نص مشتق ونصه المشتق منه. وأعني بالنص المشتق كل الأعمال المتفرعة عن عمل سابق بالتحويل كالمحاكاة الساخرة أو التقليد أو كالمعارضة... ويمكن للنص على الدوام أن يجعلك تقرأ نصًّا آخر وهكذا دواليك حتى نهاية النصوص»[2].



تتجلى مغامرة الكتابة القصصية في مجموعة (نافذة على الداخل) للأديب الأستاذ أحمد بوزفور، في العين الراصدة للواقع ولتفاصيله الصغيرة ومآسيه ومآزقه المختلفة. فالكتابة في المجموعة تنشد تحقيق تنوع وتميز وذلك بتوظيف السخرية والمفارقة للدلالة على تنوع طرق هذه الكتابة وتقنياتها. وهكذا نجد أن المجموعة تحقق تلك المسافة بين الواقع والمتخيل حيث المواقف المتعددة التي تصور واقع الإنسان من خلال أفراحه وأحزانه وهمومه تحيل على الوفاء والتسامح في جانب معين، وعلى نقد الخيانة والحقد والكره في جانب آخر...

نافذة على الداخل حيث الشفافية والوضوح والرؤية المتمعنة للأحداث والأمور والمشاعر، وحيث السلاسة في الحكي والسرد والتعبير... فتتعدد المواضيع التي يقاربها القاص في مجموعته من خلال حقل قصصي مفتوح على التأويلات، وغني بالأفكار والمواقف، وثريٌّ بلغة متعددة ومتنوعة تهدف إلى إبراز عمق المفارقة الإنسانية بانفتاحها وانغلاقها، بقسوة الحياة وموت القيم وغياب الأخلاق. وتجلي السخرية في أبهى صورها وأشكالها الشفافة والواضحة، سواء من خلال استحضار الشخوص التراثية المشهورة، أم من خلال استدعاء النصوص التراثية، أم من خلال الإفادة من النص الشعري الغني بالدلالات الثقافية والفكرية والأدبية المساعدة على إغناء النص القصصي...

التناص بالشخصيات:

يستدعي الأستاذ بوزفور في نصوص مجموعته العديد من الشخصيات المعروفة والمشهورة في سماء الأدب والثقافة والسياسة لها دورها الكبير في تطوير الحضارة البشرية بكل أنساقها ومجالاتها المتنوعة، حيث تتنوع مجال اشتغالاتها وحضورها وفعلها في الثقافة والحضارة الإنسانية، مثل: (الحسن البصري، أبو جعفر المنصور، عمرو بن عبيد، سكينة بنت الحسين، الحلاج، رابعة العدوية، أوفيليا، فرجينيا وولف، الأعشى، فولتير...). كل هذه الأسماء والشخصيات تحضر ضمن مجالها الخاص، حيث تستحضر معها أفكارها وانفعالاتها ومميزاتها... فتقترن في النص القصصي بالفكرة والأحداث من أجل إبداع وإنتاج دلالة جديدة ورؤية مختلفة عن الذي تعنيه في موضوع مختلف...

إن أغلب هذه الشخصيات الموظفة في المجموعة القصصية (نافذة على الداخل) مستوحاة من التراث الفكري والديني والسياسي والأدبي... حيث التوظيف

الجديد لها يختلف عن التوظيف العادي في مجالات تفاعلها. فأبو جعفر المنصور مثلاً بوصفه الخليفة العباسي القوي الذي أرسى دعائم الدولة العباسية في بداياتها وكان شديد الحرص على اختيار مساعديه ومعاونيه في الدولة، وكان يشك في كل شيء وفي كل شخص يراه ويسمعه، ويدرك ببديهته وحدسه القوي أنه طمَّاع أو منافق أو صاحب مصلحة... وأما سكينة بنت الحسين التي عرفت في التاريخ بحكمتها وقدرتها على معرفة الناس، وهي ابنة حفيد رسول الله ﷺ... والشيء نفسه عند الحلاج المتصوف الشاعر المعروف في تاريخ التصوف الإسلامي، الذي اكتسب صدىً طيبًا واحترامًا عند أهل التصوف... ورابعة وأقوالها في حب الله وعشقه وأشعارها الخالدة في هذا العشق الرباني العظيم... ثم فرجينيا وولف الأديبة والكاتبة المشهورة في الأدب الغربي تقف علامة أدبية متميزة وتحرك بكتاباتها الجماد والماء الراكد من أجل إيقاظ الضمير الإنساني المغيب... والأعشى بتفوقه الشعري على العديد من شعراء عصره وبإبداعه الجميل بوصفه من الطبقة الأولى في الشعر، وبخلوده في سماء الشعر العربي... كل هذه الشخصيات التراثية أسهمت بحضورها في نصوص المجموعة لتضخ دماء لغوية جديدة في الكتابة القصصية للأستاذ بوزفور.

حضور النص الصوفي:

يشكل التراث الصوفي العربي، سواء كان شعرًا أم نثرًا، حقلاً معرفيًّا غنيًّا بالأفكار والمواقف والآراء في أدبنا العربي الحديث والمعاصر، ومجالاً غنيًّا للاقتباس والمحاكاة والنقل عنه، والأستاذ أحمد بوزفور واحد من المبدعين الذين ينهلون من هذا الزخم الثقافي الكبير، فنجده في بعض نصوصه يستحضره ويقتبس منه مقولات لبعض المتصوفة في مثل قول الحسن البصري الذي جاء في قصة المكتبة:

«لا أعرف يقينًا أشبه بالشك ولا شكًّا أشبه باليقين من الموت»، يقول الحسن البصري في أحد تناسخات الكتاب[3].

في هذه المقولة لا تأتي الدلالة منها أن الكاتب يريد فيها أن يجعل اليقين هو الموت، وإنما يقصد منها أن كتاب (المكتبة) هو أفضل كتاب يعبر عن هذه المقولة، بحيث عمل على تحويل دلالة مقولة البصري إلى مقولة جديدة لها دلالة مختلفة تستحضر ألفاظ المقولة الأولى بينما تعني شيئاً آخر مخالف لمعنى الأولى، مع تغيير لفظة/ كلمة واحدة فقط، يقول الأستاذ بوزفور:

«أما أنا فلم أعرف يقينًا أشبه بالشك ولا شكًّا أشبه باليقين من هذا الكتاب»[4].

استدعاء النص الشعري:

يحضر الشعر، بوصفه الجنس الأدبي الأكثر قراءة عند أغلب الكتاب والمبدعين، في نصوص المجموعة، فيتفاعل مع المتن السردي في إطار إنتاج الدلالة والمعنى، وينفتح النص القصصي على الشعري، ضمن رؤية إبداعية مختلفة، فيتم استحضار أبيات شعرية تخدم السياق والمعنى ولا تقوم إلا بتكسير تلك السيرورة السردية المتوالية، لتحقق نظامًا قصصيًّا مختلفًا عن الأنظمة القصصية والسردية الكلاسيكية، حيث السرد المتواصل الممل.

يستحضر القاص نصًّا شعريًّا للشاعر قيس بن الملوح، يقول فيه:

فأصبحتُ منْ ليلى الغداةَ كقابض

على الماءِ خانتْهُ فروجُ الأصابعِ

هذا التفاعل النصي الجميل يمنح المتلقي إمكانية إعادة التفكير في قراءة التراث الشعري وتذوقه، مما يجعل من القارئ والمبدع معًا يعيدان استثمار التراث وذاكرته الغنية بمنطق جديد ومختلف، وهذا الأمر يسهم في إعادة بناء الشكل في القصة الجديدة وتنويع مضمونها باستحضار النصوص التراثية...

إن استحضار النص الشعري في قصص الأستاذ بوزفور لم يكن من أجل الترف الإبداعي أو من أجل تسجيل نقطة في مجال التجريب في هذا الجنس الأدبي، وإنما كان استحضاره مخططاً له في عملية مباشرة الكتابة كما يظهر من بداية كل قصة تتناص مع النص الشعري، حيث يتجلى الحديث عن الموسيقى والشعر والأدب، فيرتقي الكلام إلى مستوى الشعرية دون النمطية في الكتابة القصصية.

ومن الشعراء العرب الكبار الذين تركوا بصماتهم في شعرنا العربي نجد الأعشى باعتباره مدرسة شعرية استمرت عبر الزمن إلى يوم الناس هذا، حيث يستحضر القاص له بيتًا شعريًّا جميلاً، يقول فيه:

وكأسٍ شربْتُ على لذَّةٍ وأُخْرى تداويْتُ منْها بها

هنا يتناص النص القصصي مع الشعري ليدل على شيء واحد وهو شرب كأس خمر على لذة، لكن الفرق الوحيد بين الأول والثاني هو أن القاص قد شرب كأسه في خياله فقط وليس حقيقة (وكأس شربتها في خيالي وأنا أقرأ بيت الأعشى)، أما الثاني فقد يشرب حقيقة كأسه ليساعده على الشفاء من حبه لمحبوبته...

أو باستدعاء بيت شعري للشاعر قيس بن ذريح يقصد به الدلالة على الشفاء والبلاء والهم، فيتناص النص الشعري مع القصصي في هذه الدلالة المعنية بالحزن والألم يقول:

«قلْ ضُربتُ به... بُليتُ به... شُقيتُ به

أقضِّي نهاري بالحديثِ وبالمُنى

ويجمعُني والهمَّ بالليْلِ جامعٌ»[5]

استحضار المثل الشعبي:

يساهم المثل في إغناء النص السردي، فيصير جزءًا منه يغني دلالته ويوسعها ويقويها، ويكون توظيف المثل في النص القصصي في مجموعة (نافذة على الداخل) بطريقة عفوية لا تحتاج إلى جهد كبير من أجل إيجاد صيغة معينة لتوظيفه أو لتغيير ألفاظه حسب السياق... فالمثل العربي، والمغربي على الخصوص، له مقولات محددة في الثقافة الشعبية التي تتميز بثراء الحكي، ومن ثم فإنه لا يصعب على القاص أن يستمد من هذه الثقافة الغنية بعض أنماطها الإبداعية لتوظيفها في نصوصه القصصية.

فتوظيف المثل الشعبي والأقوال المأثورة يأتي لشرح قول معين أو للزيادة في توسيع المعنى، أو لتقوية الكلام بالاستشهادات التي تدفع القارئ للعمل أكثر على تحليل النص بطرق مختلفة جديدة. فمثلاً هذا المثل أو القول المأثور الذي يقول: «ما عدّْكْش ما خَصّْكْشْ»، هو تفسير لكلام سابق عليه في النص، وآخر لاحق. حيث يقول القاص قبل المثل: «نشرت على الأرض أوراق اللعب، وبدأت تتفقد صورها بأصابعها المحناة»[6]. فالمرأة الشوافة التي قصدها كانت تحاول قراءة مستقبله وحياته فاختصرتها بهذا القول المأثور لتدل على فقره وحاجته وخصاصته. بينما الكلام اللاحق على المَثل فيقول فيه: «هذه هي النتيجة المختصرة لقراءتها في (مكتوبي): يمكن ما عديشْ، لكنْ خاصْني شِي حاجَة»[7]، هنا تختلف الدلالة المقصودة من المثل، حيث إنه لم تكن دلالته مطابقة للقول اللاحق إلا في الجزء الأول (ما عدّْكْشْ)، أما الجزء الثاني فإنه يختلف عنه في القصد والدلالة، بمعنى أنه إذا كان لا يحتكم على شيء وليس عنده أي شيء، فلا يعني أنه لا يحتاج لشيء بل هو في حاجة إلى المال وإلى ما يقيه الفاقة والحاجة والفقر...

إن (نافذة على الداخل) تفجر في مساحات بلا تخوم لكنها تصطدم في النهاية بمرافئ المفارقة والسخرية من موقف إلى آخر فتبحث عن موطئ قدم داخل حقل الكتابة الملغوم أمر يميز الكتابة والكاتب معها هو كون النصوص تحتفل بملامح شخوص يتقاسم معه سارد المجموعة أشياء كثيرة وتجمع بينهما أوجاع موحدة ومتعددة.

الهوامش

1 - محمد الأمين ولد أحمد عبد الله، (التناص مفهومه ومعناه)، عن موقع ألف لام، بتاريخ: 2011/7/7،

http://www.aleflam.net/index.php?option=com___-07-01-07-07-content&view=article&id=664:2011 Itemid=102&43-55-14-18-01-catid=62:2010&39

2 - المرجع نفسه.

3 - أحمد بوزفور، نافذة على الداخل، قصص، منشورات طارق، الدار البيضاء، 2014، ص. 8.

4 - المصدر نفسه، ص. 8.

5 - نفسه، ص. 62.

6 - نفسه، ص. 55.

7 - نفسه، ص. 55.

قناع تأنيث الذات في قصيدة نزار قباني

دراسة جدل بنية الشعرية و الأنثى في القصيدة



د. خالد زغريت

قاص وناقد وباحث أكاديمي في مجال الأدب والتربية، وعضو هيئة التدريس في كلية الآداب جامعة حماة

مدخل:

مهما اختلف النقاد في تقييم شعرية نزار قباني فإن معارضوه ومؤيدوه يتفقون على استثنائية انتشاره وتلقيه، وهذا الاستثناء الشعري يرتكز في العمق على إستراتيجية فنية تولي الأهمية لاستثارة القارئ، وترى القصيدة فاكهة شعرية تنتج اللذة وتدرك بها، وهذه ميزة مسجلة لنزار قباني بامتياز، وهي تستدعي إعادة قراءة تجربته الشعرية من خلال بنية تكوينها قبل الخوض في فضاء مظاهرها وآفاق طروحاتها الملتبسة، وإن دراسة البنية الشعرية والتماس تجلياتها هو في الحقيقة متن السؤال الجوهري في فرادتها، ومدخلنا لاستقصاء تفاصيل هذه البنية، وجدل تكوينها الشعري في نموذج محدد هو بنية المقابلة الذي يتأسس على استقصاء جدل المرأة و القصيدة في الشعرية، ونزار قباني لا يضللنا في هذا المدخل بل يقودنا إليه وبشموع أيضًا، يقول موحدًا بين القصيدة والأنثى:

«أحبك ..لا.. لأنك تشبهين النساء

وإنما لأنك تشبهين القصيدة»[1]

* * *

«لا أحد قرأ قصائدي عنك

إلا وعرف مصادر لغتي

لا أحد سافر في كتبي

إلا ووصل بالسلامة إلى مرفأ عينيك»[2]

إن ذوبان صورة المرأة في صورة القصيدة في شعر نزار قباني حالة جلية لا لبس فيها، تلامس في كثير من مفاصلها تجليات التوحد الصوفي، ونستطيع استشراف هذا التوحد العميق من خلال استقراء جدل بنية الشعرية وشرفاتها الفنية التي وهبت قصيدة نزار قباني خصوصية هويتها الفريدة.

بنية المقابلة في شعر نزار قباني

تقوم بنية المقابلة ، بصفتها آلية فنية لبناء الشعرية ، على تناظر بين صورتين ترسم كل منهما حالة تتقيان في مشهد بنائي يشكل مصدر الطاقة الشعرية، سواء كان ذلك على سبيل التضاد من خلال جمع المتنافرات والمتناقضات، أم على سبيل التناظر أو التوازي حيث يلتقي أفق الصورة الأولى مع أفق الصورة الثانية في نقاط معينة، تتابع أو تتقاطب، أو تتكامل، أو تتناظر، فتوحدان حالة تشكيلية تثير لوحة تشع عبر المقابلة بين الأفكار والصور، فتصبح بنية المقابلة «وسيلة، أو بالأحرى، ضرورة فنية، وبنية فكرية يلجأ لاستخدامها الشاعر، وعندما تتعمق التجربة الفنية أو الفكرية وتتسع أبعادها وتصل إلى حد الاستيعاب الشمولي يغدو بالمكنة معالجة المتباين من الأفكار والصور على صعيد واحد»[3].

ولقد اعتمد شعرنا العربي في مختلف مراحله الإبداعية على هذه البنية في تكوين الشعرية سواء على التناظر الصوري أم التضاد، يقول الحارث بن حلزة اليشكري في وقفة على الأطلال:

لمن الديار عفون بالحبس آياتها كمهارق الفرس

لاشيء فيها غير أصورة سفع الخدود يلحن كالشمس

تتشكل الشعرية في البيت الأول من صورة أولى (هي الآثار الدارسة) تقابل بالتشبيه صورة ثانية (هي خطوط الصحف الفارسية) فتنتج صورة الأطلال، أما البيت الثاني فيتألف من صورة أولى (هي اسوداد خدود الأصورة) تقابل بالتضاد صورة ثانية (ابيضاض جسم الأصورة)، فتنتج جمال صورة بقرة الوحش التي هي طيف المحبوبة، وهكذا نجد أن بنية المقابلة تتولد في القصيدة من خلال تناسق البناء الفكري والفني في الخطاب الشعري، وقد استلهم الشاعر المعاصر هذه البنية من خلال تجربته الجمالية الوجدانية التي تتشابك مع طبيعة البيئة وموروثها ذاكرتها الفنية والثقافية، والشاعر نزار قباني المتفرد بجاذبية فنه الشعري والتصاق شعره الحميمي مع جماهيريته يتفرّد أيضًا في اختياره بنية المقابلة، وتفعيل جمالها بما يصاقب إثارة متلقيه، وتشكيل لحظات فتنته بشعره فيسعى عبر امتثال هذه البنية إلى بناء التكوين الشعري للمقولة التي يرغب في إزجائها، وتنويرها جماليًا في حواس المتلقي، و إذا عدنا إلى أية قصيدة لنزار قباني ، سنحظى بمجموعة

وحدات شعرية تقوم على بنية المعادلة الصورية، ولنقرأ هذا المثال:

«ضوء عينيك ... أم همـا نجمتان
كلهم لا يرى ... وأنت تراني
لست أدري من أين أبدأ بوحي
شجر الدمع شاخ في أجفاني»[4]

نلاحظ أن الوحدة الشعرية تنبني على مقابلة بين صورتين: الأولى ترسم حال (طه حسين):

ضوء عينيك ... أم همـا نجمتان
كلهم لا يرى ... و أنت تراني

وهي صورة تمثل حال طه حسين بصفته الرجل الكفيف البصر لكنه المستبصر الوحيد بين المبصرين لقضايا الواقع، وآفاق المستقبل، وأهمية موقفه في تغيير الواقع ونقده الذي تحمله هذه البنية عبر أفق دلالي يركب المتناقضات في بناء ينتج الإثارة (طه حسين (هو) الواحد الأعمى المبصر # كلهم (هم) الجميع المبصرون العميان) تقابل هذه الصورة المركبة صورة ثانية تمثل حال الشاعر الثائر (الواحد) على الواقع المتردي (الكل) (الناقم الحزين على ظلام الواقع الأعمى):

لست أدري من أين أبدأ بوحي
شجر الدمع شاخ في أجفاني

إن المقابلة في هذه البنية الشعرية تتجاوز المقابلة بين حالين، لأنها تنشد بناء مقابلة أخرى بين عيني الرجلين المبدعين، حيث تتحول عينا طه حسن المظلمتان إلى نجمتين تشعان في الواقع المظلم، بينما تتحوّل عينا نزار قباني المبصرتين إلى شجرتي دمع تبرقان حزنهما، ويفضي هذه التقابل إلى تقابل الحقول الدلالية بين الحالتين: [الظلام –الظلم – التردي –الخنوع – الاستكانة] مقابل [التنوير- الضوء – التبصر – الثورة]، وينشأ عن هذا التقابل مقابلة نفسية بين الحالين، إضافة إلى مقابلة حسية لونية بين (الظلام، العمى ولونهما الأسود وبين النور و الإبصار ولونهما الأبيض)، وتتشكل عبر هذه البنى تقابلات أخرى هي تقابلات الرمز (الأبيض/الإبصار الرامز والموحي/بالحياة/ مع الصورة الثانية الأسود/العمى الرامز و الموحي بالموت أي التقابل هنا حالة من حالات التضاد المعمول بها تراثيًّا تحت مسمى بلاغة الطباق. بهذه الآلية تتداخل سلسلة صور جزئية تتقابل لتنتهي بمقابلة كبرى تبني الشعرية التي تبدع إدهاشها وإثارتها وآلاء جمالها. وتماثل بنية المقابلة في شعر نزار قباني المعادلة الكيميائية، فإذا كانت الكيمياء بمعناها العلمي هي معادلة بين مادتين لإنشاء مادة جديدة فإنها شعريًّا معادلة بين صورتين لبناء صورة جديدة للمعنى، تتمثل للمتلقي بآليتها البنائية الموضوعية المنطقية/منطق آلية التعادل/وهذا يعني اعتماد الخطاب العقلي من حيث البناء الآلي والتكوين الجمالي من حيث التخييل وتوليد المعاني، وتتكشف هذه البنية عن جدل التقابل الفكري عبر صورته الفنية لبناء حالة تخييل لا تتقيد بإنشائها الظاهري من الصورية، إذ الصورية هنا بؤرة إيحاء متعدد الدلالات ومتولد باطراد، كما تكشف هذه البنية عن خزين الخبرة الجمالية للشاعر وتجليه الحيوي في الوحدة الشعرية في الآن معًا، وهذا أسلوب إبداعي تقليدي من حيث آلية البناء إلا أنه يتحصل على إبداعية عبر التكوين الاختراقي المفارق للتعادل وبنية التقابلات.

تبدو بنية المقابلة أحد أهم مكونات الإشراقات الشعرية في قصائد نزار قباني، وإحدى أنصع شرفاته التخيلية التي تناغم تكوينه النفسي والجمالي، فهي تجذبه لتعادله مع تكوينه الإنساني والشعري والثقافي حيث يصدر كل ذلك عن كيمياء الخلق للحياة. و يلتمس قارئ نزار قباني اكتناز تجربته الطويلة بهذه البنية وتعويله عليها في شطر مهم من بنائه الشعري، سواء في القصائد المطولة أم القصائد القصيرة، وتتميز هذه البنية عند نزار باحتوائها ضمنًا على بنية الإثارة، أي تصبح بنية الإثارة القائمة على آلية التحفيز والتفريغ بوصفها المدماك الأول للمعادلة الأولى، كما هي في الحال نفسه بنى المعادلة الثانية [العينان العمياوان] (تحفيز) [نجمتان] (تفريغ) ولنقرأ مثالاً آخر:

«أكلت مصر كبدها ... و سواها
رافل بالحرير و الطيلسان»[5]

المقابلة بين ([أكلت مصر كبدها] وبين [سواها رافل بالحرير والطيلسان])

1) أكلت مصر أ – تركيب لم يكتمل معناه يقوم بإثارة الترقب أي (تحفيز)

2) كبدها ب- تركيب لغوي يتمم معنى التركيب (أ) يشبع الترقب والتحفيز أي (تفريغ)

تتألف هذه الوحدة من مقابلتين الأولى (1) تعكس صورة فاعل متفان في عطائه،وهي ذات لون أحمر دموي تتألف ضمنًا من تحفيز (أ) وتفريغ (ب) فتكوّن إثارة، والمقابلة الثانية (2) تعكس صورة فاعل منغمس بالرخاء وهي ذات لون أبيض ، تتألف ضمنًا من تحفيز (أ) وتفريغ (ب) فتكوّن إثارة. كما أننا نلمح التضاد في زمن الفعل، في المقابلة الأولى (أكلت) فعل ماض يدل على زمن الماضي أي الذاكرة والثبوت، أما في المقابلة الثانية فاسم الفاعل (رافل) يدل على زمن الحاضر والمستقبل والاستمرار والديمومة. ويعكس الزمان وهو يحضر من خلال تكوينه في بنية المقابلة. حيوات تجربة الشاعر الحياتية، ورؤيته الجمالية التي تلتبس ذاته بالقصيدة ، وبالشعرية كونه يسرب ذاته نسيجًا باطنيًّا في البناء الشعري[6]:

فإذا صرخت بوجه من أحببتهـم (أ)
فلكي يعيش الحب والأحبـاب (ب)
و إذا قسوت على العروبة مـرة (ج)
فلقد تضيق بكحلها الأهـداب (د)

أ+ ب = مقابلة (1) و ج + د= مقابلة (2)، و (1)+(2) = مقابلة (3)

وضمير المتكلم / الشاعر (أنا) يقابل ضمير الغائب / الآخر (هم) = مقابلة (4)

نلاحظ في هذه الأبيات أن بنية المقابلة تتشابك في تشكيل صوري متعدد ومتنوع يعكس تغلغل الشاعر في نسيج شعره حتى تصير (أناه) إستراتيج البناء الشعري لديه كونه ملتبسًا بعلائق معقدة، ونتيجة ذلك تعكس بنية المقابلة مستويات حضور الأنا مقابل الآخر من خلال التكوين الدرامي للمعادلة الأم في المقطع الشعري، ولنقرأ المثال التالي[7]:

إنني السندباد ، مزقه البحـر (أ)
وعينا حبيبتي المينـــاء (ب)

هي: الخلاص، الأمان، الحلم، هي / الأنثى

هو: المغامر الفارس المهزوم، هو/ الذكر

المقابلة بين الهو و الهي = مقابلة العلاقة بين الأنوثة والذكورة.

تتألف الوحدة الشعرية السابقة من مقابلة بين صورتين الأولى تعكس الأنا/ بهمومها ومآزقها ومرارة واقعها، والثانية تعكس الآخر الأنثى، هي بوجودها الحلمي الأنوثي الجمالي/ الخلاص. لقد بنيت الوحدة الشعرية على مقابلة مركبة بين الأنا والآخر لإظهار العلائق المعقدة التي تجمع بين الذكورة والأنوثة باختلاف همّهما الواقعي؛ أي يتقاطب في عمق البنية الشعرية حضور أنا الشاعر وأنا الأنثى المكمل، فالأنثى تحضر في أنا الشاعر البعد التوليدي الجمالي، الحلمي، وهي جزء من تكوين ذاته وحياته وحلمه، لو تأملنا معنى البناء الآلي لبنية المقابلة في شعر نزار قباني لوجدناه فضاء للمقابلة بين متضادين أو متكاملين؛ أي يتكون من ثنائية متنافرة أو متناظرة أو متكاملة، وتلك حالة أنا المذكر مع هي المؤنث، اللذين بهما تمتد الحياة، ويخصب الكون ويستمر، كما أنه بالتقابل تنبني الشعرية .. تتكوّن ...تمتد ... تستمر وتلك هي كيمياء الكون/ الحياة/ الشعر، ولأن لحضور الأنثى – بصفته مقابلاً أو معادلاً أو مكاملاً- طغيانًا وجوديًّا إنسانيًّا جماليًّا، فإننا سنطوف حول جدل بنائها في التكوين الجدلي لبناء المقابلة في شعر نزار قباني.

تجليات إستراتيج الأنوثة في بنية المقابلة

تبدو إقامة الأنوثة في الأشياء قصد بناء جمالها حالة أزلية في الشعر العربي، فالتأنيث لدى الشاعر العربي هو حالة إيجاد معادل للفعل الجمالي في فقه البناء الذكوري للجمال، لأنه لباسه الفني الإبداعي ، فالذكورة في بنية الشعرية ممارسة فعل خصوبي مجرد يتحصل على لباسه الجمالي من المقابل الأنثوي، الذي يعني حضورًا جماليًّا، فالخصوبة الأنثوية فعل جمالي بينما الخصوبة الذكورية فعل تكويني آلي خال من الجمال، قد تكون هذه الحالة ناتجة عن عقدة شعورية تضمر جمالية التذكير،

شغفًا بالتأنيث وموازاة لنقصه المشعور بفقدانه، لكن ثمة مقارنة مسكوت عنها في الشعرية إنها جلد الذات الذكوري لصالح تأليه الأنوثة والتغني الأسطوري بجمالياته، وقد راحت تتفاقم هذه الحالة وتسود إلى حد أصبحت مألوفة ومرغوبة، وهي إن دلت على شيء إنما تدل على رغوبية الذكورة بنقيضها المتمم، وشهوة اختراق (تابو) الأنوثة و (طوطمها) المحرم المتلهف له، وهذا يدفع الشاعر إلى منح الأنوثة سمات خارقة للبشرية متأسطرة بلا حدود ومتعالية على الذكورية، التي لا تتجمل بحضور الأنوثة بذاتها على الأقل على مستوى الإثارة الجمالية الشعرية، ونتيجة ذلك سعى الشعراء إلى افتراض التأنيث معادلاً للجمالية، فحتى الأمومة هي أكثر حضورًا جماليًا من الأبوة أضف إلى ذلك استحضار المفردات المؤنثة وتشغيل، طاقة الأنوثة في الأشياء، ومن ثم أصبحت الأنوثة هي المثير الجمالي في بنية المعادلة الصورية، وهي إستراتيجها الشعري والفني والجمالي:

«الورقة أنثى والاقتراب من ورقة لا تريدنا
هو فعل اغتصاب»[8]

تتلمس تجليات هذا السياق في الشعر العربي قديمه وحديثه غير أن حديثه استغرقه مفهوم تحرير الأنوثة وإن بعبثية أو ذهنية أو أنانية:

(المرأة العربية تحتضن القصائد كما تحتضن الدجاجة بيضها. أما الرجل العربي فلا عمل له سوى أن يكسر البيض)[9]

يمارس الشاعر جلد ذاته ليمنح المرأة صورة ملائكية في تطهير هذه الإثمية متكبدًا توهم خطيئة ، بطغيان فريد إلى حد بموّه الذات الذكورية بأنوثة خارجية فأنّث كل شيء حتى الذكورة، وهذا ما جعل الأنوثة في القصيدة الحديثة في غالب منتوجها أنوثة مخنثة لأنها ذات الشاعر المذكرة وذكورته الملفوفة بغلالة الأنوثة وغيومية الأسى عليها فاختلطت الصورة في جذرها الأم عبر توحد شعري يمحو تمايز الذوات، لأنه ينشد الانمزاج المفضي إلى التخنث عبر شذوذ تأنيث الأنا:

«لا تفتح كفك ... واتركني أرعى كالأرانب في غابات يديك الوحشية
لا تغضب مني، لا تغضب فأنا قطتك الشامية»[10]

يغتصب الشاعر هنا ذات المرأة، و يقيم ذاته عوضًا عنها فيعبر عما يريد باسمها، وتقوم المعادلة الصورية بصفتها بنية شعرية على تعويض الجنسوية بالأنا الذكورية، وتدعي حق التعبير الخاص عنها وامحاء خصوصيات الذوات لتوحيدها المطلق في صورة شعرية تأخذ جمالها من تغلّب التأنيث على التذكير في العمق.

وتنمو هذه الصورة للمرأة في شعر قباني بالتوازي مع انفلاتات التحديث التي غنّجت هذه الصورة كونها أولية حداثية، وتقوّت هذه الصورة من خلال تقنيع الأنا بالأنوثة تمحلاً للشعارات الصارخة التي حملت به شذوذًا مرحلة الحماس الثوري بالتخاطر مع عصبوية التيارات الطارئة التي لقحت النضال الثوري بأجنتها الممسوخة، ولقد كان الشاعر العربي متفجعًا بسبب عقمه السياسي والثوري والحضاري فأصبحت الشعرية مدار الوصفات الحلمية التي تحرره من انعزالية غرائزه وأحلامه المكبوتة عن حياتها التي أخذت مجالها المرضي، وانتعشت كالفطر بين ظلمتي الواقع والتخدير الأيديولوجي المذهّب بالشعارات التي تخادع أوجاعه، وعقديته المجتمعية، فراح الشاعر يلتزم بتعميق عقده الحرمانية وغياهب تابواته في كل ما يصدره زناة التيارات المستوردة من أفكار معسكرة، فمسخ الشاعر ذاته التي دفعها لتتولد لقيطة من زنى تربوي فكري غارق بحماسه، ولنقرأ بوحي هذا السياق سمات صور المرأة البانية بتأنيثها الصوري بنية المعادلة كالتالي:

1 – المرأة أسطورة الخلق الخصب:

تبنى نزار قباني منذ بواكير تجربته الشعرية نهجًا مشاغبًا متمردًا للتحرر والخروج على قوانين المجتمع العربي بحدة، وتوغل عميقاً في تغيير مفهوم المرأة وحريتها، وهذا ما حرضه على الحفر في ماهية التكوين الأسطوري الأولى للمرأة الذي يتأسس على إدراك مشاعي، مؤسطر ، يجعلها تتملك طاقة اختراقية في الفعل التغييري:

«قبل أن تصبحي حبيبتي
كان هناك أكثر من تقويم لحساب الزمن
كان للهنود تقويمهم،
و للنصارى تقويمهم،
وللمسلمين تقويمهم،
بعد أن صرت حبيبتي
صار الناس يقولون:
السنة الألف قبل عينيها،
والقرن العاشر بعد عينيها»[11]

تتشكل هذه الصورة من بنية صورية متعادلة بين إبداع العالم بمختلف حضاراته، وإبداع عيني المرأة للزمن، وهي أي الصورة تنطوي على فعل خلق أسطوري ثوري، وإن كان مشفوعًا بأسطورة الخصوبة الأنوثية، إلا أنها مندغمة بالتذكير:

«يا امرأة سوداء العينين
تساوي عيناها عصرًا
لو عندي امرأة .. مثلك ..
مثلك أنت لكنت هرقلاً .. أو كسرى ..»[12]

وهكذا يصير الفعل الذكوري هو الفاعل، أما الأنثوي فهو محرِّض، وهذا التحريض محمول على سحرية تنفذ من موضوعية الوجود وكون القدرة في الذكورة كامنة محتاجة للتحريض:

«يمطر عليّ كحلك الحجازي
وأنا في وسط ساحة (الكونكورد)
فأرتبك
وترتبك معي باريس
تسقط حكومة وتأتي حكومة
وتطير الجرائد الفرنسية من أكشاكها
وتطير الشراشف من فوق طاولات المقاهي
وتطلب العصافير اللجوء السياسي
إلى عينيك العربيتين»[13]

يصير هذا التحريض معنويًا بينما يكون الفعل حسيًا، ومن ثم تتأسس شريعة المبالغة الشعرية الغائمة بصفتها تجليًا عن شعلة حماسية موسومة بسذاجتها الموضوعية أو بكونها بوارق حلمية سلبية، ويتأتى ذلك من تركة ميراث الأيديولوجية الفاقعة المبتورة عن سياقها الوجودي، إذ يصير فعل الأنوثة هنا مضللاً وهجينًا لأنه صورة وهمية لقيطة ليست من بنات الواقع المجتمعي المحيط ، بل هي صورة امرأة ثقافية مؤدلجة من ورق، وليست امرأة من لحم ودم تعيش في المجتمع العربي، حيث لم يتأت لهذه المرأة أوليات الوعي التحرري، فهي وكما تؤكد الدراسات المجتمعية مرآة مقعرة تعكس بنيتها الأنوثية الجامدة والمثبطة، أي أن الشاعر يقسر على المرأة صورة من ثقافته ينقش عليها أناه الشاعرة الحالمة والمعبأة بنزقها الثوري الذهني الثقافي لا أناها الموضوعية، وهذا ما يؤكده نزار قباني في جل قصائده:

«كفي عن الكلام يا ثرثارة
كفي عن المشي
على أعصابي المنهارة
ماذا أسمي كل ما فعلته؟
سادية
نفعية
قرصنة
حقارة
ماذا أسمي كل ما فعلته؟
فإنني لا أجد العبارة
أحرقت روما كلها لتشعلي سجارة»[14]

2 – قناع الأنوثة المرأة الثورة /الوطن/الطفولة

تطّرد هذه الصورة وتتضح حينما يقنّع الشاعر الثورة بصورة أنثى، والثورة هنا فعل تذكير كونه ثورة الشاعر العائمة ببناه :

«شرشت بي رعدا و صاعقة
و سنابلاً و كروم أعنـــاب
شرشت حتى صار جوف يدي
مرعى فراشات و أعشـــاب
تتساقط الأمطار من شفتي
و القمح ينبت فوق أهدابـي»[15]

تحفر الشعرية من خلال بنية المقابلة هنا صورة امرأة معسكرة بثورة من طراز تلك الثورات المحلومة بفعلها السحري التطهيري المطلق المشحون بطوباوية عزيزة على

الواقع فأنى للمرأة العربية أن تكون ما كانت هذه المرأة التي لم تكن إلا بنت القصيدة. وغالبًا ما يجد متقصي صورة المرأة في شعر نزار قباني صورة شمولية مطلقة عندما يكون الشاعر إيجابيًا تجاهها فهي قناع كل جميل ومحبوب أو بانٍ للحلم والثورة، إنها أمومة أحلام الذات الشاعرة واهتماماته، فتصير في القصيدة حبيبة، وزوجة، وأمًا، وقصيدة، ووطنًا، وثورة، إنها مجال شهوة الشاعر للحياة العاطفية والثقافية والأيديولوجية:

«قرأت خرائط جسمك في كتبي المدرسية
و لازلت أحفظ أسماء كل النهور
و أشكال كل الصخور
وعادات كل البوادي
ولازلت أحفظ أعمار كل الجياد
فكيف أفرق بين حرارة جسمك أنت
وبين حرارة أرض بلادي»[16]

ولنقرأ المعادلة الصورية في المقطع التالي التي تؤنث الوطن والطفولة والثورة والحياة والجمال:

«ألاحظت كم تشبهين دمشق الجميلة؟
وكم تشبهين المآذن ..
و الجامع الأموي ..
ورقص السماح
و خاتم أمي
وساحة مدرستي
وجنون الطفولة
ألا حظت كم كنت أنثى؟
وكم كنت ممتلئًا بالرجولة»[17]

يسعّر نزار قباني التأنيث ليشمل كل ما هو جميل، ونفيس، وإيجابي، فهو يحاور بالإقرار تأنيث الزمن والكون:

«ألاحظت أنك صرت دمشق
بكل بيارقها الأموية
ومصر بكل مساجدها الفاطمية
وصرت حصونًا و أكياس رمل
ورتلاً طويلاً من الشهداء
ألاحظت أنك صرت خلاصة كل النساء
وصرت الكتابة و الأبجدية»[18]

إنها المرأة إستراتيج التكوين، والتحّول، والبناء، والإبداع، فهي أفق المخيلة في البنية الشعرية عند نزار قباني.

3 – صناعة المرأة/مسخ المرأة

تسوقنا قراءتنا لصورة المرأة السابقة إلى استبصار طغيان تصنيع المرأة ثقافيًا فيسوق الشاعر من خلال تجريدها عن كينونتها الموضوعية وإعادة صناعتها بحاسة ثقافية تنتج وتنتش الأنا، وتقنعها بأنوثة شديدة الصياغة الثقافية والأيديولوجية الفكرية لتحقيقها بصفتها جوهر فن شعري مستحدث، وذلك من خلال استثمار الأنوثة ودلالاتها قبل تحقيق أنوثتها ومن ثم تصير المرأة وليدة بنية ثقافية تطرح معاناة الأيديولوجيا والثقافة المشبعتين لذات الشاعر قبل أن تطرح هموم المرأة العربية و حيواتها و صوريتها لذلك تحضر الأنثى مادة فكرية وصورة شعرية لها لا مادة إنسانية وليدة بيئة معينة، ولنقرأ هذا المثال الذي يرسم امرأة مصنوعة كفعل نيتشوي مجرد من فعلها النسوي معبأة بأداء بطولي فنتازي أسطوري:

«لم يعد بوسع اللغة أن تقولك
صارت الكلمات كالخيول الخشبية
تركض وراءك .. ليلًا ونهارًا
و لا تطالك»[19]

* * *

«ألاحظت
كيف تألق وجهك تحت الحرائق
وكيف دبابيس شعرك صارت بنادق
ألاحظت كيف تغير تاريخ عينيك في لحظات قليلة
فأصبحت سيفًا بشكل امرأة
و أصبحت شعباً بشكل امرأة
و أصبحت كل التراث وكل القبيلة»[20]

إنها المرأة المهندسة بثقافة الشاعر والمصنعة بثقافة فنية القصيدة و مقتضيات سمتها التحديثي، فهي غاية شعرية قبل أن تضيء غائية الأنوثة في الحياة الحرة التي تنضح أحاسيسها وانفعالاتها وإشراقاتها الخاصة الفريدة التي تتجلى من خلال علائق تفاعلها مع الذكورة فتزهر بذاتها لا بذات شاعرها.

ختام

تشكّل الشعرية من خلال جدل تأنيث بنية المقابلة الصورية عند نزار قباني طقسًا إثاريًا خصبًا يشبع رغبوية القارئ المتحفزة وذلك باستثارة تحفزه الداخلي، وأسئلته الغريزية والحلمية ، فالأنوثة إستراتيج إثاري لشهوة تألق الحواس والحساسية والانفعال لديه، وإمتاعه بلذة تتم بالنسبة للقارئ بإثارة تخيّله، وإشباعه كما تتم بالنسبة للشاعر بالتخلص من أسئلته وإنتاج جمال القصيدة الذي يفتقده ويرهقه بالبحث عنه، مما يجعل الأنوثة لديه فعل إبداع وبناء جمال، لذلك يصير حضور المرأة في البناء الشعري إشباعًا معنويًا للمنتج، والمستهلك، فالشاعر ينتج فيتخلص من مستهلكه الداخلي والمتلقي يسد استهلاكه عبر إنتاجها، فكل من الشاعر والقارئ مدفوع بضرورة إشباع حاجاته وأسئلته ورغباته، الجمالية، الجنسية، الوجودية الإبداعية إلى تحقيق ذاته عبر الإنتاج والتفعيل، وهكذا تصبح صورة المرأة منطوية على إنتاج نفسي ومادي وعاطفي ومعنوي وانفعالي وجمالي كونها حالة/ جمال/إمتاع/ لذة/صورة/مادة/حب/حبيبة/اكتمال/ إبداع/زوجة/أنوثة/لذة/إرواء/إشباع غريزي/جنس/ حنان اطمئنان/احتواء/أمومة/حاجة/وضرورة/سؤال بالنسبة للقارئ والشاعر في الآن معًا .. وهكذا يعني استحضار التأنيث استحضار إثارة وإشباع معًا، فتقوم الشعرية بمعادلة نفسانية حلمية المتلقي والشاعر، حيث كلاهما يعيش مقصومًا بين حفز الحاجة وإشباعها، ومن ثم تحقق البنية الشعرية معادلة معنوية للمتلقي وهذا ما يجذبه ويثيره ويشده إلى الارتواء فيتمتع بهذه الشعرية، أي أن حضور الأنوثة حالة بنية شعرية نفسانية معادلة بذاتها، لأنها متكاملة للذكورة، وهي معادلة متناظرة متكافئة، فهي بالنسبة للمتلقي المؤنث مكمل بالذكورة، وإن يطغى التأنيث فلأن الذكورية هي السيدة في راهننا العربي.

الهوامش:

1 – نزار قباني : هوامش على دفتر الشعر ، مجلة الناقد العدد الرابع عشر ، السنة الثانية ، آب 1989، ص5.

2 – نزار قباني :امرأة تمشي داخلي ، مجلة المستقبل ، السنة 6، العدد 283، 24، تموز 1982، ص 6.

3 – د. علي الشرع : بنية القصيدة القصيرة ، منشورات اتحاد الكتاب العرب ، سورية دمشق ،1987، ص28.

4 – نزار قباني : الأعمال السياسية الكاملة ، ج3 ، ط3، منشورات نزار قباني ، لبنان ، بيروت ،1983، ص471.

5 – المصدر السابق ، ص 482.

6 – المصدر السابق ، ص646 .

7 – المصدر السابق ، ص 396 .

8 – نزار قباني : هوامش على دفتر الشعر ، مجلة الناقد العدد الرابع عشر ، السنة الثانية ، آب 1989، ص5.

9 – المصدر السابق ، ص5.

10 – نزار قباني: ديوان قصائد متوحشة ،،ط16، منشورات نزار قباني ، بيروت ، لبنان ،199 ص40.

11 – نزار قباني : على عينيك يضبط العالم ساعاته ، مجلة المستقبل ، السنة 6، العدد282، 17، تموز 1982، ص 6.

12 – نزار قباني : ديوان قصائد متوحشة ،مصدر سابق ، ص130.

13 – نزار قباني :فاطمة في ساحة الكونكورد ، مجلة المستقبل ، السنة 6، العدد 284، 31 تموز 1982،ص6 .

14 – نزار قباني : ديوان قصائد متوحشة ،مصدر سابق ، ص135-136 .

15 – المصدر السابق ، ص 80 .

16 – نزار قباني: الأعمال السياسية الكاملة ، ج3 مصدر سابق ، ص456.

17 – المصدر السابق ، ص460.

18 –المصدر السابق ، ص463 .

19 – نزار قباني : على عينيك يضبط العالم ساعاته ،مصدر سابق ، ص6 .

20 – نزار قباني : الأعمال السياسية الكاملة ، ج3 مصدر سابق ، ص461 .



تقديم:

ألكسندر سولجنيتسين (1918-2008). ولد في شمال القوقاز. جُند لحرب 1941. ووشح عقب الحرب. لكن سنة 1945. زج به في سجن غولاغ بتهمة انتقاد ستالين بين طيات مراسلاته. رد إليه الاعتبار. سنة 1956. فأصدر عام: 1962 يوم في حياة إيفان دينيزوفيتش.
سيعمق تشهيره بمعسكرات العمل القسري. من خلال عمله (أرخبيل غولاغ) الصادر سنة 1973. فطرد من الاتحاد السوفياتي ونفي نحو الولايات المتحدة الأمريكية. ثم عاد إلى بلده ثانية سنة 1994.
حينما انكب سولجنيتسين. أواسط سنوات الستينيات. على كتابة موسوعته تلك المتعلقة بالجحيم السوفياتي. فقد ألزم نفسه بمعركة شرسة ضد النظام الشيوعي. الذي ارتج بقوة. بعد أن ظهرت إلى العموم. مرافعته ضد العمل القسري.
عمل جبار. يمثل في الوقت نفسه. دراسة تاريخية وكذلك مصنفًا يحتوي على شهادات.تسبر في أبسط التفاصيل الجهاز الاعتقالي للشغل الشاق. كما عاشه الاتحاد السوفياتي خلال سنوات الثلاثينيات. ثم حظر هذا النص إلى غاية 1990. لكن. بعد مرور أول سنة على وفاة سولجنيتسين أي سنة 2009. ستدرج رواية (أرخبيل غولاغ). ضمن برامج التدريس في المدارس الثانوية الروسية.

أرخبيل غولاغ: الرواية التي زلزلت إمبراطورية [1]



ترجمة : د.سعيد بوخليط

مراكش - المغرب

في هذا الحوار، مع (جورج نيفات)، الباحث الجامعي ومؤرخ الأفكار، سنحاول معرفة المزيد عن هذا الموضوع :

-1س- عندما شرع ألكسندر سولجنيتسين في كتابة أرخبيل غولاغ،أواسط سنوات الستينيات، كان كاتبًا مكرسًا وتحت جناح السلطة، مع أن أولى كتاباته استحضرت قبل هذه اللحظة،عالم معتقلات الأشغال الشاقة. كيف تفسرون تناقضا، كهذا؟

ج- نهاية سنة 1960، أصدر سولجنيتسين عمله (يوم في حياة إيفان دينيزوفيتش)، وهو رواية قصيرة تصف معطيات الحياة في غولاغ. مؤلف أول، لسولجنيتسين لقي ضمانة في ظل وصاية تيار خروتشوف نفسه. وقتئذ، عاشت الحقبة أوج القطيعة مع المنظومة الستالينية. أيضًا، السكرتير الأول للحزب، ترعرع في البادية، فانجذب نحو الشخصية الرسمية للرواية، المسماة باسمه، وهو قروي يروي سولجنيتسين بلسانه تجربته الخاصة، داخل معتقل غولاغ بين سنوات (1945-1953). صدر النص بداية،على صفحات المجلة الأدبية "Novy Mir"، ثم طبع منه على الفور أكثر من مليون نسخة. لقد شكل ذلك صدمة كبيرة، فللمرة الأولى منذ بدايات الاتحاد السوفياتي، حكى أحد عن معتقلات العمل القسري، على الفور، حقق سولجنيتسين مجدًا ،بحيث غمرته رسائل من مئات آلاف قدامى سجن غولاغ، الذين أطلق سراحهم بعد وفاة ستالين، وعثروا ثانية على ذواتهم مع هذه الرواية.

-2 س والحال أن تلك الرسائل، هي التي دفعت سولجنيتسين، كي يذهب نحو أقصى حد ممكن؟

ج- فعلاً، بشكل سريع جدًا، سيطمح سولجنتسين إلى كتابة موسوعة حقيقية عن الجحيم السوفياتي، بناء على شهادات مئات المعتقلين السابقين. من بين مراسليه، انتقى بالخصوص أولئك من آخذوا عليه، كونه لم يستحضر غير رؤية جزئية عن مجريات غولاغ، بل قام بزيارة الكثيرين منهم،أخيرًا،حصر لائحة تضم 227 شخصًا، (اللامرئيين) الذين استحضرهم مع بداية (أرخبيل غولاغ)، بحيث هيأت له تلك الحكايات والوثائق، أساسًا للاشتغال، لكن مهمته الجسيمة، صارت من الصعوبة

بمكان، لما تغير مسار الأمور داخل الاتحاد السوفياتي، فبعد طي صفحة، خروتشوف سنة 1964، عمل بريجنيف على تشديد الرقابة، ومن ثم منع سولجنيتسين سنة 1965، من إصدار أي عمل جديد، هكذا غدا في احتكاك مباشر مع السلطة السوفياتية.

-3س-تاريخ كتابة (أرخبيل غولاغ) في طي الكتمان، فهل هي رواية تجسسية أساسًا؟

ج- صار سولجنيتسين، واعيًا جدًا أن مشروعه بمثابة قنبلة حقيقية، ووُضع تحت المراقبة الدقيقة، مما أجبره على اتخاذ مجموعة من الاحتياطات، فما إن ينتهي من كتابة مسودة فصل، ينتقل إلى كتابته على الآلة الكاتبة، ويستنسخ صورة منه، ثم يحرق المسودة والنص المرقون، مع احتفاظه فقط بصورة سلبية منه (كليشه)، سيبعث به خلال كل مرة إلى صديق مختلف، كي يطمره في مكان ما من حديقته، وحده سولجنيتسين، وبعض القريبين منه جدًا، يحيطون علمًا بالمخطط في بعده العام، من أجل تهيئ مشروع بهذه الكيفية، دون مذكرة تتضمن ملاحظات، فالأمر يحتاج إلى ذاكرة وتواطؤ موهبة معينة ! هكذا، انكب سولجنيتسين على تأليفه طيلة سنوات عديدة، منقطعًا إلى اشتغال هائل، كان يأخذ منه معدلاً زمنيًا يبلغ 17 ساعة خلال اليوم الواحد، عندما أوشك على الانتهاء، أحس بضرورة أن يضع تحت أنظاره مجموع ما كتبه، كي يتناوله ثانية، فرحل سرًا إلى مدينة "Tallinn"، عند (سوزي)، وهو صديق من (إستونيا)، تعود معرفته به إلى سنوات سجن غولاغ، سولجنيتسين يعتقد، أن جماعة الإستونيين من بين الأشخاص الأكثر وفاء على الإطلاق، فبقي مختفيًا في مزرعة صديقه لعدة شهور، ثم بإعادة تجميعه لكل الفصول، تجمع لديه عمل يقارب 1600 صفحة، حين رجوعه إلى موسكو، سيعهد بنسخة إلى سوزي، الذي دفنها في حديقته، ثم أعادها إليه سنة 1994، حين عودة سولجنيتسين من منفاه.

أشهر فيما بعد، خلال سنة 1969، بعث سريًا روايته (أرخبيل غولاغ) مكتملة، صوب باريس في شكل ميكروفيلم من ثلاث أشرطة، إلى دار نشر روسية صغيرة، لنيكيتا ستروف، لكن، فقط سنة 1973، قرر سولجنيتسين اقتحام الخطوة الأكثر جرأة، فكاتب ستروف برسالة مشفرة، تجيز له إصدار العمل.

-4س- كان النجاح مدويًا، والصدى السياسي أحدث صوتًا مدويًا !

ج- صدر (أرخبيل غولاغ) بالروسية أولاً من لدن ستروف، ثم ترجم على الفور إلى بلدان عديدة، بما في ذلك الصين الشيوعية بل وداخل الاتحاد السوفياتي، ومع أن ثبوت حيازة هذا الكتاب يؤدي إلى عقوبة سجنية تناهز عشر سنوات، فقد تدوول مثل نثار بارود، في صيغة منشورسري (بالروسية يسمى samizdath)، هكذا، للمرة الأولى، سيتم تفكيك جهاز غولاغ في كليته، وعبره مجموع النظام السوفياتي، الذي أظهر وجهه الأصيل، أمام ظاهرة كهاته، اتخذ المكتب السياسي للحزب، مزيدًا من الوقت كي يعلن عن القرار المناسب، بحيث اجتمع سبع مرات كي يفصل في مصير سولجنيتسين، مادام أن اعتقال من صار نجمًا عالميًا، لن يقدم صورة حسنة عن سمعة النظام، أخيرًا، تقرر طرده من الاتحاد السوفياتي، بعد تجريده من حقوقه المدنية، فابتدأت عشرون سنة من المنفى.

5س-هل سيكون مبالغًا، القول بأن إصدار أرخبيل غولاغ، لعب دورًا لا يمكن تجاهله بخصوص انهيار الاتحاد السوفياتي؟

ج- قطعًا لا، هذا النص بمثابة سبر لجهاز لا إنساني، كما جسده سجن غولاغ، بالتالي، سيقلب كل الأيديولوجية السوفياتية، القائمة على السعادة المرتبطة بالعمل، مبينًا أن الأشغال الشاقة، لا تخول أبسط الأشياء عن ما يعرف بـ (إعادة التربية)، كما استمرت في الادعاء البروباغندا الموروثة عن الستالينية، بل ذلك لم يكن غير آلة موت، توخى سولجنيتسين، رصد الخاصية التمركزية للجهاز القمعي، فأسهم بشكل من الأشكال في الإسراع بانهيار الاتحاد السوفياتي.

-6س بغض النظر عن الخاصية التوثيقية والتاريخية، لماذا نقرأ اليوم أرخبيل غولاغ؟

ج- لأن هذه الرواية كذلك، تتجاوز كونها موسوعة حقيقية ،إنها، نص تاريخي- من الأعمال الأولى التي أضفت شرعية على التاريخ الشفوي، فقد استند سولجنيتسين بخصوص استقاء معلوماته على مجموعة من الشهادات-وسياسي، لكنه كذلك أدبي وفلسفي، على سبيل التمثيل، كانت مؤثرة جدًا تلك المقاطع، التي عبر بواسطتها معترفًا، مع أن لا شيء أجبره على ذلك، حتى وضعية الاعتقال، بأنه احتفظ لمدة طويلة بعجرفة الضابط، ثم احتاج كذلك إلى كثير من الوقت كي يفهم أن الأمر لم يكن بتلك الهالة، أو أيضًا، لما اقترح عليه جهاز (الكي جي بي)،الاشتغال معه كمخبر، ففكر في العرض لمدة طويلة قبل رده الرافض ،ثم، خاصة القسم المركزي، من كتاب سولجنتسين المعنون بـ (الروح والأسلاك الشائكة)، الذي يعد بمثابة مفتاح البناء، لأنه تأمل في الوضع الإنساني لسجين، وقد رأى فيه سولجنيتسين وضعًا مقدسًا، معتنا بشكل قوي،على أن لاإنسانية آلة الاعتقال،ليس باستطاعتها التحطيم الكلي لآدمية السجناء، معبرًا بتصوره هذا، عن حقيقة كلية حول الفضاء الإعتقالي المعاصر، مبدأ، أقره مثلاً، الكاتب الإسباني (جورج سيمبرون) Semprun، المعتقل السابق في السجن النازي بوشينولد.

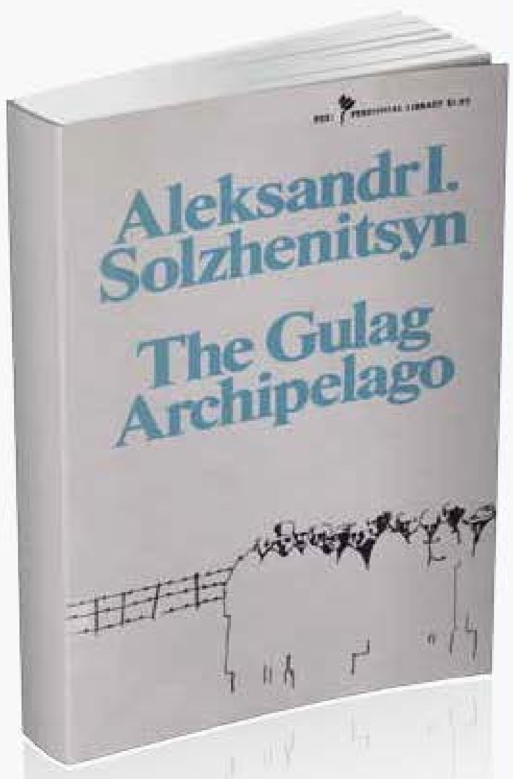
هامش:

1Le nouvel Observateur : juin-juillet 2013 ;pp9193-.



(جورج نيفات)، الباحث اجتماعي ومؤرخ الأفكار

﴿ صدر النص بداية،على صفحات المجلة الأدبية "Novy Mir"، ثم طبع منه على الفور أكثر من مليون نسخة، لقد شكل ذلك صدمة كبيرة، فللمرة الأولى منذ بدايات الاتحاد السوفياتي، حكى أحد عن معتقلات العمل القسري ﴾



رواية أرخبيل غولاغ شكلت صدمة كبيرة للاتحاد السوفياتي

مُراجعة كتابِ "العربُ الأشرارُ في السينما: كيف تشوّهُ هوليوود أمّة (العرب) ؟"[1]

بقلم ميشيل شعادة Michel Shehada
المدير التنفيذيّ لمهرجانِ السينما العربيّة والمدير السابق للإقليم الغربيّ للجْنةِ العربيّة الأمريكيّة لمكافحة التمييز العنصريّ



ترجمة : عمر عثمان جبق[2]
محاضر في قسم اللغة الإنجليزية بكلية المعلمين في جامعة الملك سعود

عندما يتعلّق الأمر بالشخصيات العربيّة في أفلامِ (هوليوود) فإنّ لدى هوليوود نوعًا واحدًا فقط من الشخصيّات، وهو العرب الأشرار. هذا ما يقوله البروفسور المتقاعد جاك شاهين المختصّ بوسائل الإعلام في جامعة (سازرن إلينويس) Southern Illinois University والمستشار السابق لأخبار شبكة (سي بي إس) لشؤونِ الشرق الأوسط في كتابه الجديد (العربِ الأشرار في السينما: كيف تشوّه هوليوود أمّة؟). يقدّم البروفسور شاهين دليلا طال انتظاره في دراسته البحثية الجديدة، مفادَه أنّ هوليوود تستهدف العربَ من أكثر من قرنٍ منذ "بداية عمل الكاميرات إلى الوقت الحالي"، فقد صوّرتهم بقصدٍ أو بدون قصدٍ أناسًا متعصّبين دينيًا، ومتخلّفين، وأنّهم "الآخَر" الثقافي المهووس بالمال". و يوضّح البروفسور أنّه لا ينبغي لنا معذرة صانعي الأفلام على تشويه الحقيقة والتضحية بها بذريعةِ الرُّخصة الفنيّة المزيّفة.

يقع الكتاب في جزأين رئيسين، قد تكون المقدّمةُ أهمَّ ما فيهما. ويعْرِضُ الجزءُ الثاني من الكتاب الأفلامَ من الألف إلى الياء، و يضمُّ الكتاب ملاحظات ومُلحقات ومسردًا وفهْرسًا لأكثرَ من 900 فلمًا مرتبًا ترتيبًا ألف بائيًا (مُعْجميًا)، يضمّ شخصيات عربية، وتُظْهِر الأغلبيّةُ الساحقةُ من هذه الأفلامُ العربَ بصورة نمطيّة سلبيّة، ومن هذه الأفلام، على سبيل المثال لا الحصر، سجين في الشرق الأوسط Prisoner in the Middle East) ومطلوب حيًّا أو ميتًا (Wanted Dead or Alive) وقوة دلتا (Delta Force) والقرار التنفيذي (Executive Decision) وغيرُها. وهناك حقبةٌ قليلةٌ من السيناريوهات التي ظهرت في الثمانينات والتسعينات من القرن العشرين المنصرم، التي أظهرت الشخصيات العربيّةَ كأبطالٍ، مثلُ فيلم أسد الصحراء (The Lion of the Desert) والمحارب الثالث عَشَرَ (The 13th Warrior).

ويصف البروفسور شاهين الرّوابطَ بين القدرة على إيجاد القصص والصّوَر الخياليّة، وبين القوّة لتشكيل وُجْهات نظرٍ اجتماعية، وبين تشكيل الأفكار والمعتقدات التي من خلالها يرى النّاسُ أنفسَهم وغيرَهم من الأمم. ومع مرور الوقت، ومن خلال التكرار، تصبح الصُّوَرُ النمطيّةُ مستمرّةً وثابتةً، ومن الصعب إزالتها. يتيح القسمُ الأوّلُ الذي ينقسم إلى اثنيْ عَشَرَ (12) جُزْءًا للقارئ فُرْصةَ قراءة المفاهيم والقضايا التي يطرحها الكاتب بكلّ يُسْرٍ و سُهولة. ويناقش الجزءُ الأوّلُ بعنوان (الأصل/البداية) صورةَ العَرَب النمطيّةَ في الثقافة الأمريكية الشعبيّة. وينتقل الكاتب بعد هذا الجزء إلى تقديم الجزء الثاني وهو (العرب الحقيقيون) كما يعْرِفُهم، وهؤلاءِ هُمْ: عائلتُهُ، وأصدقاؤهُ، وزملاؤهُ، والنّاسُ الذين قابلهم وخَبِرَهُمْ في حياته. وهناك جزءٌ آخرُ بعنوان (مَدْخلُ الصورة النمطيّة)، يناقش طريقة دخول صورة العرب النمطية إلى الثقافة الأمريكية الشعبية، وهنا يقول الكاتب: (إنّ صانعي الأفلام الأمريكيين لم يخترعوا صورة العرب النمطية السلبية، ولكنهم "وَرِثُوا صورَ العَرَبِ الكاريكاتوريّةَ الموجودة مُسْبَقًا في أوروبا و بالغوا فيها").

و يوضّح قائلاً: (إنّ هذه القَصَصَ الموروثةَ كانتْ مليئةً بباعةٍ مُخادعين، وخليلات أجنبيات مأسورات في أسواق العبيدِ". ويَخْلُصُ الكاتبُ إلى نتيجة، مفادُها أنّ قَبُولَ الجمهورِ الأمريكي هذه الصورَ على أنّها صورٌ حقيقيّةٌ وصحيحة، قد أثّرَ على الثقافة الأمريكية تأثيرًا كبيرًا في علاقتها مَعَ الإنسانِ العربيّ "الشرقيّ"). وعلاوةً على ذلك، يقدّم الكتابُ نظرةً بسيطةً وواضحةً عن طريقة تصوير أفلام هوليوود الصحراءَ والعربَ حيث "تتألّفُ البيئةُ الصحراويّةُ من واحة، وآبار نُفْط، وأشجار نخيل، وخِيَم، وقُصور مُزَخْرفة فارهة، وسيّارات فاخرة برّاقة، و جمالٍ أيضًا". ويتحوّل الرجلُ العربيُّ في الشاشة إلى "عُدّة علي بابا" الجاهزة، ويعيش في الصحراء بكلّ مُكوّنات عُدّتِه التي تضمُّ "خَنْجرًا معْقوفًا، وسيوفًا وفوانيسَ سحْريّةً ومرْوحات ريْش عملاقةً و(نارجيلات)". والمرأةُ العربيّةُ تَلْحَقُ بالرجلِ العربيِّ مُرْتدية "بُرْقُعًا، أو حجابًا، أو سرْوالاً شفّافًا كالذي ترتديه الراقصةُ الشرقيّةُ، ومُجَوْهرات تُغطّي السُّرّةَ". والملاحظةُ المهمة هنا تكمن في المعاملة الجائرة التي يتلقّاها الإسلامُ على أيدي صانعي الأفلام، إذْ إنّهم عادةً ما يربطون الإسلامَ "بسطوة الذكور" والجهادَ (الذي يترجمونه ترجمةً خاطئةً على أنّه "حربٌ مُقدّسةٌ") بأعمالٍ إرهابيّة.

وبعد مأساة الحادي عَشَرَ من أيلول/سبتمبر 2001 أصبح الحوارُ حول الإسلام والمسلمين في الغرب شديدًا، ويحاول نُقّادُ الإعلام، والخبراءُ المزْعومونَ إقناعَ الجمهورَ الأمريكيَّ الساذَجَ بأنّ الإرهابَ يكْمُنُ في طبيعة ثقافة المسلمين والعرب. ويعدّ الكتابُ الذي بين أيدينا شاهدًا على أنّ هوليوود هي من أوجد التربة الخصْبةَ لبذور الكراهيّة من خلال صورها السلبيّة عن العرب. بالإضافة إلى ذلك، يشكّكُ الكتاب تشكيكًا كبيرًا بهدف استوديوهات هوليوود من استغلال الممثلين الأمريكيين من أصلٍ إفريقيٍّ، المشهورين، الذين عانتْ أقليّاتُهم العِرْقيّةُ معاناةً كبيرةً من التصوير النمطيّ العرقيّ السلبيّ، لكي تشرّعَ صورةَ العرب السلبيّةَ في السينما الأمريكية. ومن هذه الأفلام فيلم الحصار (The Siege 1998: للممثل دينزل واشنطن Denzel Washington) وفيلم قواعد الاشتباك (Rules of Engagement 2000: للممثل صامول إل. جاكسون Samuel L. Jackson) وفيلم

ديزني "كازام" Kazaam (مارد الفانوس) (1996: للممثل شاكيل أو نيل Shaquille O'Neal)، ولا يقدّمُ الكاتب أيّ تبرير لدوافع هؤلاء الممثلين (السُّود) للقبول بهذه الأدوار أو أسباب قبولهم تلك الأدوار.

إنّ أهمّ جانب في هذا الكتاب هو محاولتُهُ الإجابةَ عن السؤال التّالي: لماذا هذا التصويرُ النمطيُّ؟ ويقترح الكاتبُ وجودَ سبعة أسباب، مع أنّه لا يقيّدُ نفسَهُ بها. أحدُ هذه الأسباب هو الصّراعُ العربيُّ الإسرائيليُّ، فقد أدرك داعمو إسرائيل أنّ صناعة الأفلام وسيلةٌ قويّةٌ، فبدؤوا استعمالَها لنشر صُوَرٍ مُتحاملة، تناسبت مع أغراضهم السياسيّة، وستستمر هذه الممارسةُ طالما أنّ المجتمعَ ككل يسمحُ بوجود الصورِ السلبيّة للشعوب الأخرى. وهناك جوابٌ آخرُ يكمن في متابعة الحكومة الأمريكيّة لأطماع سياساتها الخارجيّة في الشرق الأوسط، وهذا يفسّرُ درجةَ تواطؤ وزارة الدّفاع الأمريكيّة في صناعة أفلام تُسيءُ للعرب، وتصوّرُهم كإرهابيين، يقتلون الأمريكيّين ويدمّرون "طريقةَ العيش الغربيّة". وبعد أحداث الحادي عشَرَ من أيلولَ تمّ عقدُ اجتماعٍ بين (جَمْعٍ) إداريين ومُدبّرين رفيعي المُستوى ومنتجي أفلام من هوليوود والبيت الأبيض بمبادرة من الرئيس السابق جورج بوش، لمناقشة طريقة مُساهمة هوليوود في "مكافحة الإرهاب". كما تمّ تناقلُهُ على نطاقٍ واسعٍ، ويُظهر هذا الأمرُ كيف أنّه بإمكان الحكومة استخدامُ هوليوود كأداةٍ للترويض الاجتماعيِّ. وهناك عاملٌ مُساهمٌ آخرُ هو الصمتُ المُطبِقُ الذي يميّزُ ردةَ فعلِ الشعب، بالإضافة للنُّخَبِ الفكريّة والباحثين و مسؤولي الحكومة، حتّى إنّ أولئك الذين يخوضون الانتخابات الرئاسيّةَ على مَنصّات مناهضة للتصوير النمطيّ، لا يذكرون أنّ العربَ كانوا مُنْذُ فترةٍ زمنيةٍ طويلةٍ كبشَ فداءِ الإعلام المُفضّلِ وشمّاعتَهُ المفضّلةَ. فإنْ كان الواجبُ علينا كمجتمعٍ أنْ نكونَ صادقينَ مع المبدأ الأمريكيِّ "كلّ الناس متساوون" فعلينا أن نشكّكَ بالصورِ النمطيّةِ البغيضة على الملأ وبملْءِ الفم، بما في ذلك الصورةُ النمطيةُ "السينمائيّةُ" عن العربِ الأشرار. وللأمانة فإنّ الكاتبَ البروفسور شاهين لا يَحصرُ أسبابَ استمرار الصورة النمطية السلبية عن العرب في العوامل الخارجية فحَسْبُ، بل ينظر إلى العوامل الداخليّة أيضًا، فينتقدُ قلّةَ الظهورِ العلنيِّ للجالية الأمريكيّة العربيّة.

وهناك مجموعاتٌ أخرى عانت من النمطية السلبية، كالأمريكيين الأفارقة والأمريكيين الآسيويين والأمريكيين اليهود، ولكنّها كافحت بشراسة وقلّلت من تلك الصور السلبية، بَيْدَ أنّ الأمريكيين العربَ، من مَنْظور البروفسور شاهين، يفتقرون إلى الشجاعة، ويعانون التّشرْذُم، وقلّما تُصغي لهم هوليوود عندما يحتجّون. ولذلك فإنّ حربَ صناعة الأفلام غيرِ المُعْلَنةِ على العرب تستمرُّ دون هَوادة.

يوجدُ في الكتاب بعضُ العُيوب بالإضافة إلى بعض السَّقَطات أو الحذف، على الرّغم من ميّزاته الإيجابيّة كلّها، فعلى سبيل المثال: يبدو اقتراحُ الكاتب المقدّمُ في الفقرة الثانويّة بعنوان (الحُلول) لحلّ المُشْكلة مُبسّطًا جدًّا، فالكاتب يبحث عن حلٍّ من خلال نيّات صانعي الأفلام الطيّبة، ويتحدّى مُنتجي هوليوود للاعتراف بالممارسات الظالمة وقبول حكْمة النزاهة في تصوير الناس. أعتقد أنّ من السذاجة بمكان الافتراض أنّه بمُجرّد تعليم صانعي الأفلام الحقيقة، وتزويدهم بالأدلّة على مخاطر تصوير الناس بصُوَرٍ نمطيّة سلبيّة فإنّهم سيتوقّفون عن ذلك تمامًا، كما فعلوا مع الأقليّات العرْقيّة في الماضي. إنّ مثلَ هذا الاعتماد على النيّات الطيّبة يتجاهلُ المخطّطات السياسيّةَ القويّةَ الكامنةَ خلفَ التصوير النمطيّ، هذا الذي قام بتحليله الكاتب سابقًا في كتابه.

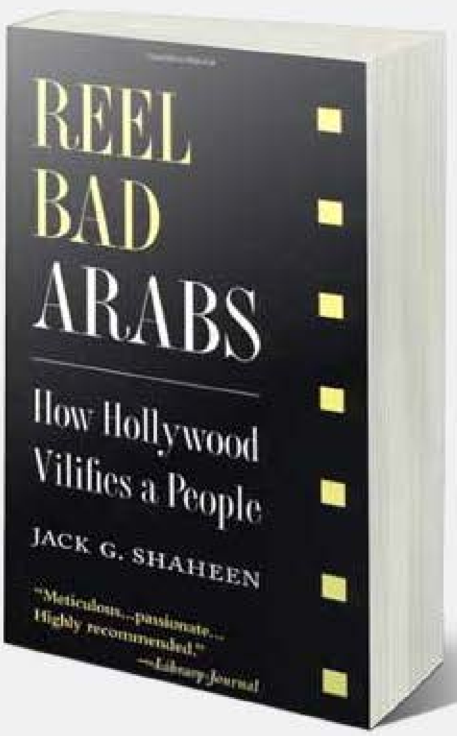
ظاهرةُ الاستمرار في التصوير النمطيّ السلبيّ لأقليّة عرقيّة ما هي إلّا نتيجةُ عواملَ مُعقّدة، سياسيّة واجتماعيّة، وثقافية، وبيئيّة، ونفسيّة أيضًا، ويتطلّبُ إيقافُها تحوّلًا اجتماعيًّا، يأخذ بعين الاعتبار كلّ هذه العوامل، وليس فقط تعليمَ صانعي الأفلام أو معالجةَ عاملٍ واحدٍ فقط من هذه العوامل. ومع ذلك فإنّ هذه الدراسةَ المهمّةَ الرائدةَ المبدعةَ من شأنها أنْ تفتح البابَ أمامَ المجتمعات العربيّة والمسلمة لاتّخاذ أنماطٍ جديدةٍ كليًّا من الأنشطة والفعاليات، وآمل أنْ يحثّهم هذا على الارتقاء بفهمهم لهذه الظاهرة، واستجابتهم لها، والشروع بالعمل الشاقّ لتنظيم أنفسهم، ومن ثمّ استئصالها. إنّ المَنْهجَ المضمونَ لإنهاء ممارسة هوليوود الجائرة في تجريد العرب من الجانب الإنسانيّ، وتحويلهم إلى مجرّد صور كاريكاتورية هو منهجٌ شاملٌ، ولا يجب استهدافُ هوليوود فقط بالتعليم والحوار، بل يجبُ استهدافُ المجتمع كلّه، علاوةً على ذلك، فإنّ التعليمَ وحدَهُ لا يُمكِنُ أنْ يَحُلّ المشكلة، إذ ينبغي استخدامُه كأداة لزيادة إشراكنا نحن- العربَ- في كلّ مَظاهرِ الحياة الأمريكيّة الاجتماعيّة، والاقتصاديّة، والعلميّة، والثقافيّة، كمُنْتِجين، وليس مجرّدَ مستهلكين وحَسْبُ. ينبغي أنْ يجدَ هذا الكتابُ (العرب الأشرار في السينما) طريقَهُ إلى قاعات الجامعة والكُليّات، لكي يساعد على إنشاء جيلٍ جديدٍ متنوّرٍ من صنّاع السينما، ممّنْ سيكتشفون حياةَ النّاس، ويقدّمونها بطرق غير مُشَوّهة، تَخْدُمُ مخطّطاتٍ سريّة، وهذا سَيُسَهّلُ علينا نحن- العربَ- إنتاجَ صورتنا وتشكيلها بالطريقة التي نعرفها، ومن شأن مثلِ هذه العمليّة أنْ تشجّع على رواية القصص وإنتاج الصور التي توسّع الأفق، وتشجّعُ على التفاهم، وتولّد انسجاماً ضمنَ التنوّع الثقافيّ.

1-Jack Shaheen (2001). Reel Bad Arabs. How Hollywood Vilifies a People. New York. Olive Branch Press.

2 - يود المترجم أن يشكر لفاء الأستاذ قاسم عثمان جبو للتنقيح باللغة العربية حتى الاعتناء الفني لهذا المقال.

«إنّ صانعي الأفلام الأمريكيين لم يخترعوا صورة العرب النمطية السلبية، ولكنهم "وَرِثوا صورَ العَرَب الكاريكاتوريّةَ الموجودة مُسْبَقًا في أوروبا و بالغوا فيها"»

«طريقة تصوير أفلام هوليوود الصحراءَ والعربَ حيث "تتألّفُ البيئةُ الصحراويةُ من واحة، وآبارِ نَفْطٍ وأشجارِ نخيلٍ وخِيَمٍ، وقُصورٍ مُزَخْرفةٍ فارهةٍ، وسيّاراتٍ فاخرةٍ برّاقةٍ، و جِمالٍ أيضًا".»



الكتاب: العرب الأشرار في السينما: كيف تشوّه هوليوود أمّةً؟

المؤلف: جاك شاهين

الناشر: Library Journal

"الربيع العربي" في كتاب توثيقي وتحليلي ونقدي شامل

العرب بين مآسي الحاضر وأحلام التغيير



الطاهر الطويل

كاتب مغربي

أصدرت "مؤسسة الفكر العربي" التقرير العربي السابع للتنمية الثقافية تحت عنوان: (العرب بين مآسي الحاضر وأحلام التغيير: أربع سنوات من "الربيع العربي")، ويضم التقرير ستة وخمسين بحثًا ودراسة شارك بها كتاب وخبراء من العديد من الدول العربية.

يستهل التقرير، الذي يجمع بين الأبعاد التوثيقية والتحليلية والنقدية، بكلمة لصاحب السمو الملكي الأمير خالد الفيصل (رئيس "مؤسسة الفكر العربي") أوضح فيها أن هذا النتاج الفكري الجديد يندرج ضمن الأهداف التي أعلنتها المؤسسة في مستهل إنشائها، وفي مقدمها الانفتاح على العلوم والمعارف وتنمية الاعتزاز بثوابت الأمة؛ مؤكدًا أن هذه الأهداف تحتاج اليوم، أكثر من أي وقت مضى إلى التشبث بها والعمل بمقتضاها، وتفعيلها بهمّة وتصميم حي، وذلك في ضوء الواقع الذي يعيشه العرب منذ ما ينيف على أربع سنوات.

وأضاف سمو الأمير قائلاً: «إن العواصف الدولية والإقليمية التي هبّت على بلدان الربيع العربي بددت مسار أحداثه وشتتها، إلا أنه لا يمكن تجاهل المكتسبات التي أضافتها هذه الأحداث إلى وعي الناس، أو استبطنتها في لاوعيهم، كما لا يمكن الاستهانة بهذه المكتسبات؛ فالتاريخ لا يعود إلى الوراء، وكل خطوة إلى الأمام في اتجاه المستقبل هي مكسب وإنجاز».

وأوضح سموه أن "مؤسسة الفكر العربي" حرصت على أن يكون تقريرها السابع للتنمية الثقافية مكرسًا لمعضلات "الربيع العربي"، انطلاقًا من الوعي بضرورة التسلح بفهم تعقيدات الأوضاع الناجمة عن تلك الأحداث، كي لا تأخذ بالأمة إلى مهاوي التجزئة والتفتت، ولكي يسهم ذلك الفهم في دفع عقلائها في اتجاه تحقيق حلم الوحدة الممتد على مدى القرن الفائت، ومن ثم، نبرى لمعالجة الأوضاع الناجمة عن "الربيع العربي" لفيف من البحاثة والمفكرين العرب، بتفكيكها وتحليلها والتبصر في مآلاتها.

دواعٍ وخصائص

بعد كلمة الاستهلال، نقرأ ورقة بقلم الدكتور هنري العويط (المدير العام لمؤسسة الفكر العربي)، ذكّر فيها بالتقارير الستة السابقة التي غطت في الأعوام الماضية جوانب مختلفة من الثقافة العربية، بدءًا بأوضاع التعليم، وحركة الترجمة والنشر، وملفات المعلوميات، والإعلام، مرورًا باقتصاد المعرفة، ومعطيات التوظيف وسوق العمل.

وأوضح الدكتور العويط أن موضوع "الربيع العربي" قد يبدو للقارئ بعيد إلى حد ما عن روحية التقارير السابقة، وأن مادته أقرب إلى السياسة منها إلى الثقافة؛ غير أن الحقيقة التي يظهرها مضمون التقرير هي أن المسألة الثقافية حاضرة بقوة في مقاربة هذا الموضوع، سواء ألبست لبوسًا سياسيًا أم استراتيجيًا أم اقتصاديًا أم فكريًا أم فنيًا أم أدبيًا.

وتابع قوله إن اختيار هذا الموضوع بالذات مرده إلى أن "مؤسسة الفكر العربي" آلت على نفسها، منذ إنشائها، أن تكون قطبًا لنقل المعرفة ونقدها وتوليدها، وأداة لإثارة الوعي بالقضايا المصيرية الكبرى التي تعيشها مجتمعاتنا ودولنا، ولذلك، رأت "المؤسسة" أن من واجبها القيام بمراجعة نقدية شاملة لهذه الظاهرة الاستثنائية "الربيع

العربي"، من منطلق كونها معنية إلى أبعد الحدود بأوضاع الدول العربية وأحوال شعوبها، كما أنها تسعى دائمًا إلى البحث عن أنجع السبل التي تمكن تلك الدول والشعوب من التصدي للتحديات الكبرى التي تواجهها.

وأشار المدير العام لمؤسسة الفكر العربي إلى أن من أبرز خصائص هذا التقرير عن غيره من الإصدارات الكثيرة التي تناولت "الربيع العربي" نجاحه في جمع ما يتعلق بمجمل عناصر هذا "الربيع" وجوانبه المختلفة في ملف واحد، وقال أيضًا: «يمكننا الجزم أن ما من وثيقة نشرية واحدة، أعربية كانت أم أجنبية، قد أحاطت بالموضوع على هذه الصورة من التنوع والشمول حتى الآن»، لافتًا الانتباه إلى المنحى البانورامي الذي يَسِمُ التقرير بميسمه الطاغي، فضلاً عن تنوع مجالات الاختصاص لدى النخبة من الكتاب الذين تم استقطابهم للمساهمة فيه، وقد روعي في اختيارهم معيار الكفاءة والرصانة العلمية وتعدد مذاهبهم الفكرية، فضلاً عن توزعهم على مختلف الدول العربية.

وحسب الدكتور العويط، فإن الخيط الجامع بين أبواب التقرير كلها يتمثل في الإجماع على خلاصة أساسية مفادها أن ثورات "الربيع العربي"، على اختلاف تجلياتها، لا بد لها أن تجتاز النفق المظلم الذي غرقت فيه، لأن "الربيع العربي" شكّل انعطافة نوعية تخوّلنا الاعتقاد أن أحوال العالم العربي لن تعود بعده وبفضله إلى ما كانت عليه سابقاً.

ستة أبواب

ينقسم التقرير إلى ستة أبواب رئيسة، أولها باب يحمل عنوان: "الأحداث وتحولاتها في تونس، مصر، ليبيا، اليمن، سورية"، وهو عبارة عن قراءة للأحداث وتحولاتها من خلال مجراها المباشر في كل بلد على حدة من البلدان المذكورة، وما شهده من تغييرات في أنظمتها السياسية وفي بنيتها الاقتصادية والاجتماعية والثقافية، في حين انصب الباب الثاني المعنون بـ"قراءات معرفية تخصصية في "الربيع العربي" على تقديم قراءة "الربيع" من منظورات معرفية وعالمية مختصة، على المستويات الثقافية والسياسية والاقتصادية والأنثروبولجيا والعسكرية والفلسفية والدينية والمجتمعية والتكنولوجية.

وفي الباب الثالث "ترسيمات رؤيوية لمستقبل الوطن العربي"، نطالع قراءة استشرافية في مآلات "الربيع العربي"، اضطلعت بها مجموعة من كبار الكتاب والمحللين الرؤيويين العرب للتبصر في التحولات المستقبلية لهذا "الربيع" وفي انعكاساته على الدول العربية كافة، ويعرض الباب الثالث الرابع "وجهات نظر خليجية في الثورات العربية"، حيث يتم استشراف مآلات هذا "الربيع" والتبصر في تحولاته المستقبلية وفي انعكاساته على دول مجلس التعاون الخليجي (المملكة العربية السعودية، سلطنة عمان، الكويت، البحرين، الإمارات، قطر).

واختير للباب الخامس عنوان "ربيع العرب في مرآة الخارج الإقليمي والدولي" حيث ضم الأبحاث والدراسات التي تناولت الربيع العربي في مرآة الخارج الإقليمي (تركيا، إيران، إسرائيل) والدولي (الولايات المتحدة الأمريكية، روسيا، بريطانيا، فرنسا، ألمانيا، اليابان، الهند)، من خلال أبرز ما ظهر في الإعلام وما نشر في الصحافة على أنواعها وفي المجلات الأكاديمية، وما صدر من كتب عن دور النشر ومراكز البحوث، سواء العربية منها أم الإقليمية أم الدولية.

في حين انطوى الباب السادس الموسوم بـ"الربيع العربي في مرآة النتاج الثقافي والأدبي والفني" على قراءة للأحداث من خلال النتاج الفكري والثقافي العربي والأجنبي، والذي تجلى في نتاج الأدباء والفنانين في مختلف ميادين الأدب والفن من رواية وشعر وفن تشكيلي وغرافيتي وسينما ومسرح... كما ألحقت بهذا الباب مادة غزيرة لبيبليوغرافيا موسعة وشارحة لأهم الأعمال حول الربيع العربي باللغات الثلاث: العربية والفرنسية والإنجليزية.

واختتم التقرير بـ"بيبليوغرافيا" تضم جردًا وتعريفًا موجزًا بالكتب العربية والفرنسية والإنجليزية التي تناولت "الربيع العربي" خلال السنوات الأربع، من 2011 إلى 2014.

يقع "التقرير العربي السابع للتنمية الثقافية" في 782 صفحة من القطع الكبير.

سمو الأمير خالد الفيصل: «إن العواصف الدولية والإقليمية التي هبّت على بلدان الربيع العربي بددت مسار أحداثه وشتتتها، إلا أنه لا يمكن تجاهل المكتسبات التي أضافتها هذه الأحداث إلى وعي الناس، أو استبطنتها في لا وعيهم، كما لا يمكن الاستهانة بهذه المكتسبات؛ فالتاريخ لا يعود إلى الوراء، وكل خطوة إلى الأمام في اتجاه المستقبل هي مكسب وإنجاز».
وأوضح سموه أن "مؤسسة الفكر العربي" حرصت على أن يكون تقريرها السابع للتنمية الثقافية مكرسًا لمعضلات "الربيع العربي"، انطلاقًا من الوعي بضرورة التسلح بفهم تعقيدات الأوضاع الناجمة عن تلك الأحداث.



الكتاب: التقرير العربي السابع للتنمية الثقافية
الناشر: مؤسسة الفكر العربي
سنة النشر: 2014
عدد الصفحات: 782 صفحة، القطع الكبير

(طقس) .. جديد أمير تاج السر



صدر حديثًا عن دار بلومزبري مؤسسة قطر، الدوحة رواية بعنوان (طقس) للكاتب والروائي المعروف الدكتور أمير تاج السر، وتليها ترجمتها إلى الإنكليزية التي تصدر في منتصف نيسان/ إبريل 2015.

يقول الدكتور أمير تاج السر: «الرواية تتحدث عن روائي عثر على شخصية كتبها في إحدى رواياته موجودة في الحياة بنفس التفاصيل والاسم، وابتدأ يقاتل لتغيير مصير الشخصية في الواقع، إنها رواية من لحم الفنتازيا، تعمل في منطقة العقل والتخاطر، والقوى الغريبة التي قد تسيطر على السلوك، وتزخر بالأحداث المشوقة، وكتبت بنفس لغة المؤلف المعروفة».

أمير تاج السر كاتب سوداني وطبيب، نشر العديد من الروايات وترجمت أغلبها إلى عدة لغات منها الإنجليزية والفرنسية والإيطالية، وصلت روايته «صائد اليرقات» التي صدرت عام 2011 إلى القائمة القصيرة لـ «جائزة البوكر العربية». أما روايته الأولى فهي «كارماكول» ونشرت عام 1988.

نجاة خيري.. و(رسائل إلى ولدي)



صدر حديثًا عن دار المفردات كتاب بعنوان (رسائل الى ولدي) للكاتبة والأديبة نجاة خيري، وهو دليل رفيق للباحثين عن السعادة والتميز والانطلاق، عبر 85 رسالة يقدم هذا الكتاب أفكارًا مبدعة وإستراتيجيات ماتعة بأسلوب جاذب ولطيف يبث من خلالها ومضات ذهبية في صنع القرار وبناء الذات والتفاعل الاجتماعي والحصانة العاطفية ويختصر ما ينادي به أشهر المدربين العالميين في مجال تطوير الذات، لغته الأولى الحب وهو طريق مختصر لما لم يقله المدربين للجيل الصاعد بقوة وتحدي، الذي يحتاج إلى إرادة حديدية وعزيمة داخلية دافعة في خضم التغيرات الحياتية السريعة والمتقلبة ..(رسائل الى ولدي) أول باكورة عمل للأديبة نجاة خيري لعام 2014.

كتاب (آليات الخطاب الثقافي)



عن مؤسسة العالم العربي للدراسات والنشر بالقاهرة، صدر كتاب (آليات الخطاب الثقافي) للباحث الدكتور وصفي ياسين، في طبعته الأولى، والذي نأمل أن يكون إضافة جديدة للمكتبة العربية والمكتبة النقدية عمومًا وللنقد الثقافي التطبيقي على وجه الخصوص.

وتكتسبُ هذه الدراسةُ (آليات الخطاب الثقافي) أهميتَها من كونها تصدَّت للإجابة عن السؤال الثقافي الذي تقتضيه دواعي النقد الثقافي في خطاب (أمل دنقل)، ذلك السؤالُ الذي كان مسكوتًا عنه، ومن كونها انتقت أدواتها الإجرائيةَ متوسّدةً بآليات النقد الثقافي وبمنهجيته وبمكتسبات المنهج التحليليّ، ومن أهمّ الآلياتِ الثقافيةِ التي رأت فيها الدراسةُ صلاحيتَها للتجريب والكشف في خطابه: الخطاب بأنواعه، والسُّلْطة بأنواعها وبممارساتها، والنسق بنوعيه الظاهر والمضمر، والقراءة الثقافية بطريقتَيْها عندما تتحرّى الحركةَ الارتداديةَ التي قد تتجه من النسق إلى النص، أو من النص إلى النسق اعتمادًا على ثنائية الأخذ والعطاء، لذا فإنّها ستستحضر الطبقاتِ الرسوبيةَ للنسق لربط ماضيه بلحظته الآنية تحت ما يُسمى بركيزة التراكم.

اعتمد هذ الكتابُ على مدخل وبابَيْن بعشرة فصول وخاتمة: المدخل النظريّ: (تقريبُ آليات الخطاب الثقافيّ) يعالجُ فيه البحثُ المفاهيمَ والمصطلحاتِ والأدواتِ التي دارت في فلكها الدراسةُ؛ كالنقد الثقافي، والقراءة الثقافية، والخطاب، والسُّلْطة، والنسق الثقافي، وركيزة التراكم.

كتاب (حقيقة الاحتباس الحراري)

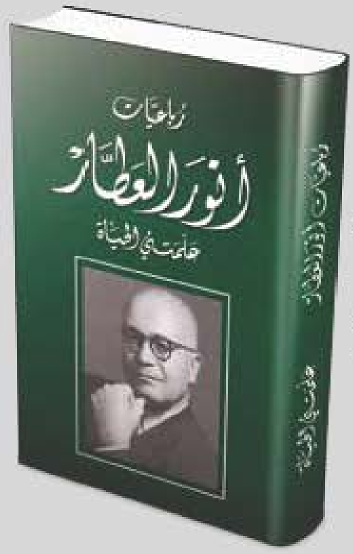


صدر حديثًا كتاب (حقيقة الاحتباس الحراري) للباحث عادل محمد الوقداني، ويقول الباحث: «إن عمر الكتاب 15 خمسة عشرة عامًا من حيث بدئه فكرة، وملخص هذه الفكرة، إنها تتخذ من علم الفلك منطلقًا لها وترجع سبب الظاهرة إلى أسباب فلكية وليس لها علاقة سواء بانبعاث الغازات أو بالرياح الشمسية وليس لها علاقة بالرأي الثالث والذي يزعم أصحابه بعدم وجود ظاهرة الاحتباس الحراري بل وارجعوا الأمر إلى الطبيعة.

فالفكرة الجديدة تعزو سبب ظهور الظاهرة إلى زيادة سرعة الأرض حول نفسها مما أدى لنقص الزمن الذي أنقص الليل والنهار تبعًا لذلك.

ونقص النهار لا يضره إلا في حالة واحدة وذلك مشروحة داخل الكتاب، ونقص النهار لا يضره لوجود وقت ذروة لاكتساب الطاقة الحراري ساعة الظهيرة، أما نقص الليل فهو سبب وجود ظاهرة الاحتباس الحراري».

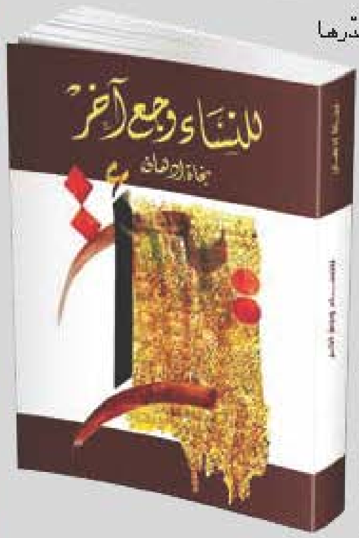




(رباعيات أنور العطار - علمتني الحياة)

صدر حديثًا ديوان (رباعيات أنور العطار - علمتني الحياة)، العطّار ... شاعر سوري رقيق الحاشية، مرهف الحس، متدفق العاطفة، محكك الشعر، جزل العبارة، مشرق الديباجة، واضح الصور والأخيلة والمعاني وضوح تجاربه الشعرية، عاش لفنه وشعره في شبه عزلة بعيدًا عن الأضواء وصخب الحياة مبدؤه: الفن للفن، وغاية الشعر عنده هي المتعة الجمالية الخالصة ...

ونراه هنا في ديوانه (رباعيات أنور العطار - علمتني الحياة) وهو واحد من آخر إبداعاته، ينقل لنا في أسلوبه الشعري الأخاذ مشاعره وأفكاره وفهمه وفلسفته للحياة، مصوغة على شكل رباعيات شعرية تحمل كل رباعية منها عنوانها وموضوعها المتفرد والمتميّز؛ ليجعل من كل رباعية مادة ماتعة للقراءة مكسوة بجمال وانتقائية الكلمة وعميق الحكمة وثراء المعرفة.



نجاة إدْهان .. وللنساء وجع آخر

(للنّساء وجع آخر..) مجموعة قصصيّة للكاتبة التّونسيّة نجاة إدْهان صدرت في أكتوبر 2014 عن دار رسلان للطّباعة والنّشر.. تصدّرها صاحبتها بـ«وللنّساء وفي النّساء كثير من الفرح لكنّنا غالبا ما نسرقه ونخنقهنّ أحياء..» فيها اثنتا عشرة قصّة جماعها العنوان: النّساء وأوجاعهنّ. هي قصص تدقّ أبواب آلام أخرى غير التي تُتداول وتختزل قضيّة المرأة في حريّة السّلوك وغيرها. لم تعد المسألة مسألة حريّات بل هي مسألة وجود تعيشها كلّ النّساء باختلاف الأعمار والخصائص النفسيّة وحتّى الفكريّة. إنّه وجع المرأة المثقّفة المبدعة والمرأة/ الأمّ والزّوجة والبنت.. تتعدّد الوجوه لتثبت واقعًا بغاية إعادة النّظر فيه نقدا وتقويمًا لتكون المرأة/الإنسان لا فقط المرأة/ الأنثى..

مجموعة تذكّر بأنّ وجع المرأة لا يُختزل في الرّجل بل إنّ من النّساء من تقتل حقّها في الحياة بانخراطها في لعبة كاذبة هي جملة مقولات مسقطة فتسلّطها على امرأة أخرى تؤمن بالحياة أو حتّى على نفسها لينتهي الأمر بحلقة تزداد ضيقًا في كلّ مرّة..

هذه المجموعة هي نوافذ تُفتح على وجع الوجدان والنّفس والفكر لتُخبر بأنّ المرأة أيضًا مسكونة بالحلم وإمكان تحقيقه وأنّ لها الحقّ في الخلاص من كلّ هذا لتكتسب الحياة معنى.. مجموعة تتالى قصصها وتصوّر عوالم تبدو مختلفة لتنوّع الشخصيّات لكنّها ترصد واقعًا إنسانيًّا عامًّا وربّما لذلك جعلت الكاتبة شخصيّاتها بلا أسماء..

هو سؤال الكتابة عن الوجود بكلّ وجوهه ودلالاته وعراقيل اكتماله.. مجموعة تجعل الفرد موضوع تفكير فتنتصر له على كلّ الدعوات إلى تغييبه كما تنتصر الكاتبة للّغة فتسرد نصوصها بلغة تنتقي معاجمها وصورها وتتلبّس الذّوات فتجعل الفكرة همًّا إنسانيًّا يتسلّل إلى القارئ فيدفعه إلى التّفكير.. حينها يحقّق الأدب وظيفته..



(تذكر دومًا أنني أحبك) جديد وفاء شهاب الدين

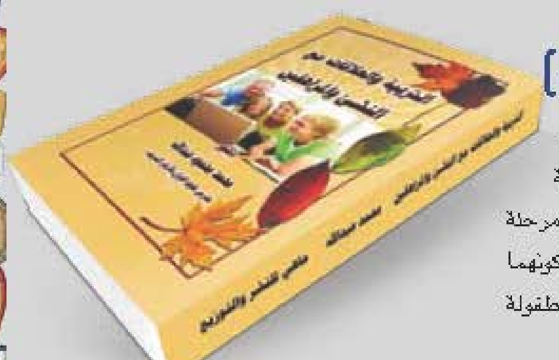
صدر حديثًا عن مؤسسة غراب للنشر والتوزيع بالقاهرة رواية (تذكر دومًا أنني أحبك) للروائية وفاء شهاب الدين، وتعد الرواية السابعة لوفاء التي صدر لها من قبل (رجال للحب فقط) مجموعة قصصية و(مهرة بلا فارس) رواية ط1، ط2 و(سيدة القمر) رواية، و(تاج الجنيات) و(نصف خاتمة) رواية، والرواية المرشحة للبوكر (طوفان اللوتس) عن مجموعة النيل.

من أجواء الرواية:

«ساذجة أنا .. أحيانًا ما أندفع بقلبي إلى أفران الحب دون استخدام المؤقت فيخرج من التجربة شيئًا آخر لا يمت للقلب بصلة فأعالجه وأطيبه وأدلله، أعده بعدم تكرار تلك الحماقة وعند شعاع الحب الأول أكرر غبائي وأستزيد من حماقاتي ..

حمقاء أحيانا ..أفترش جسور الحب عارية رغم قسوة البرد أتراقص بنشوة من استهل حياته بالعثور علي كنز لأكتشف بعد ذلك أنني لم أحظ يومًا بذلك الحظ وأن بحياتي .. لا كنز ..

بربرية رغم محاولاتي التحضر، حين أحب أحرق كل مراكبي نشدانا لدوام الوصال وأقف على شواطئ الفراق أبكي طيشي وتهوري وأتمنى مركبًا ضالة تقلني حيث عالمي لأكتشف أخيرا أن لا عالم لي يشبه».

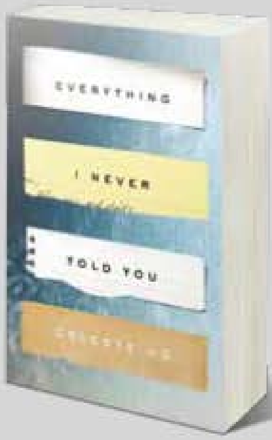


كتاب (التربية والعلاقات مع النشء والمراهقين)

صدر حديثًا عن دار ماهي للنشر والتوزيع كتاب (التربية والعلاقات مع النشء والمراهقين) للدكتور محمد محمود عبد الله، العدل في تربية المراهق والعناية به ورعايته وسد حاجاته والتلطف معه في معاملته في هذه المرحلة الحرجة من مراحل حياته، فإن مرحلة الانتقال من الطفولة إلى الرجولة والرشد قال عنها علماء النفس: إنها مرحلة عصيبة يكون فيها الفتى والفتاة في أمس الحاجة لرعاية الوالدين، وكذا من حولهما من المعلمين وجميع من يشاركونهما الحياة فكرًا ومعاملة... نصحًا وإرشاد، لأن الشباب هم أمل الأمة وسواعد نهضتها إن أحسنا إعدادهم منذ بدء الطفولة وحتى انتقالهم إلى مرحلة الرجولة.

الكتب الأكثر مبيعًا في عام 2014:

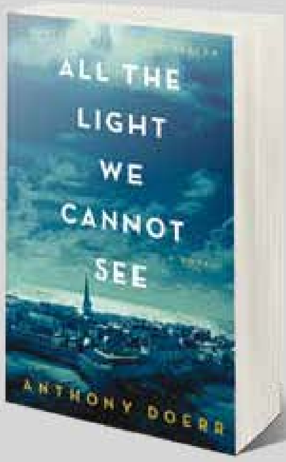
أعلن موقع Amazon – أمازون عملاق التجارة الالكترونية، والمتجر الشهير على مستوى العالم، عن أفضل 10 كتب لعام 2014 من ضمن 100 كتاب.
إليك قائمة بالكتب التي احتلت المراتب العشرة الأولى خلال هذا العام في Amazon، والتي تنوعت لتشمل روايات تاريخية و رحلات استكشافية و غيرها..



Everything I Never Told You كل ما لم أخبرك به

حصلت رواية «Everything I Never Told You كل ما لم أخبرك به»، على لقب أفضل كتاب لعام 2014م، متصدرة بذلك قائمة أفضل 100 كتاب لهذا العام في موقع أمازون الشهير، وهي الرواية الأولى لمؤلفتها Celeste Ng سيليستي نج.

وهي رواية معقدة عاطفيًا، تدور أحداثها عن اختفاء مراهقة تنشأ في أسرة مختلطة عرقيًا في الغرب الأوسط الأمريكي في السبعينيات، يكتشف فيما بعد غرقها في بحيرة قريبة من منزل عائلتها، لتصحبك الأحداث معها في أجواء التوتر بين الثقافات والأجيال والاغتراب، والإنجاز، والعرق، والجنس، والأسرة، والهوية.

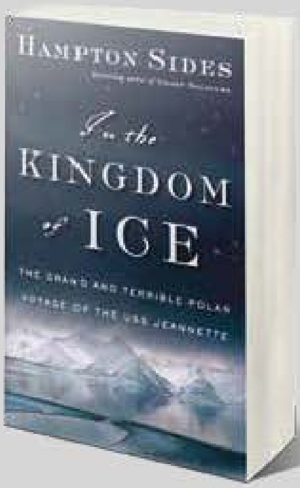


All the Light We Cannot See الأضواء التي لا يمكننا رؤيتها

واحتلت رواية All the Light We Cannot See الأضواء التي لا يمكننا رؤيتها، لمؤلفها Anthony Doerr أنتوني دوير المركز الثاني ضمن قائمة Amazon لعام 2014م.

وتدور أحداث الرواية خلال مدة الحرب العالمية الثانية، لتحكي قصة فتاة فرنسية عمياء تُدعى «ماري لوري»، تعيش في باريس مع والدها على مسافة قريبة من متحف التاريخ الطبيعي، وعند قيام الألمان باحتلال باريس، يقوما بالهرب إلى سان مالو على ساحل بريتاني.

وعلى الجانب الآخر في ألمانيا يعيش «ويرنر»، وهو يتيم ألماني، يكبر مع شقيقته الصغرى؛ ليتمتع بموهبة لبناء وإصلاح أجهزة الراديو، ولكنه ينتقل إلى ضواحي النائية من روسيا، وأخيرًا في سان مالو، حيث يتقاطع دربه مع «ماري»؛ لتتشابك بشكل حاذق حياة كلاهما.

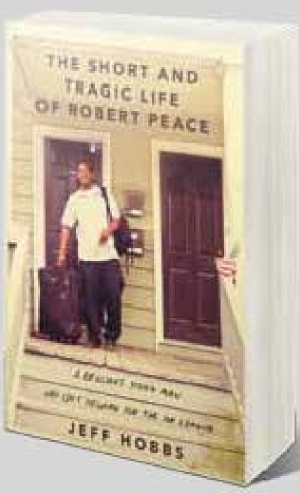


In the Kingdom of Ice في مملكة الجليد

وفي المركز الثالث جاءت رواية «In the Kingdom of Ice في مملكة الجليد»، للمؤلف Hampton Sides هامبتون سايدس، الذي يدور عن رحلة استكشاف قطبية، والبقاء على قيد الحياة في العصر الذهبي.

ففي أواخر القرن التاسع عشر، تحديدًا عام 1879م، قام أحد الأثرياء بتمويل بعثة رسمية تابعة للبحرية الأمريكية إلى القطب الشمالي.

فقد كان هاجس الجميع وقتها هو اكتشاف ما هو موجود خارج قلعة الجليد حواف المحيطات الشمالية؛ ولكن الأمور أخذت منعطفًا للأسوأ، عندما أصبحت السفينة مُحاصرة في الزاوية الأكثر برودة من العالم، ليتم اختراق هيكل وجسم السفينة، ووسط اندفاع المياه، والصرخات من كسر لوحات خشبية، كان على طاقم البحارة أن يكافحوا من أجل البقاء على قيد الحياة.

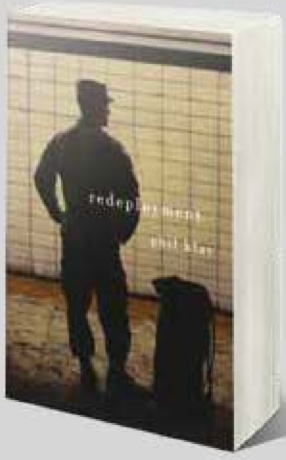


The Short and Tragic Life of Robert Peace الحياة القصيرة والمأساوية لروبرت بيس

فيما حصلت رواية «The Short and Tragic Life of Robert Peace الحياة القصيرة والمأساوية لروبرت بيس» لمؤلفها Jeff Hobbs جيف هوبز، على المركز الرابع.

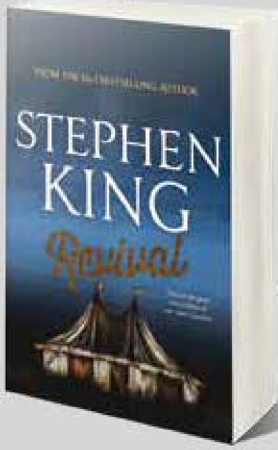
وهي رواية تدور أحداثها حول حياة «روبرت بيس»، وهو طالب من أصل إفريقي، يحصل على منحة دراسية، وعلى الرغم من أنه حقق الحلم الأمريكي، إلا أنه يشعر بالانتماء الفعلي.

Redeployment «إعادة الانتشار» لمؤلفها Phil Klay فيل كلاي



وفي المركز الخامس جاءت المجموعة القصصية «Redeployment إعادة الانتشار» لمؤلفها Phil Klay فيل كلاي، التي تتكون من اثنتي عشرة قصة قصيرة يأخذك فيها المؤلف إلى الخطوط الأمامية للحرب في العراق وأفغانستان، لترى تداعياتها عن قُرب، حيث يطلب منا الكاتب عبر صفحات المجموعة أن نفهم ما حدث هناك، وماذا حدث للجنود الذين تم إرجاعهم.

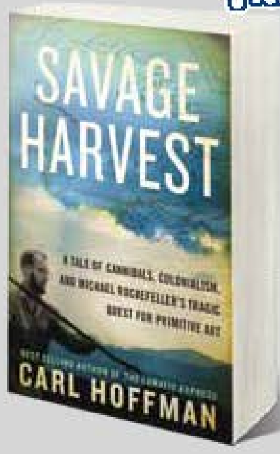
هذه القصص تكشف عن مزيج معقد من الرتابة والبيروقراطية والرفاقية والعنف، والخوف والعجز ومحاولات البقاء على قيد الحياة، التي تشكل الحياة اليومية لجندي في حالة حرب، ومشاعر العزلة، والندم، واليأس والشعور بالذنب، التي يمكن أن تصاحب الجندي بعد العودة للوطن، فالشخصيات في هذه القصص تكافح لجعل معنى للخروج من الفوضى.



Revival إحياء لمؤلفها Stephen King ستيفن كينغ

فيما تمركزت «رواية Revival إحياء لمؤلفها Stephen King ستيفن كينغ» في المركز السادس، وهي رواية غنية ومثيرة للقلق، تمتد أحداثها لخمسة عقود، حيث تدور حول رجلين الأول يُدعى «جيمي»، والثاني قس ويُدعى «تشارلز»، وكلاهما يؤرقه هاجس الماضي المأساوي، ويبحثان معًا عن الأجوبة.

Savage Harvest بدائيو الحصاد لمؤلفه Carl Hoffman كارل هوفمان



وفي المركز السابع جاء كتاب «Savage Harvest بدائيو الحصاد لمؤلفه Carl Hoffman كارل هوفمان»، عن أكلة لحوم البشر، و الاستعمار، والسعي المأساوي للبحث عن «مايكل روكفلر»، الابن الخامس لعمدة نيويورك وقتها «نيلسون روكفلر»، الذي أصبح فيما بعد نائبًا للرئيس، ووريث إحدى أكبر الثروات في العالم.

فالكتاب يحكى قصة حقيقية، وقعت أحداثها في «غينيا الجديدة» عام 1961م، حول لغز الاختفاء الغامض للشاب الأمريكي «مايكل روكفلر»، فلأكثر من 50 عامًا أثارت واقعة الاختفاء هذه اهتمام العالم وعشرات الباحثين والمختصين والمغامرين، فضلاً عن أسرته التي ظلت حبيسة التخمين لسنوات، في محاولات لكشف طلاسم اختفائه ليلة 17 نوفمبر 1961م بعد انقلاب القارب الذي كان يستقله بالقرب من شواطئ نهر (ايلاندن) في غينيا الجديدة، والتي كانت مستعمرة هولندية في ذلك.

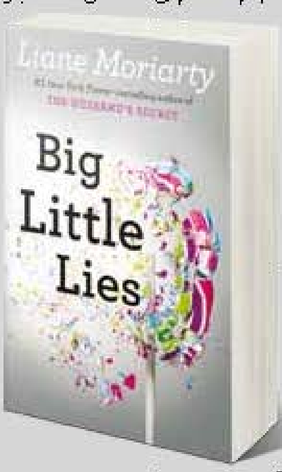
الآن، يعتقد المؤلف «كارل هوفمان» أنه قد حل أخيرًا الاختفاء، ويكشف أدلة جديدة مذهلة، ليحل لغز جريمة قتله على يد قبيلة محلية من المحاربين من أكلة لحوم البشر.. أنها قصة مذهلة بالفعل.



The Book of Unknown Americans كتاب عن الأمريكيين غير المعروفين، لمؤلفتها Cristina Henriquez كريستينا هنريكيز

واحتلت رواية «The Book of Unknown Americans كتاب عن الأمريكيين غير المعروفين، لمؤلفتها Cristina Henriquez كريستينا هنريكيز» المركز الثامن، لتحكي قصة حب مؤثرة بين فتى وفتاة من المراهقين المُهاجرين.

فبعد حادث مأساوي يصاب «ماريبيل» البالغ من العمر 15 عامًا في المخ، وتضطر عائلته للهجرة من بلدهم الحبيب المكسيك، والذهاب إلى أمريكا؛ بحثًا عن حياة أفضل، ليعيشوا في مبنى سكني مخصص للعائلات المهاجرة، ليحكي الكتاب قصة هذه العائلة بالإضافة إلى قصص المستأجرين الآخرين، وكلهم من أمريكا اللاتينية، ويشاركون أسرة «ماريبيل» مجمعًا سكنيًا في ولاية ديلاوير.



Big Little Lies الأكاذيب الصغيرة الكبيرة لمؤلفتها Liane Moriarty ليان موريارتي

وفي المركز التاسع جاءت رواية «Big Little Lies الأكاذيب الصغيرة الكبيرة لمؤلفتها Liane Moriarty ليان موريارتي»، التي تركز على ثلاثة أمهات من أستراليا، يدرس أطفالهن في نفس الفصل، وبحلول نهاية الكتاب، يموت أحد الأطفال الثلاثة.



Station Eleven المحطة الحادية عشر لمؤلفتها Emily John Mandel إيملي جون ماندل

وفي المركز العاشر جاءت رواية «Station Eleven المحطة الحادية عشرة لمؤلفتها Emily John Mandel إيملي جون ماندل»، التي توضح جانبي الخير والشر عند البشر في أثناء الأزمات، حيث تصور الرواية الحياة في جميع أنحاء أمريكا بعد انتشار فيروس رهيب فيها، لتغمر المياه الطرق السريعة مع السيارات، وقتل الناس وهم يكافحون من أجل البقاء على قيد الحياة.

متاهات ملتوية

شعر
فاطمة حاسي - المغرب

1

متطلعًا إلى ذيل خطايا
متلفتا إلى قعر ذاكرة
بها تعلق رواسب ماض عليل
أمام عينيه،
تمر صور لم يهزمها النسيان
ولحظة المواجهة
صفعة تأمل على خد ذكرى..

2

تشهر اللحظة انتصارها أمام الحقيقة
يترنح الشرود في دروب مظلمة
يتيه..
وعلى رأس متعب،
يقف متسمرا كتمثال نصب في ساحة الميدان
عقارب الوقت تتباطأ
لتنال من ذاكرته الثائرة..

3

متأبطًا ذراع شيطانه يمضي
مبللا بالهزائم
ملطخًا بلعنة الصور
في مخبإ الحرمان يزاول طقوس تمرده
تحرسه الجنيات،
وفي الليل تحصد نومه بمنجل..

4

صرخات صمته تشل أطراف راحته
يشمر عن استيائه ،
وتحت إبط الظلام يدس تعاويذ النوم
عبثا تتحرش الأنامل بالجفون
يجمع الليل أنفاسه
ينثرها..
يتفشى العذاب،
وعلى كتف الأرق يستلقي العتاب..

الختام



شعر

أحمد اللاوندي – مصر

مازالَ طيفُكَ يا حبيبُ يفوحُ ..

فارجعْ فإنّي قدْ تعبتُ، وأرهقتني في البعادِ جروحُ

كيفَ الخلاصُ مِنَ الهمومِ ولمْ تَعُدْ ..

تهوى الغناءَ بمهجتي، وتبوحُ ؟!

رُحْمَاكَ يا حُلمًا يُسافرُ في دمي، وأراهُ يمرحُ داخلي، ويلوحُ

هذا غنائي قَدْ تناثرَ بالمَدى،

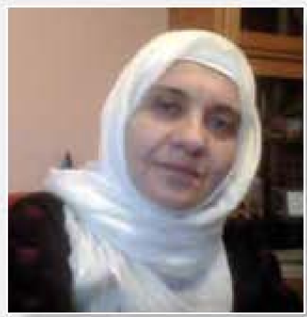
والأغنياتُ البكرُ شاختْ، والضُّلوعُ تنوحُ

يا أجملَ الألحانِ، يا عزفًا يُرفرفُ في سماءِ قصائدي ..

هيَّا اقتربْ منِّي قليلاً علّني ..

أنسى هزائمَ تحتويها الرُّوحُ .

التفكير وتأثيره على الجسم والمستقبل



بقلم: هالة الحافظ - كندا
مدربة تربوية ومساندة أسرية

يقوم الإنسان بالتفكير بشكل تلقائي يوميًا فهو عملية مستمرة يشعر بها الانسان بأن بتفكيره يحاول إيجاد حياة أفضل ومستقبل أوسع.. فالعقل البشري يتصرف ويبني معتقداته بتفكيره وليس بردود أفعاله. والذي يميز كل إنسان عن الآخر بجانب الشكل طريقة فكره. فلكل إنسان طابع يميزه عن غيره. ولهذا الطابع أثر سواء كان على الجسم والصحة النفسية أو العلاقات البشرية.

أوجدت الدراسات بأن كل إنسان له طابع ما يتبعه في تفكيره. فيصبح هذا الطابع أساسًا في تعامله وفي قراراته وفي اختياراته.

وحدد الباحثون بأن هناك طابعين للتفكير. ويختار الإنسان أحدهما بناء على البيئة المحيطة التي وضع بها في صغره وحسب تجاربه وما تعلمه ووجه إليه.

هذان الطابعان هما الطابع السلبي والطابع الإيجابي...

أوجدت الدراسات بأن لهذين الطابعين آثارًا على الانسان بشكل كبير وعلى مستقبله فأفكاره هي التي تصيغ المستقبل وترسم له مجراه فإذا كان الطابع إيجابيًا فإن الإنسان سيعيش في أفكاره مما يعني سيعيش في إيجابية واوجدت الدراسات قانون الجذب وهو باختصار شديد يتمثل بأن كل شئ يجذب مايشبهه وخاصة الشحنات السلبية والإيجابية تجذب الشحنات المماثلة لها في أي شيء كان. أي الإنسان الإيجابي سيجذب إليه الإيجابيات في الحياة ولما للتفكير أثر كبير في المشاعر وفي سلوك الجسم فسنرى هذا الفكر سيؤثر إيجابيًا على الجسم بكامله فسيكون متفائلاً لديه الرغبة في العمل والطموح والتأقلم. أما إن كان تفكيره سلبي فإن لهذا أثرًا كبيرًا على الجسم والقناعات. فتجد الإنسان الذي لديه طابع سلبي لفكره يجذب كل شيء سلبي لحياته. وهذا بناء على قانون الجذب بالإضافة إلى ذلك تجده متشائمًا متوترًا. مكتئبًا وقد أثبتت الدراسات بأن الأمراض العضوية والأعراض تنتشر بسرعة كبيرة عند هؤلاء الذين يفكرون بسلبية ويستسلمون ويملون بسرعة بينما الأشخاص الذين يفكرون بإيجابية فستولد لديهم قدرة على المقاومة والعيش. فما سبب هذا؟ إن الإنسان كلما تذكر أو فكر بشيء سلبي فإن جسده سيتفاعل بما يفكر به فإن العقل يأخذ هذا التفكير ويحوله إلى حقيقة يؤمن بها ويعطي إشارات كيميائية للجسم وهو إفراز الأدرينالين وهو مايفرزه الجسم عند تعرضه لضغوط نفسية لتعطي الجسم التأهب للاستعداد إما للهروب أو للصراع مما يجعل الجسم متوترًا بازدياد نبضات القلب وتوتر العضلات. ويجعل عقل الإنسان أن يركز على الأمر ويستمر بالتفكير به فتتحول هذه الفكرة السلبية إلى فكرة مستأصلة في الفكر وتصبح فكرة ملحة وتبدأ هذه الفكرة بالولادة لأفكار سلبية أخرى تعزز الفكرة الأصلية مما تسيطر على الفكر بكامله وتحتله فتجعل الإنسان مشغولاً باضطراباته وتوتره فتجد الإنسان الذي لديه فكر سلبي



متعبًا، مرهقًا، متوترًا، ظنونًا ولديه مايزيد من همه وتعبه دائمًا.. هذه الاشارات التي تظهر على الجسم يقودها الفكر فكلما كان الفكر متعبًا فالجسد سيكون كذلك وكلما كان الفكر مرتاحًا مستقرًا متفائلاً فإن الجسم سيكون كذلك.

فما علينا فعله؟ الفكر هو الذي يقود الجسم وأنت من تقود فكرك فإذا بدأت بالتفتيش والتركيز عن إيجابيات أي موقف تمر به وتعطي هذا التركيز حظه من الانتباه والتفكر به فإن هذا سيؤثر إيجابيًا على ردود أفعالك وسيجعل فكرك يبدأ يرى بعين التفاؤل والإيجابية وبالاستمرار بهذه العملية ستشعر بقانون الجذب وهو بأن الإيجابيات ستأتي بطريقك لا محالة. ولكن هل هذا سهل؟ وما لذي يقف في طريق الانسان السلبي لإتباعه؟؟

إن الفكر يتطور ويأخذ مجراه في السنوات الأولى من الحياة حتى الدخول في مرحلة الشباب وتجاربنا في الحياة لها أثر كبير في نوع الفكر الذي نحتويه وليس للأمور الوراثية شأن في نوع الفكر عند كل إنسان. فالإنسان يستقبل تصرفات من حوله والإشارات المعطاه له من البيئة والناس المحيطين بالتدريج حتى تصبح هي الأساس الرئيسي لفكره وتصرفاته. فإذا وضع الإنسان في بيئة تستقبل الأمور والحياة بنظرة إيجابية وتوجه الإنسان لمعرفة نفسه وذاته وقدراته ولمعرفة من حوله فإن الإنسان سيكتسب فكرًا إيجابيًا يرى نفسه ومن حوله بهذا الفكر مما يجعله ناجحًا بعلاقاته وقراراته وتعايشه، ومما يجعله مصرًا على التأقلم في اي مكان يوضع به.

أما أن وضع الإنسان في بيئة تستقبل الأمور والحياة بنظرة سلبية فإن الإنسان سيصبح فكره سلبيًا وقد يؤثر عليه في المستقبل تأثيرًا عميقًا في معرفة ذاته مما يجعله يكتئب ويقلل من قيمته وينهار في أبسط الأمور. هذه البيئة هي التي أساسها النقد والتنقيص من قدرات الأنسان، عدم احترامه وعدم الاكتراث بمشاعره والتحبيط من ثقته. هذه الرواسب هي أساس اي فكر يأخذ الطابع السلبي مما يؤثر على الإنسان في جميع مراحل حياته. في بعض الأحيان قد يستطيع الإنسان أن يرجع لهذه الرواسب وأن يتخلص منها وذلك من خلال العلم والتعلم والقراءة التي تؤدي إلى التحدث مع النفس واعادة برمجة الفكر. طبعًا هذا ليس شيئًا سهلاً وإنما يمكن الوصول له وفي بعض الأحيان لا يستطيع الإنسان التخلص مما تأثر به في صغر سنه من تأثره بالبيئة السلبية التي وضع بها وهنا ندعوه لرؤية متخصص بالعلاج المعرفي الذي سيساعده في تحليل الأمور واعادة تركيبها.

التفكير سيتحكم في تصرفاتنا وردود أفعالنا وتحليل الأمور وبذلك سيؤثر على تعاملاتنا مع الآخرين وسيؤثر على مستقبلنا وسيحدد مصيرنا.

فهل أنت ذو فكر إيجابي؟ أم سلبي؟

أجيال تحت الإنشاء

ريم الحاجي محمد

الأحساء

كثيرًا ما توجه أصابع الاتهام للأجيال الجديدة (التي مازالت واقعة تحت الإنشاء) بأنها أجيال فاشلة مستهترة متمردة، لا تحترم كبيرًا ولا معلمًا، ولا ترغب بالاستماع لنصح أحد وتفعل ما يحلو لها في حياة نراها من وجهة نظرنا بأنها حياة عشوائية.

لحظة يا سادة:

أنتم بهذا القول والفعل تسهمون في دفن الأجيال قبل أن تزهر أغصانها وتؤتي ثمارها، من المفترض علينا المساعدة في بناء الأجيال لذلك لنسأل أنفسنا ماذا قدمنا لهم قبل الاتهام واللوم واصدار الأحكام.

الحقيقة التي لمستها أن الجيل الجديد لديه رغبة قوية في الحديث وتبادل الأفكار مع من هم أكبر سنًّا (عكس ما كنا نظن) لكن المشكلة تكمن في نوع الحوار وكيفية إدارته.

ولو راجعنا بعض الحوارات التي تجري بين الأجيال لوجدناها مليئة بالنقد واللوم والتحطيم والتهميش.

أمثلة لذلك (أنتم أجيال فاشلة)

(أنتم أجيال كسولة) (أنتم أجيال لا تصلح لشيء)

.... إلخ

يحتاج إنشاء جيل سليم معافى من الأمراض النفسية والاجتماعية أن يكون حوارنا معه هادئًا إيجابيًا بعيدًا كل البعد عن النقد اللاذع والتهميش المتعمد، هم حقيقة بحاجة ماسة لمناقشة أفكارهم والسماح لهم بالتعبير عمًّا يجول في أذهانهم بكل أريحية حتى وإن كان الموضوع محل المناقشة خطأ يمكن تصويبه بأسلوب يخرج منه صاحبه بفائدة دون أن يشعر بالندم على البوح بأفكاره.

إن الأجيال الجديدة بمثابة الورود تحتاج إلى رعاية خاصة حتى تستطيع الحفاظ على جمالها وتؤتي ثمارها، أما أن نقضي أوقاتنا في النقد فقط دون أن نؤدي واجباتنا تجاه الأجيال فهو أمر خاطئ.



الإبداع العابر للتخصص



محمد شلبي - مصر

إن كسر دائرة التخصص الدقيق، والإطلالة على تخصصات مغايرة، وممارسة لعبة التوليف والاستعارة بين فروع المعرفة المختلفة، هو مدخل جديد للحصول على مفاهيم جديدة وحلول ابتكارية لمشاكلنا.

نعم، وبالعربي، ماذا يمكن أن تتعلم إدارة الأعمال من الفن؟ وماذا يمكن أن تأخذ إدارة الأعمال من العلوم العسكرية؟ وماذا يمكن أن يعطى الطب للتعليم؟ وبالعكس!

تطبيقات الإبداع العابر للتخصص

يقوم التفكير العابر للتخصص على فكرة أو نظرية العلاقات القائمة بين جميع فروع المعرفة، وعلاقة كل فرع بآخر، إن كل شيء يتفاعل مع كل شيء بدون حصر للتفكير داخل فرع أو إطار واحد. هنا يوفر لنا مصفوفة واسعة من المبادئ، والخبرات، والأطر المتعددة للتفكير، ومعالجة المشكلات المعقدة.

فرص الابتكار التي يوفرها التفكير العابر للتخصص:

[1] استعارة طريقة ما أو حل من تخصص آخر.

[2] استعارة مفهوم أو نموذج عمل من تخصص إلى تخصص مغاير.

• تطبيق من حرب اكتوبر

المقدم باقي زكي يوسف مهندس مصري استعار فكرة مدافع المياه لاختراق الساتر الترابي من الزراعة! من ملاحظته لأهل بلدته وهم يستخدمون خراطيم المياه لدفع الرمال، ومقاومة التصحر، وحماية مزروعاتهم.

• تطبيق من قطاع الأعمال

"كيف تسوق منافسيك للجنون؟!" عنوان كتاب لجاي كاواساكي، الكتاب تطبيق في قطاع الأعمال لمفاهيم واستراتيجيات "فن الحرب" للقائد العسكري الصيني صن تزو.

استعار جاي كاواساكي إستراتيجية تنافسية من صن تزو، وصاغها بطريقة عسكرية على النحو التالي:

«لا تحارب صغار المنافسين، بل انتق أعداءك من الصفوة»

كما اختارت شركة (أبل) أن تنافس شركة (أي بي إم) وقتما كانت ما تزال تحبو على عتبة صناعة الكمبيوتر، وكانت مخصصات التسويق بأبل لا تتعدى ما تنفقه أي بي إم على شراء الدبابيس.

حاول حل التمرين التالي:

كيف تناور إذا كنت منافسًا لواحدة من الشركات العالمية التالية:

- أديداس؟
- ميكروسوفت؟
- كنتاكي؟
- هوندا؟
- بروكتر وجامبل؟

واعلم أن لكل ميدان المناورة الحربية التي تناسبه، وصنف كاواساكى مناورات الحرب كما يلي:

1 - مناورة السعر / الجودة

2 - مناورة الابتكار الموقوت

3 - مناورة قنوات التسويق والتوزيع

4 - التحالف مع جيوب المقاومة!

كما وصف أربعة أنواع من الشركات:

1 - البقرات السمان

2 - قادة الأسواق

3 - الشركات الصاعدة

4 - الفدائيون

• تجربتي

عملت استشاريًا لتسريع نمو الشركات الناشئة لشباب الأعمال. إحدى الشركات طورت منتجًا تعليميًا لسد النقص في تدريس العلوم والرياضيات بمدارسنا. المنتج فريد ويحتاج إلى اسم تجاري فريد أيضًا. فاستعرت لهم فكرة المكمل الغذائي من الصيدلة لتسويق المنتج التعليمي تحت مفهوم مكمل (دراسي) أساسي للدروس التي تقدم بالمدارس الثانوية.

التفكير العابر للتخصص كمدخل لحل المشكلات

كيف تفعلها؟

الخطوة الأولى: تعرّف جيدًا على مشكلتك.

الخطوة الثانية: ابحث عن نفس المشكلة أو ظاهرة مشابهة لها في تخصص آخر أو مجال مغاير.

كما فعلت شركة طيران في البحث عن حلول لاختزال أوقات الترانزيت والإمداد بالوقود من سباقات بطولة العالم للفورمولا1، ومن تحليل أداء الفرق والسائقين للتجهيز السريع للسيارة للحاق بمراحل السباق.

اكسر دائرة التخصص الدقيق، ومارس لعبة التوليف بين فروع المعرفة المختلفة.



التصحر العاطفي وأسبابه

معنى كلمة تصحر، هي الجدب وخلو المكان من الحياة والمشاعر، كالصحراء التي تخلو منها الحياة. التصحر العاطفي أو الجوع ليس فقط بين الأزواج، بل بين كل المحيطين لنا، سواء أبناء، أصدقاء، جيران.

التصحر أو الجوع العاطفي الذي يحدث بين الأزواج يكون لنفس شخصية الزوج مثلاً نمطه A ونفس نمط زوجته A يكون التنافر أكبر، كلما قل التصحر يكون التفاهم أعمق وأشمل، ويكون الود والرحمة بينهما أجمل. فدخول الأب وخروجه من وإلى البيت دون سؤال عن الأبناء وأمهم دون ابتسامات وتبادل ضحكات يولد الجفاف العاطفي، الجفاف دومًا ينعكس على حياتنا وفي تعاملاتنا سلبية أكثر، بينما نحن نريد ونركز دومًا على الإيجابية في كل أمورنا.

انعدام التعامل الإنساني ووجود علاقات بدون تفاعل من الأب وحتى الآخرين، يدعو للسلبية، هناك من لا يستطيع أن يعبر عن مشاعره، رغم أن الإنسان كتلة مشاعر خلقه الله بها تسكنه، إن فقدها مع الأسف يكون لديه عدم توازن واستقرار في حياته، التصحر والجفاف والجوع العاطفي يولد الكبت، القلق، التوتر، الاكتئاب لاحقًا، وهذا نتاج لجفاف العاطفة، أغمر أبناءك وذويك لعاطفتك الجياشة حتى لا يبحث عنها من مصدر آخر هنا يكون القلق والخلل، ابنك، ابنتك، زوجتك، زوجك، كل أسرتك صغيرها وكبيرها بحاجة للعاطفة، حتى الوالدين ما أحوجهم لذلك، تبادل الأحضان والقبلات والضحكات يولد مشاعر وعاطفة لا مثيل لها، الكلمة الطيبة صدقة أو كما قال صلى الله عليه وسلم، لا تجعل أسرتك تفقد هذا الهرمون المتدفق حيوية وسعادة، هذا الهرمون منشط للحياة الزوجية والأسرية والاجتماعية، لابد من جرعات وافية بين الفينة والأخرى لتتوازن حياتنا وتستقيم، نجد بعض الفتيات فقدن السعادة الأسرية والإحساس بها بسبب الجدب الحاصل لديها، لا تتركهم يبحثون عنه خارجًا وأنت المنبع المأمون، كيف تربي الفتاة أولادها وهي فاقدة له، الكثير يدعي الحب ويدعي المشاعر ولكن في النهاية ينطبق عليه أنا لا أكذب ولكني أتجمل، تحطيم المشاعر تلو المشاعر يجعل الحب في عداد الأموات ونترحم عليه لاحقًا، ونضرب أخماس في أسداس، الحب والمودة والرحمة هي جذور لشجرة تنميها الأسرة، عندما نفقد جذر تلو الآخر فإنها ستصبح عقيم لا جدوى منها البتة، ولن تنجب مرة أخرى، ها نحن نفسد كل شيء بسبب المشاغل والتعالي والكبرياء حتى لمشاعرنا، كيف نسد هذا الجوع العاطفي؟! حين تغيب كلمات الشكر وأخواتها مثل: من فضلك، لو سمحت مع ابتسامة حقيقية ساعة طلب ما، علينا أن نعالج هذا الجوع بكلمات طيبة ساحرة تخرج الثعبان من جحره، ومن بياته الشتوي، إلى ربيع زاهر عطر، لكل شخصية مفاتيح وهي الوعي بأهميته في منح العاطفة والحب، الحب الغير مشروط، فحب الأب نحو أولاده يدفع الطفل لمنحه للآخرين، العدل في منح الحب، مشاركة الأولاد أفراحهم وأحزانهم واحتضانه والمس على الاكتاف والشعر يولد مشاعر إيجابية، الضحك واللعب معهم التوصل لما يريدون، هنا نؤسس عقلية منفتحة بمهارات لائقة غير مفتقدة، نحن نتعامل مع العمر الروحي وليس مع الزمني، إذًا أنا أحتاج للعاطفة ولو بلغت التسعين من العمر، طالما هناك أنفاس نابضة، تعامل معي كطفلة، وأعاملك كطفل وكأن الصغير المدلل لدي، جرب أن تقول لي كلمات ناعمة ترضيني ولو كانت كذبًا عندها ستعتاد وأعتاد أنا، ليكن لدينا طاقة نفجرها عن الحب داخل المكان وخارجه.



د سحر رجب

جدة

مستشار نفسي وأسري

مدرب ومستشار معتمد دولي لإزالة المشاعر السلبية

أديبة وكاتبة وإعلامية

حماية البيئة والتعليم 1-3

حماية البيئة مطلب شرعي في الإسلام



عبد الله بن محمد اليوسف

الرياض

مدخل

- لقد عالج الإسلام كل قضايا البيئة ، بنظرة شمولية متكاملة، دون الدخول في التفاصيل الدقيقة، وصدق الله العظيم، إذا يقول في كتابة الكريم ﴿مَّا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِن شَيْءٍ ۚ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ ﴿٣٨﴾﴾ (سورة الأنعام، آية: 38).

- وقوله سبحانه وتعالى في سورة أخرى ﴿ثُمَّ جَعَلْنَاكَ عَلَىٰ شَرِيعَةٍ مِّنَ الْأَمْرِ فَاتَّبِعْهَا﴾ (سورة الجاثية، آية:18).

كذلك عالجت السنة النبوية متمثلةً في أحاديث الرسول ﷺ، ما جاء، مجملاً في القرآن الكريم، وصدق الله العظيم، إذا يقول: ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ ﴿٣﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ ﴿٤﴾﴾ (سورة النجم، الآيتان : 3 و4).

- ومن المسلم به أن الإنسان لو التزم بتوجيهات الإسلام، ونفذ أوامره واجتنب نواهيه، لتخلص من كل أسباب المشكلات البيئية، ولا نتفت من الوجود ذلك، أن الله سبحانه وتعالى خالق النفس البشرية ، وهو يعلم ما يصلح أمرها، وكذلك ما يضرُّ بها، ويوردها المهالك، وصدق الله العظيم ، إذ يقول في كتابة الكريم: ﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ ﴿١٤﴾﴾ (سورة الملك، آية :14).

جوانب المنظور الإسلامي:

اهتم الدين الإسلامي بالبيئة ومكوناتها ، وبل ألزمت شريعته بحمايتها والمحافظة عليها وتنميتها بما يحقق عمارتها.

وبصورة عامة، فإنه وفقًا لأحكام الشريعة الإسلامية، تعد حماية البيئة ومواردها والمحافظة عليها وتنميتها واجب ديني شخصي، يجب أن يلتزم به كل فرد مسلم، بموجب مسؤليته الفردية عن رعاية نفسه ومجتمعه تجاه ربه.

- ولعل أهم جوانب المنظور الإسلامي للبيئة وحمايتها الأتي:

1 - التوازن البيئي:

خلق الله سبحانه وتعالى البيئة بدقة بالغة ومتوازنة، أحكم صنعها وقدرها حق التقدير، يقول الله تعالى في كتابه: ﴿صُنْعَ اللَّهِ الَّذِي أَتْقَنَ كُلَّ شَيْءٍ﴾، ﴿وَالْأَرْضَ مَدَدْنَاهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ شَيْءٍ مَّوْزُونٍ ﴿١٩﴾﴾، ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ ﴿٤٩﴾﴾ ﴿وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَّرَهُ تَقْدِيرًا ﴿٢﴾﴾

فقد خلق الله البيئة وفيها كل شيء مقدر بمقدار معلوم بحسب علمه سبحانه تعالى، فكل مكون أو عنصر من عناصر البيئة يحتفظ بخصائص ونسب معينة من حيث الكمية والنوعية ليؤدي دور محدد ، ثم تتكامل هذه المكونات والعناصر كلها وتعمل بتوافق وانسجام وبشكل متوازن مع بعضها البعض، بما يكفل لها تأدية أدوارها المفيدة والمرسوم لها من قبل الخالق القدير.

وتظل هذه العناصر والمكونات متوازنة تؤدي الأدوار المطلوبة منها ، طالما ظلت تعمل كما خلقت، ولكن إذا ما تدخل الإنسان في البيئة سواء متعمدًا أو جاهلاً وأحدث في خصائصها تغييرات كبيرة سلبية، فإن توازنها يختل وتنقلب عناصرها من عناصر مفيدة إلى عناصر ضارة، وتصبح معها الحياة مهددة بمخاطر شتى.

ولعل ما نعرفه اليوم من مشكلات بيئية خطيرة خير شاهد على ذلك، ولذلك يقول الله تعالى: ﴿وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا ۚ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٨٥﴾﴾ ، ويقول: ﴿ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ لِيُذِيقَهُم بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٤١﴾﴾

2 - الخلافة وعمارة الأرض:

كرم سبحانه وتعالى الإنسان وفضله على غيره من المخلوقات، إذ يقول تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا ﴿٧٠﴾﴾ الإسراء : 70

فقد جعل الله سبحانه وتعالى الإنسان خليفته في الأرض، يقول الله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً ۖ قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ ۖ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾﴾ البقرة: 30 . وقال رسول الله ﷺ:(إن الدنيا حلوة خضرة وإن الله مستخلفكم فيها فينظر كيف تعملون).

وتعني الاستخلاف إن الإنسان مخول لإدارة ما سخره الله من مخلوقات وليس تملكها فهو مدبر وليس مالكًا.



ومنتفع وليس متصرفًا أو مسيطرًا، حيث تقرر الشريعة الإسلامية إن الله تعالى هو وحده مالك الأرض وما فيها.

وأيضًا كلف سبحانه وتعالى الإنسان بعمارة الأرض فقد قال تعالى: ﴿هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ الْأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا فَاسْتَغْفِرُوهُ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّي قَرِيبٌ مُّجِيبٌ (٦١)﴾ هود: 61

ومعنى استعمركم فيها طلب منكم أن تعمروها، وعمارة الأرض إنما تتم بالزراعة والبناء والإحياء والإصلاح والبعد عن كل فساد.

وهناك عدة أحاديث نبوية تدعو إلى عمارة الأرض، ومن أمثلتها، قوله ﷺ: (من أحيا أرضا ميتة فهي له)، وقوله: (ما من مسلم يغرس غرسًا أو يزرع زرعًا، فيأكل منه طير، أو إنسان، أو بهيمة، إلا كان له به صدقة)، وكما قال رسول الله ﷺ: (من كانت له أرض فليزرعها فإن لم يزرعها فليزرعها أخاه). وقال: (إن قامت الساعة وفي يد أحدكم فسيلة، فإن استطاع ألا يقوم حتى يغرسها فليغرسها).

وهكذا نجد أن الإنسان مستخلف من الله في الأرض، فهو لا يملك شيئًا، وإنما المالك هو الله، ومن ثم ليس له حق التصرف المطلق فيها، بل عليه أن يتصرف وفقًا لمقاصد الخالق.

وبما أنه منتفع فقط فلا يجوز له إهدار وتدمير أصل الذي ينتفع به.

بمعنى آخر، إن استخلاف الله الإنسان في عمارة الأرض، تعني ان الإنسان أمين أو وصي يتولى إدارة الأرض، من ثم يجب عليه أن يتصرف تصرف الأمين في حدود أمانته، فلا يعقل أن يقوم بدلاً من ذلك بإتلافها وإفسادها، وإنما إعمار الأرض لا تأتي إلا باستغلال مواردها استغلالاً لا يخل باستدامتها.

3 - حق الإنسان في البيئة:

بما إن الإنسان هو خليفة الله في الأرض، ليقيم فيها شرعه ويعمل على إعمارها وإصلاحها، فقد كرم الله تعالى الإنسان وسخر البيئة بكل مكوناتها لخدمته وجعلها مذللة له ليتمكن من تحقيق هذا الاستخلاف.

- والآيات الدالة على ذلك عديدة منها قوله تعالى:
﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُم مَّا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا﴾ البقرة: 29 . ﴿أَلَمْ تَرَوْا أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُ ظَاهِرَةً وَبَاطِنَةً﴾ لقمان:20، وقوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ ذَلُولًا فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِن رِّزْقِهِ وَإِلَيْهِ النُّشُورُ (١٥)﴾ الملك: 15، وقوله تعالى: ﴿الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ مَهْدًا وَسَلَكَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا وَأَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِّن نَّبَاتٍ شَتَّىٰ (٥٣)﴾ طه:53

فمن تلك الآيات الكريمات ندرك أن الله تعالى قد بسط وهيأ موارد الكون لمنفعة الإنسان فلا يستعصى أي شيء منها عليه، إذا تيسرت سبله، ورُوعيت سنن الله فيه، وهذا يعني أن للإنسان (حقًا) على تلك الموارد، وهو حق بالمعنى الواسع للفظ، يشمل سلطة البحث العلمي عن خواصها وأسرارها، وسلطة الانتفاع بأعيانها المادية في بناء الحياة، وفيما ينفع الخلق وعمارة الكون.

4 - حق البيئة على الإنسان:

- في مقابل ما سخره الله تعالى للإنسان من نعم البيئة وإعطاءه الحق في الانتفاع بها.

- فإن على الإنسان واجب في الحفاظ على هذه النعم وعدم إفسادها والإسراف في استخدامها، إذ يقول الله تعالى: ﴿وَأَحْسِن كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ وَلَا تَبْغِ الْفَسَادَ فِي الْأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ (٧٧)﴾ القصص:77.

- ولذلك فإن استخلاف الله سبحانه وتعالى الإنسان في عمارة الأرض، أمر يتطلب أن يحافظ عليها ويعمل على تنميتها.

والشريعة الإسلامية غنية بالنصوص والأحكام التي تلزم بحماية البيئة بمكوناتها، وسوف نوضحها في العدد القادم إن شاء الله.

بلد الأنبياء



أحمد صالح الصمعاني
aalsmany@hotmail.com
@alsmany

القدس هي أكبر مدينة في فلسطين من حيث المساحة وعدد السكان وأكثرها أهمية دينيًا واقتصاديًا. تُعرف بأسماء عديدة في اللغة العربية مثل: بيت المقدس والقدس الشريف وأولى القبلتين، وتعد هي عاصمة فلسطين المستقبلية، كما ورد في وثيقة إعلان الاستقلال الفلسطينية التي تمت في الجزائر بتاريخ 15 تشرين الثاني/نوفمبر سنة 1988، وتعدها إسرائيل عاصمتها الموحدة، إثر ضمها الجزء الشرقي من المدينة عام 1980 الذي احتلته بعد حرب سنة 1967، ويعدها اليهود عاصمتهم الدينية والوطنية لأكثر من 3000 سنة.

أما بالعهد العثماني

حاصرت الجيوش العثمانيين فلسطين بقيادة السلطان سليم الأول بعد معركة مرج دابق في سنة 1517، وأصبحت القدس مدينة تابعة للدولة العثمانية طيلة 400 سنة حتى سقوطها بيد قوّات الحلفاء في الحرب العالمية الأولى سنة 1917 وعاشت القدس بعهد من الازدهار خلال عهد السلطان سليمان الأول (القانوني) حيث أعاد الأخير بناء أسوار المدينة وقبة الصخرة استمرت القدس خلال معظم العهد العثماني مجرّد مدينة عادية ولم يعلوا شأنها التجاري أو الثقافي بشكل يُذكر، لكنها استمرت من ضمن المدن العثمانية المهمة نظرًا لمكانتها الدينية خلال القرن التاسع عشر بعد أن أنشأت السلطات العثمانية عدد من المرافق الحديثة لتسهيل حياة الناس، فافتتح مركز للبريد وأنشأت خطوط سير نظامية مخصصة لمركبات الجياد العمومية، ومعروف أن القدس هي ثالث الأماكن المقدسة بعد مكة المكرمة والمدينة المنورة، وكانت تمثل القبلة للصلاة، قبل أن تتحول القبلة إلى الكعبة المشرفة، وتعد القدس مدينة ذات أهميّة بالإسلام بعد أن أسرى جبريل بالرسول ﷺ حيث عرج من بيت المقدس إلى السموات العلى حيث قابل جميع الأنبياء والرسل الذين سبقوه وتلقى من الله تعاليم الصلاة قال تعالى: ﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾؛ وقد أجمع المفسرون على أن المقصود بالمسجد الأقصى مدينة القدس ذاتها، وسُميت الأقصى لبعد المسافة بينها وبين المسجد الحرام، إذ لم يكن حين إذن فيها المسجد الأقصى الحالي. يقع اليوم معلمين إسلاميين في الموقع الذي عرج منه الرسول ﷺ إلى السماء، وهما قبة الصخرة التي تحوي الصخرة المقدسة والمسجد الأقصى الذي بُني خلال العهد الأموي.

فان غوخ يحلم بغدٍ أفضل



فان غوخ



عبدالإله بوبشير

فنان تشكيلي، باحث وكاتب – الجزائر

(سطح مقهى في المساء) هو عنوان لوحة من بين لوحات الفنان الهولندي (فان غوخ). رُسمت بألوان زيتية على قماش بين 9 و 16 سبتمبر/أيلول 1888 ذات أمسية صيفية هادئة بمدينة آرل الفرنسية.

المقهى الذي مازال موجودًا ليومنا هذا. كان يحمل اسم (لا تيراس). تم تغيير اسمه في وقت لاحق إلى مقهى (فان غوخ). فرسم هذه اللوحة ليلاً ومباشرة من زاوية رؤية جانبية. ليسمح له بأن يرى عمق المشهد بصورة جيدة ويكون قادر على إدراج الكثير من التفاصيل لإثراء لوحته. أرضية الشارع الحجرية تعكس العديد من اللمسات الزرقاء، الصفراء، الوردية والبنفسجية. السماء صافية هي ليلة نجوم فوق نهر الرون.

التباين بين الأصفر والبرتقالي على الجدران مصدره مصباح الإضاءة وأزرق السماء والواجهات هو تباين بين اللون الأساسي والمكمل. خاصة وإن فان غوخ يحب المبالغة في اللون. هذا يضفي نوع من السريالية والعبث تقريبًا على اللوحة.

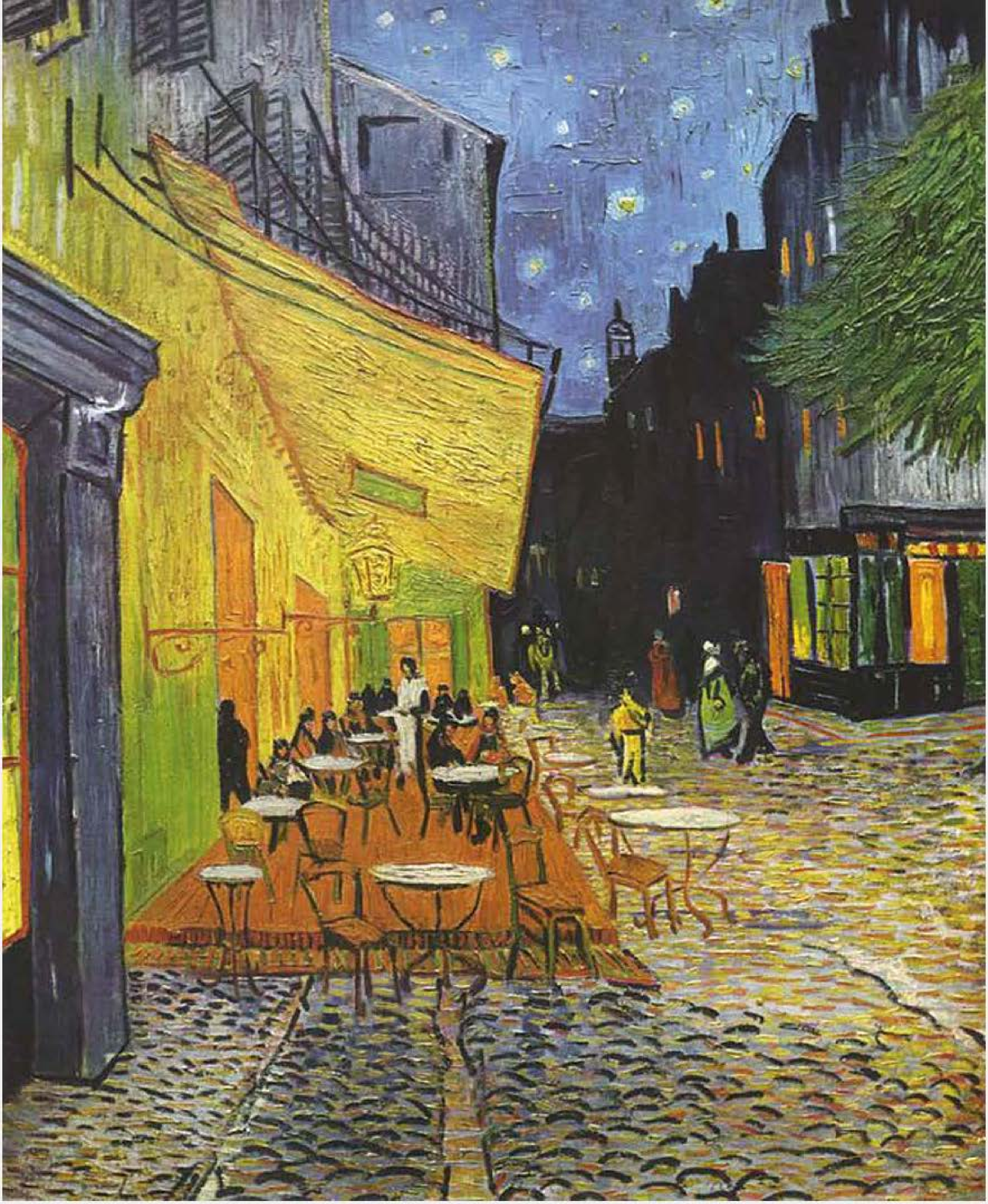
إذ يقودنا هذا لعمق المشهد تسوده ظلمة يأتي مباشرة خلف الشخصيات المرسومة. خط الأفق هو منخفض نسبيًا. أما السماء فتحتل جزءًا كبيرًا من المساحة التصويرية.

المقهى في اليسار نجد الأصفر في الغالب يطغى عليه السماء ومجموعة من المارة يقفان على اليمين. حيث اللون السائد هو الأزرق. هناك تناقض بين الألوان أو ما يعرف بتضاد المساحات. فنرى انقسام اللوحة إلى عدة مناطق لونية التي تتعارض بعنف و بتباين قوي. هذا يعطي الانطباع بأن الفنان يسعى لتمثيل عالم موجود في بعد آخر أو بعبارة أخرى ما وراء الواقع . إنه فان غوخ سيد التناقض.

أرضية ذات حجر منحوت مجرد لمسات متعددة من الألوان. إنها تعكس الضوء القادم من المقهى والسماء الزرقاء ذلك وكذلك تمشي بين الحزن والنشوة، الولادة والموت. داخل لغز محير غير واضح لنا هذه الأحجار المحاطة بالأسود تقنية سوف تستعمل لاحقًا في الفن التجريدي فتجدها في لوحة من لوحات بول كيلي. ولإضفاء حركة على العمل رسمت شخصيات بطريقة غير دقيقة فلقد اعتدنا رؤيتها في أعماله.

في الخلفية كانت النجوم عبارة عن نقاط ذهبية على سماء صافية، كما لو كانت من زهور. هذا الأسلوب في تبسيط رسم النجوم ساعد على إضفاء هيبة ومثالية للسماء، وكأنه يتضرع لخالقه. كل ذلك تحت سطوة ضوء يأتي أساسًا من مصباح الغاز في المقهى هو ليس مجرد ضوء عادي يستنير به الجالسون هناك بل نور يبحث عنه فان غوخ لدرب حياته المسود. إنها حياة خليط بين المرض والحزن والعوز أحيانًا وسعيد بأموال أخيه ثيودور التي يرسلها له أحيانًا ... أما الآن فبقيت له الألوان ليشعر بها كما لم يشعر بها من قبل فلقد كانت تضاد بين الألوان الأساسية و المكملة. تضاد حياته التي يعيشها.

المشهد في حقيقته هادئ وعادي من الحياة اليومية. ولكن في نفس الوقت هو أيضًا متغير إلى حد بعيد. هنا كما لو أن فان غوخ وصل إلى مستوى من الإدراك غير معروف. يتم تفسيره على أن الفنان بلغ ذروة النشوة العاطفية والإحساس بالمكان. حيث قال في أحد الأيام: «الوقت الوحيد الذي أحس فيه أنني حي هو عندما أرسم».



نزهة في الليل وأحمل معك الشوفالييه والألوان أو آلة التصوير وأذهب هناك لن ترى أبدًا مقهى في الطريق بهذه الألوان. إذن من أين أتت هذه الألوان؟ وهل تمثل فعلاً الفنان؟ تقودنا هذه التساؤلات إلى البحث في حياة رسام هرب من الواقع المزري الذي كان يعيشه وحالته النفسية الصعبة لقد ترجمها إلى انفعالات لونية وحركات تجعله «حيًّا» كما قال.

في النهاية فان غوخ لم يقدم لنا مقهى، أراد أن يظهر لنا، دهشة رائعة، أمل بداخله لصباح أفضل بعد هذا الليل. أنت حي في قلوب الملايين لقد رحلت فقيرًا نحيلاً مرميًا في مستشفى المجانين محتاجًا لرغيف من الخبز، ولكن تركت ورائك فنًّا لا يقدر اليوم بثمن، إنها فعلاً لمسة إنسانية نبعت من داخل قاسى الكثير، هي اليوم تُدَرس في المعاهد والجامعات.

قراءة فنية لفيلم (قلم المرايا)

نص خالد اليحيا وإخراج بدر الحمود

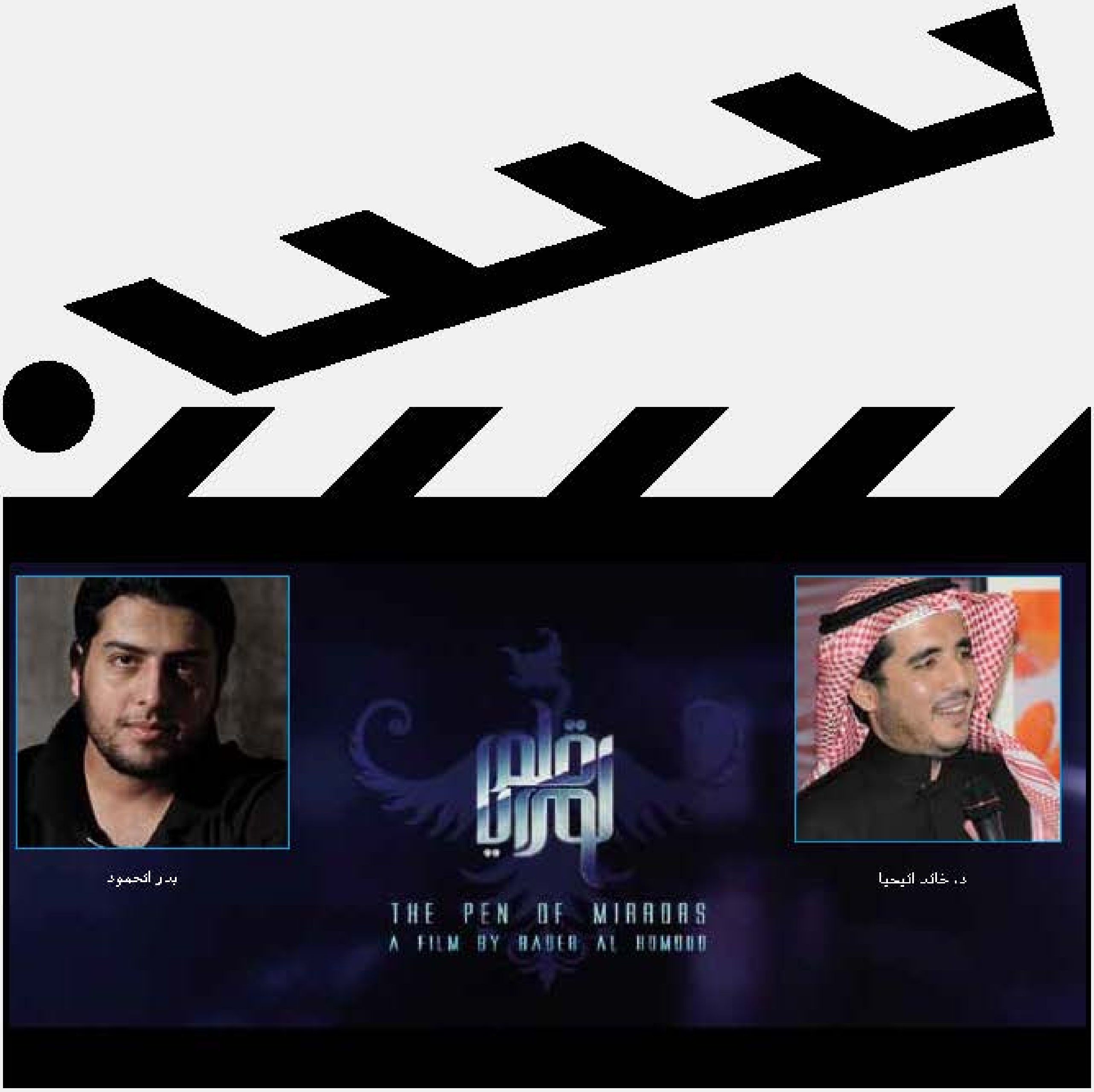


عوني صادق - مصر

قراءة فنية لفيلم (قلم المرايا) نص د. خالد اليحيا وإخراج بدر الحمود، وأنا أشاهد الفيلم ترددت في ذهني الآية الكريمة: ﴿ نَطْوِي ٱلسَّمَآءَ كَطَيِّ ٱلسِّجِلِّ لِلْكُتُبِۚ كَمَا بَدَأْنَآ أَوَّلَ خَلْقٍ نُّعِيدُهُۥۚ وَعْدًا عَلَيْنَآۚ إِنَّا كُنَّا فَٰعِلِينَ ﴿١٠٤﴾ ﴾ سورة الأنبياء آية 104)
منذ البداية يضع الفيلم منطقية على أساس مسلمتين (علميتين) يبنى عليهما التسلسل المنطقي للأحداث، المسلمة الأولى ليست كل الأكاذيب (العلمية) حقيقة، نعم .. توجد بعض الأكاذيب (العلمية) حقيقة، فقد قدم جاليليو حياته من أجل إصراره على ما اعتبر في عصره كذبة وصلت حد الهرطقة وهي حقيقة دوران الأرض حول الشمس .. المسلمة الثانية (ليست كل الحقائق حدثت بالفعل) فهناك الكثير من الحقائق في طور التشكل في رحم الغيب ......

بداية لقد خلقنا الله بقدرات مهما بلغت من تطلع وطموح للوصول إلى الحقيقة بكل جوانبها، ستظل إنجازاته محدودة مهما بلغت من آفاق، وعبر رحلته الفكرية لامس قدرًا يسيرًا من بعض الحقائق التي مع مرور الأيام فقدت جدواها بعدما استنفذت غايتها ..

فيلم (قلم المرايا) ينطلق بنا نحو المستقبل، وهل من الممكن أن يحدث ذلك ؟! من الناحية العلمية .. نعم، فقيمة الزمن وزيادة الأبعاد المكانية تطرح سؤالاً يكسر فكرة الزمن ذاتها التي توافقت مع الساعة البيولوجية في داخل كل الكائنات الحية، وصنعت إحساسنا به، والسؤال هو (هل تؤدى زيادة الأبعاد الزمكانية إلى فتح المداخل المؤدية إلى الماضي، وأيضًا إلى المستقبل؟!) علميًا نعم من الممكن أن يحدث ذلك، فالعالم الذي نعيش فيه والذي يتكون من أكثر من أربعة أبعاد زمكانية، وبدون الغوص في نظرية الوتر التي تحدد أن وحدات البناء الأساسية للكون ليست جسيمات على شكل نقاط، ولكن أوتار متذبذبة متناهية الكتلة/الطاقة، ويؤكد علماء نظرية الوتر أن الأبعاد الفضائية الكبيرة، إما إن تكون دقيقة بدرجة مذهلة بحيث لا تزال غير ملحوظة حتى الآن أو كبيرة ولكن ملتوية بدرجة لم نصل بعد إلى تكوين نظرية عنها، فالفضاء متعدد الأبعاد، مما يفترض إننا نعيش في مستقبل فضاءات أخرى والرسالة التي أرسلتها سفينة الفضاء الأمريكية إلى العالم من الصعوبة بمكان وصولها إلى كائنات فضائية تفترض تصوراتنا حتى الآن أنها لن تلحق بنا، أو نلحق بها نحن، فهي تعيش في زمن مختلف قد يكون ماضيًا بالنسبة لنا أو يسبقنا بملايين السنين، فالفضاء الذي نعيش مجرد ذرة فيه متعدد الأبعاد بدرجة تتجاوز قدرتنا حتى اللحظة بملايين السنوات الضوئية على احتواء قدر يسير من إمكاناته، يقول بابس هابنريتش من جامعة هاواي: «إذا كان الأمر كذلك فمن



اليسير وجود طرق مختصرة عبر الفضاء متعدد الأبعاد، وهذه الطرق المختصرة هي ما تجعل السفر عبر الزمن ممكناً. (إلى الأمام وإلى الخلف) فالكون المفترض أنه جزيرة ذات أربعة أبعاد، ويطلق عليه البران يتجول في الفضاء من عشرة أبعاد، هذا الكون ينحني نحو الخلف على نفسه في بعد أضافي ضخم ..... يأتي فيلم (قلم المرايا) ليؤكد فكرة السفر عبر الزمن، بهدف البحث عن قيمة الماضي والإمساك بإنجازاته الإبداعية والحضارية، وعلى رأسها القلم والكتاب، وعبر دوائر سحرية يربط الواقع بالخيال في دوائر سحرية تغمرها تفاصيل من علم البروج والتنجيم والفلك، ويغوص بنا في المستقبل بعد 40 سنة من طباعة آخر كتاب ورقي، كتب د. خالد اليحيا نصًا فيه متانة حرفية عالية معتمدًا على قصة بسيطة، هي في الأساس نظرية افتراضية، بوجود قلم شارك في كل الإبداعات الإنسانية، وكانت مهمة السيناريو الذي صنع (اليحيا) حبكته بحذق يحسد عليه، هي البحث عن هذا القلم، الذي يحتوي على طاقة سحرية، وقد حافظ المخرج بدر الحمود على إيقاع الأحداث معتمدًا على إطار هوليوودي متضمنًا في المتن بعض التفاصيل الصغيرة التي يؤكد من خلالها إسهامات الحضارة الإسلامية العربية في الحضارة العالمية، وقد اعتمد على جذور علم الفلك والتنجيم من منكب الجوزاء والشعرى اليمانية، ذات الصلة المباشرة بنماذج فكرية لها انتماءها واعتبارها في الحضارة الغربية، وهذه التوقعات العلمية التي يتناولها الفيلم، من أن الكتاب سيكون آثرًا بعد عين، وسيكون حنين الأجيال القادمة إلى الكتاب والقلم، الفيلم ضمن حبكته الدرامية في البحث عن قلم المرايا وربطه بقدرته على الإبداع الذي شكل تراثًا إنسانيًا، كما ذكرت، ولكن برغم حنيننا إلى الكتاب الورقي والقلم فسوف تأتي الأجيال القادمة بإبداعها الخاص الذي يعبر عن قيمها الفنية التي ترتبط بأحلامها وصبواتها وطموحاتها .. وإلى فيلم ممتع يفجر فينا قيما وأفكارًا جديدة، بقيت ملاحظة جانبية لا بد أن أشير لها وهي اعتماد البطل (الذي يمثل الأنا) على بروفيسور أمريكي (يمثل التشكيل الحضاري الغربي) لمساعدته في الوصول إلى سر قلم المرايا وقد اعتبر أنا ذلك مغازلة للآخر، وكان من الممكن الاستعاضة بحكيم عربي.

﴿فيلم قلم المرايا يؤكد فكرة السفر عبر الزمن، بهدف البحث عن قيمة الماضي والإمساك بإنجازاته الإبداعية والحضارية، وعلى رأسها القلم والكتاب﴾

لمشاهدة فيلم قلم المرايا
اضغط هنا



رحلتي للدنمارك

كوبنهاجن

سما يوسف

جدة

لقد كانت زيارتي العام الماضي لأحد الدول الإسكندنافية (الدنمارك) وكانت من الدول الجميلة التي ترتاح لها النفس لعمق تراثها وتاريخها ومكتباتها ...

■ **كوبنهاجن:**

هي عاصمة الدنمارك وأكبر مدنها وتقع على جزيرتي "أماجير" و"زيلاند". تُصنف دومًا كونها ضمن مدن العالم ذات أجود مستوى معيشي، وتُعد إحدى أفضل المدن صداقةً للبيئة في العالم. تتمتع "كوبنهاجن" بتراثها المعماري المتنوع وبمساحاتها الخضراء وبمنتزهاتها وبمرافق التسوق الرائعة بها. بالإضافة إلى شواطئها وسواحلها البديعة، ورقي أهلها .. وتجولتُ فيها ومن أجمل ما رأيتُ:

Den lille havfrue

حورية البحر الصغيرة هي إحدى قصص الكاتب الدنماركي كريستيان أندرسن (1805 . 1875). وقد اشتهر أندرسن بالحكايات الخرافية فضلاً عن كونه شاعرًا وروائيًا وكاتبًا مسرحيًا. يقول أندرسن: «حكاياتي الخرافية هي وقصة الأمير الذي أحب راقصة الباليه».

وقد أقام الدنماركيون تمثالاً من البرونز لحورية البحر من وحي قصة أندرسن بطول متر وربع المتر وبزنة 175 كيلو غرامًا ووضعوه على صخرة مطلة على مدخل ميناء كوبنهاجن منذ سنة 1913. ولم يغادر هذا التمثال مكانه سوى مرة واحدة حين شارك في معرض أكسبو في الصين سنة 2010 ومكث هناك ثمانية أشهر. وقد عارض كثير من الدنماركيين هذه الخطوة وجرى تصويت في مجلس مدينة كوبنهاجن لهذه الخطوة فصوت لصالحها 36 عضوًا بينما عارضها 12 عضوًا. وقد تعرض تمثال حورية البحر لعدة عمليات تخريب شملت قطع رأسه مرتين وقطع إحدى يديه

■ **حدائق الملك:**

تُعرف أيضاً باسم "كينجز جاردنز" (حدائق الملك) وقد تم البدء في تأسيسها بالتزامن مع تشييد القلعة في عام 1634، مما يجعلها أقدم حدائق الدانمارك. لايزال جزءًا كبيرًا من الحدائق الأصلية موجود اليوم، بينما تمت إضافة الممر المحفوف بأشجار الليمون في القرن الثامن عشر، بالإضافة إلى عدد من التماثيل التي يصور أحدها الأديب "هانس كريستيان أندرسن".

■ **منتزه باكين:**

تم افتتاح هذا المنتزه في عام 1583، ما يجعله أقدم المنتزهات الترفيهية في العالم، يتوافد عليه الزائرون من مختلف أنحاء البلاد، ويضم خمسة قطارات أفعوانية، بما فيها قطار خشبي يعمل منذ عام 1932، هذا بالإضافة إلى الألعاب والمرافق الحديثة.

Dyrehavevej . Klampenborg

■ **مدخل حديقة تيفولي، كوبنهاغن، الدنمارك:**

وتظهر المدخل إلى حدائق تيفولي التي افتُتحت في 1843، والتي تُعد ثاني أقدم مدينة ملاهي في العالم (بعد دايرهافسباكين، في الدنمارك أيضًا)، والحديقة مستوحاة من حدائق اللهو الرومانطيقية في أوروبا، التي



صممت وفقًا للتقاليد الطبيعية الإنجليزية بدلاً من النمط الفرنسي المبني على الخطوط الهندسية. وكان مؤسس تيفولي جورج كارتينسن (1812-1857) قد شاهد حدائق للتسلية في رحلاته في أوروبا، وفي 1841 قدم طلبًا إلى الملك كريستيان الثامن للسماح له بتأسيس مثل هذه الحديقة وإدارتها في كوبنهاغن. وحسب طبعة 1892 من كتاب باديكر دليل المسافرين إلى النرويج والسويد والدنمارك، كانت الحديقة «منشأة كبيرة وشعبية جدًا لكافة أنواع التسلية والحفلات الموسيقية والمسرح والبانوراما وقاطرة أفعوانية والألعاب النارية»، إلخ.

تبدأ الألعاب والاستعراضات عادة في الساعة السادسة وتنتهي حوالي العاشرة مساء. أما الحفلات الموسيقية (حفلة موسيقى كلاسيكية أيام السبت ترتادها الطبقات الراقية) فتنتهي حوالي الساعة الحادية عشرة مساء.

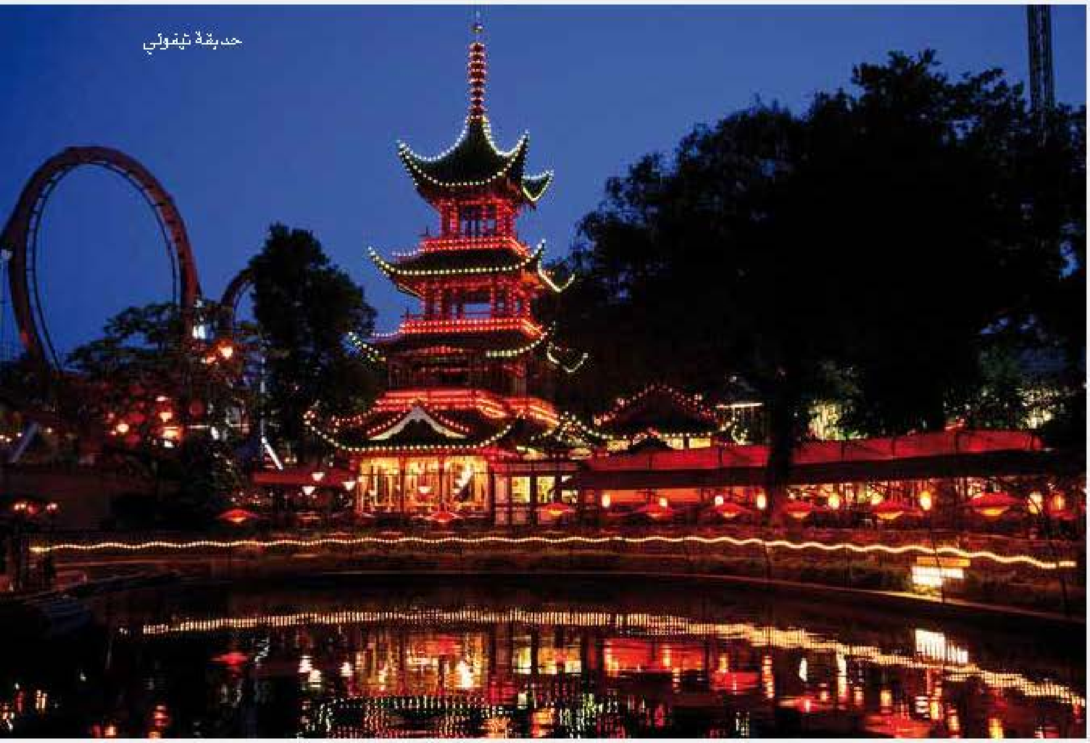
■ **قبة تايكو براهي:**

تمت تسمية هذه القبة تيمنًا بعالم الفلك الدنماركي "تايكو براهي" وتضم قاعة عرض IMAX تعرض أفلامًا ثلاثية الأبعاد، بالإضافة إلى آلة لعرض النجوم تعرض 4000 نجم بمصاحبة الشمس والكواكب، وكذلك عرضاً دائمًا يُسمى (الكون المتحرك). يجري عرض الأفلام على مدار اليوم من خلال شاشة مقببة مساحتها 1000 متر، وتتوفر اللغة الإنجليزية عبر الأجهزة السمعية.

وأهم المتاحف كوبنهاجن

■ **متحف للعصور الوسطى:**

يُطلعك هذا المتحف على تاريخ مدينة (كوبنهاجن) من العصور الوسطى وحتى اليوم، وقد تم افتتاحه في عام 1901. يضم مجموعة كبيرة من الصور الفوتوغرافية والقطع الأثرية التي تغطي نحو ألف عام من تاريخ المدينة. كما تتوفر الأنشطة الخاصة للمجموعات والمدارس.


حديقة تيفولي


حدائق الملك


نيهافن، كوبنهاغن، الدنمارك



التبوريدة.. تراث مغربي أصيل



حسن محمد النعمي

تختزن المغرب بالعديد من الكنوز التراثية ومنها بفن التبوريدة التي حافظت على هذا التراث العريق وذلك في الحفلات والمهرجانات والمواسم حتى كاد من العلامات المتميزة التي تتمتع به بلاد المغرب.

والتّبوريدَة وصحاب البارود اسم يطلق على عروض فروسية، تحاكي هجمات عسكرية، تمارس في بلاد المغرب العربي، في مختلف مناطقها، العربية والأمازيغية والصحراوية.

وترجع فنون الفروسية المغربية التقليدية أو (التّبوريدَة) إلى القرن الخامس عشر الميلادي، وتعود تسميتها إلى البارود الذي تطلقه البنادق في أثناء الاستعراض، وهي عبارة عن مجموعة من الطقوس الاحتفالية المؤسسة على أصول وقواعد عريقة جدًا في أغلب المناطق المغربية، وخصوصًا في المناطق ذات الطابع البدوي.

وتكمن رمزيتها في تجسيدها لتعلق شعوب المغرب العربي بالأحصنة والفروسية، التي تمثل رمزًا تاريخيًا وتراثيًا تتوارث الأجيال العناية به. يتم في مشاهد الفانتازيا استخدام بعض ألعاب الخيل أو البارود من خلال تمثيلات لبعض الهجمات يشنها فرسان على متن خيولهم المزينة، مطلقين لعيارات من البارود. وهي ذات شعبية واسعة لدى الجمهور، وتشكل الفرجة الرئيسية للمهرجانات الثقافية والفنية (المعروفة بـ«الموسم» أو «الوعدة»)، التي تنظم في المناطق القروية المغاربية. وتتمتع بجاذبية قوية بسبب قدرتها على إبهار المشاهدين بفضل صبغة الغموض والأساطير التاريخية القديمة التي تجعلها تضفي تأثيرًا وسحرًا خاصين على محبي تلك المشاهد.

وتعد التبوريدة طقسًا احتفاليًا وفلكلوريًا عريقًا لدى المغاربة، وهي ليست وليدة العصر، لذلك باتت مرتبطة في أذهانهم بتقاليد وعادات تجمع بين المقدس والدنيوي، حيث تصاحبها مجموعة من الأغاني والمواويل والصيحات المرافقة لعروضها والتي تحيل على مواقف بطولية، وهي تمجد البارود والبندقية التي تشكل جزءًا مهمًا من العرض الذي يقدمه الفرسان، خاصة عندما ينتهي العرض بطلقة واحدة مدوية تكون مسبوقة بحصص تدريبية يتم خلالها ترويض الخيول على طريقة دخول الميدان، وأيضًا تحديد درجة تحكم الفارس بالجواد.

وتشكل التبوريدة جزءًا لا يتجزأ من التراث المغربي الأصيل الذي يعيد الذاكرة الشعبية والمتفرجين في مناسبات عديدة إلى عهود مضت، وهنا يمكن القول إن المغاربة الذين يمتلكون الخيول المدربة على التبوريدة هم من علية القوم في القبيلة وأصحاب خبرة وشأن عظيم ونخوة وقيمة في البلاد.

والتّبوريدَة تنشط في الاحتفالات والأعياد الكبرى، مثل حفلات الزفاف والولادات والأعياد الدينية والعقيقة والختان والمواسم الثقافية الفنية. وتمثل هذه الوصلات الفنية المغرقة في الرمزية اختزالاً للطقوس الكرنفالية والفلكلورية لدى المغاربة التي ينسجم فيها اللباس مع الغناء والرقص والفروسية والأضحية والنار.. في سياق متناغم، ثم انحسرت تدريجيًا، في بعض المناطق المغاربية إلى الجانب السياحي الثقافي البحت. مازالت الشعوب والقبائل المغاربية تحافظ قدر المستطاع على هذه العادة رغم المؤثرات الخارجية، أهمها العولمة، وهي تعد استحضارًا لملاحمها العسكرية التاريخية، ورمزًا للقوة والشجاعة والإقدام.

والتّبوريدَة هي بعد عسكري ورافد أساسي لرمزية الفانتازيا، التي تعد تجسيدًا للحرب، وتمتد أيضًا إلى شعائر استعراض القوة والشجاعة، بل تصل رمزيتها أيضًا إلى البعد النفسي، بوصفها استعارة رمزية للفحولة، حسب مراد يلاس شاوش، في كتابه (الثقافات والتمازج في الجزائر). وتشكل تمظهرًا فنيًا، مخففًا، للفن الحربي المرتبط بالتراث الفروسي العربي التركي الأمازيغي لأفريقيا الشمالية.



عرف المغرب أولى استعراضات التبوريدة في القرن الخامس عشر، وكان تستعمل خلالها الأقواس والنبال، قبل أن تعوض ببنادق البارود، في القرن السادس عشر. كانت ذات وظيفة شبيهة بالاستعراضات العسكرية التي تنظمها الجيوش النظامية في الوقت المعاصر، وذات وظيفة تحميسية، لحث القبائل على الجهاد ومقاومة المستعمر، وأيضًا لتخليد ذكرى الملاحم العسكرية المرتبطة بالذاكرة الجماعية للقبيلة؛ إن على المستوى القبلي المحلي، أو الوطني (مقاومة المستعمر)، وهو ما يفسر المسرحة المعاصرة التي تقضي بإعلان أسماء القبائل، في بداية الاستعراض، في استحضار للوفود الملحمي لسريات القبائل على معسكرات الجيوش، واستعراضها لقوتها ونظامها، قبل أن تندمج في المعسكر. يستدل على هذه السياقات الأصلية للاستعراض بالتراث



الفني الشفهي (الموسيقي والشعري) الذي يصاحب التبوريدات المعاصرة، وخصوصًا فن العيطة، والذي يسهب في وصف الأحداث التاريخية الأصلية على شاكلة ملاسنات قبيلتي دكالة وعبدة المستحضرة لصراعهما التاريخي حول موارد المياه، وبطولات الفارسة عائشة البحرية إبان مقاومتها للمستعمر.

رغم كونها فنًا عربيًا تركيًا أمازيغيًا يرجع تاريخه إلى القرن السادس عشر الميلادي؛ امتد الشغف بفروسية البارود، كموضوع فني، إلى أوروبا، بفضل المستكشفين والمستشرقين الأوروبيين الذين زاروا شمال أفريقيا، وخصوصًا، منذ نهاية القرن الثامن عشر. كان أول تمثيل للفانتازيا في الفن التشكيلي، في القرن القرن السادس عشر في أعمال الرسام الفلمنكي جان كورنليسث فرمين (1500–1559)، فانتازيا في تونس، ومبارزة عسكرية في تونس، التي رسمها، مواكبة لحملة الإمبراطور كارلوس الخامس على تونس في سنة1535.

التّبَوريدَة في الفن التشكيلي

يعد أوجين دولاكروا أول فنان تشكيلي اهتم فنتازيا التّبْوريدَة، التي كانت موضوعًا للعديد من لوحاته، بين سنتي 1833 و1847. استلهم دولاكروا أعماله من تدوينات رحلته المغربية لسنة 1832، وخصوصًا في سيدي قاسم والقصر الكبيرومكناس، التي شهد فيها استعراضات تبوريدة. قارب دولاكروا الفنتازيا بأسلوب الرسم التاريخي والحربي، مركزًا على الألوان القوية لإظهار جمالية حركية الأحصنة، كما في لوحة فنتازيا (1832)، كما تثمين أبعاد التناسق والحركية والسياق الحربي، ويتجلى ذلك بالخصوص في لوحات: مناورات عسكرية مغربية المسماة أيضًا (فنتازيا مغربية)، وفانتازيا (1832).

يعد الرسام والأديب أوجين فرومنتان، تلميذًا لدولاكروا، في تناول موضوع الفنتازيا، تشكيليًا؛ إلا أنه بخلاف دولاكروا الذي كان يرجح بعد الحركة في أعماله، ركز فرومنتان أكثر على الاستحضار المكاني للأجواء المحيطة بالاستعراضات في كتابه (سنة في منطقة الساحل)، يدعو فرومنتان قراءة لاستحضار وتخيل الجماليات الرفيعة للفنتازيا، «بكل ما فيها من فوضى و تهور، وسرعة معجزة وألوانها الصارخة التي تؤجج أشعة الشمس لمعانها»؛ يصف فرومنتان في كتابه، تداخل الصيحات الحماسية للفرسان بزغاريد النساء ووقع حوافر الجياد المرهب، مما ينتج سياقًا صوتيًا فريدًا يضفي جمالية على الاستعراض.

في سنة 1867، رسم الفنان ماريانو فورتوني لوحة فانتازيا عربية، والتي تعد فريدة بين التمثيلات التشكيلية للفنتازيا، لابتعادها عن موضوع فروسية البارود، لفائدة لعب البارود الصرف (دون فرسان). تمثل اللوحة مسلحين مغاربة، يطلقون البارود، راجلين، نحو الأرض. تتجلى جمالية اللوحة في اشتداد الإضاءة في مجال الموضوع الرئيسي (المستعرضين)، والتي تسهب في إبراز تفاصيلهم وألوانهم، في تناقض درامي مع محيطهم، وخلفية اللوحة، المتسمين بالضبابية وخفوت الإضاءة.

أما الرسام الألماني أوتو فون فابر دو فاور، المشهور كرسام معارك، فقد رسم سنة 1885 لوحة فنتازيا عند التقاء قبيلتين، والتي استلهمها من سفر قاده سنة 1883 إلى المغرب، انجذب خلاله للإضاءة الطبيعية للشمس الأفريقية، وبعوالم الصحراء والبدو الرحل والفروسية.



تعد التبوريدة طقسًا احتفاليًا وفلكلوريًا عريقًا لدى المغاربة



المناورات العسكرية المغربية أوفانتازيا مغربية لأوجين دولاكروا

قصر دولما باهجة جوهرة تتلألأ على مضيق البوسفور



قصر دولما باهجة قصر مهيب على الطراز الأوروبي كان مركزًا للدولة العثمانية في أثناء الستين عامًا الأخيرة من عمرها.

يقع قصر دولما باهجة على ضفاف مضيق البوسفور بالقرب من ميدان تقسيم، وتطل واجهته المهيبة على النهر مباشرة. وقد بُني القصر ما بين 1843 و1856، وحل محل قصر الباب العالي ليصبح مقر الإقامة الرئيسية للسلطان العثماني والمركز الإداري للدولة. وما بين افتتاح قصر دولما باهجه ونهاية الدولة العثمانية، تعاقب على سكنى القصر ستة سلاطين. وعقب تأسيس الجمهورية التركية عام 1922، آل القصر للدولة، وأصبح مقر إقامة مصطفى كمال أتاتورك، أول رئيس لتركيا ومؤسس الجمهورية التركية.

يضم قصر دولما باهجه 285 غرفة، وبه ثريا من الكريستال تزن أربعة أطنان ونصف. تم فتح قصر دولما باهجه للزوار حيث يمكنهم زيارة السلاملك والحرملك. ويشتهر السلاملك بسلم مصنوع بالكامل من الكريستال. أما أشهر غرف الحرملك، فهي الغرفة التي تُوفي بها أتاتورك عام 1983.

أُقيم قصر دولمة بإهجة في استانبول في تركيا على الضفة الأوروبيةِ من البوسفور، والاسم مشتق من واقعة أنّ قطعة الأرض التي بني عليها كانت جزءً من البوسفور تم ردمها (أي حشيها). «دولمة» بالتركية تعني محشي و«باهجه» تعني حديقة.

بُني القصر ما بين السنوات 1843 و1856 تحت طلب السلطان عبد المجيد وهو السلطان العثماني الحادي والثلاثون، بكلفة خمسة مليون باونٍ ذهبي عُثماني أي ما يكافئ 35 طنًا من الذهب، واستخدمت أربعة عشر طنًا من الذهب ضمن بناء القصر لتذهيب سقوف القصر، كان الحاج سعيد آغا مسؤولاً عن أعمال البناء في القصر.

أشرف على بناء القصر المهندس المعماري الخاص بالسلطان عبد المجيد وهو قارابيت بابلان، واستغرق العمل فيه حتى عام 1856م، وقد بُني على طراز النهضة الباروكي في القرن التاسع عشر، وهذا لا يعني خلوه من بعض خصائص الفن المعماري التركي، وبلغت تكلفة تشييد القصر حوالي خمسة ملايين ليرة عثمانية أي ما يعادل بليار دولار أمريكي الآن.

كان السلاطين العثمانيين وعائلاتهم وحاشيتهم يقيمون في قصر (طوب قابي)، وبعد تشييد الدولما باهجة استقر هؤلاء في القصر الجديد باستثناء السلطان عبد الحميد الثاني الذي أقام في قصر يلدز طيلة مدة حكمه.

وقد عرف القصر الجديد الدولما باهجة أحداثًا تاريخية كثيرة منها: اجتماع البرلمان العثماني الأول فيه عام 1877م للمرة الأولى، كما أن رجل الدولة العثماني مدحت باشا اعتقل في هذا القصر مع أنصاره، وأمام هذا القصر سلم الحلفاء المنتصرون في الحرب العالمية الأولى الراية العثمانية بعد جلائهم عن استانبول، وفي هذا القصر مات في العاشر من تشرين الثاني/نوفمبر 1938م الزعيم التركي مصطفى كمال أتاتورك وسجي جثمانه لإلقاء النظرة الأخيرة إليه، وكان الدولما باهجة مقرًا لإقامة ضيوف استانبول من الزعماء مثل الملك فيصل ملك المملكة العربية السعودية، والملكة الإنكليزية فكتوريا الثانية، والملك غيوم الثاني وغيرهم.

قبل الوصول إلى الدولما باهجة وأمامه مباشرة يوجد مسجد دولما باهجة وبرج الساعة، وشيد المسجد عام 1853م من ابن المهندس قارابيت وهو نيكوكوس، والمسجد له مئذنتان رفيعتان ورقيقتان من أرق المآذن في استانبول، أما برج الساعة فارتفاعه حوالي 27 متراً وشيد عام 1890م.

لقصر الدولما باهجة تسعة مداخل ضخمة منحوتة متشابهة، وأهمها مدخل السلطان، أما الزوار فيدخلونه من البوابة الشمالية المواجهة للمسجد، وما أن تعبر البوابة المزخرفة بنقوش جميلة جدًا حتى تواجهك حديقة غاية الروعة تغطيها الأشجار والأزهار تتوسطها بركة زينت بتماثيل رائعة ومغطاة بالزنبق الأبيض، أما أشجار الحديقة فقد أحضرت من الهند قبل 150 عامًا، كما توجد في الحديقة تماثيل عديدة لأسود في وضع جالس أو متحفز.

ينقسم القصر إلى ثلاثة أقسام: قسم الرجال والنساء والاحتفالات ويتألف من ثلاث طوابق متماثلة مع رصيف بحري يقارب طوله 660 مترًا، درجات الدخول إلى القصر تقودنا إلى جناح الرجال وجناح النساء، وهنا يوجد 285 غرفة و43 صالون استقبال مزينة بلوحات لأشهر الرسامين وأثاث في غاية الفخامة، و 6 حمامات تركية، 43 مرحاضًا، استخدم في بنائه 14 طنًا من الذهب، و60 طنًا من الفضة، وهذا المبنى مؤلف من طابقين أحجاره من الخارج منحوتة ومن الداخل مغطاة بزخارف خشبية جميلة، بعد المرور بقاعات الخدم والحرس والانتظار والاستراحة تصعد سلالم رخامية ذات قوائم من الزجاج اللامع البلوري، بهو السلالم يرتكز على أعمدة من الخام الاصطناعي، أما الأرض فمغطاة بسجاد موشى بخيوط من الذهب.

قبل الدخول إلى قاعة السفراء نلتقي بتحف فنية تتوزع زوايا الفسحة التي تسبق الدخول إلى قاعة السفراء منها



شمعدان زجاجي صنع تشيكوسلوفاكيا، وإناء فرنسي مرصع بحجارة ثمينة وتماثيل صغيرة لأسد وفرس ونمر، وكذلك شمعدان من العاج المغطى بالفضة مع تماثيل من أفيال فضية على القاعدة.

أما قاعة السفراء فهي ضخمة واسعة عالية، والأبواب حمراء من الخشب الصلب وبداخلها سجادة مساحتها 88 مترًا مربعًا تغطي جزءًا من الأرض، وساعة رائعة وفريدة من الفضة مزينة بتماثيل فضية لأسود وأيل، وعقرباها عبارة عن ثعبانين من المعدن، وهذه الساعة هدية من فرنسا، وفي كل ركن من أركان القاعة مدخنة مزينة اثنتان من المداخن من الفضة. أما سقف القاعة فمزين من قبل فنانين إيطاليين وفرنسيين، وفي القاعة أيضًا ثلاث ساعات مذهبة ومرصعة بأحجار ثمينة جدًا ومن صنع تركي. أما المداخن فمغطاة برخام أزرق وأحمر ومزينة بتصاميم وأشكال مختلفة. أمام إحدى هذه المداخن جلد دب أهداه القيصر الروسي نيقولا الثاني إلى السلطان عبد المجيد، ويقال أن لجلد الدب ميزة خاصة حيث يتأثر بالسم من مسافة مئات الأمتار مثل الرخام الصيني فيفشي سر السم في وجبات الطعام، وإلى جوار صالة السفراء صالات أخرى خاصة بالمترجمين وقاعات انتظار.

وفي الحقيقة إن أبهة وعظمة صالة السفراء بذهبها في السقوف والجدران والموجودات وبأناقتها الفنية كانت عملاً مقصودًا من قبل السلطان العثماني للتأثير على السفراء الأجانب وإعطائهم الانطباع الفوري والمذهل حول عظمة وجبروت الإمبراطورية العثمانية فيزرع في قلوبهم الرعب والاحترام قبل البدء باجتماعه معهم.

من غرف القصر الأخرى غرفة نوم السلطان عبد العزيز وهنا يوجد سرير ضخم طوله 220 سم إذ إن السلطان كان بطول 205 سم ويزن 160 كلغ، وغرفة نوم السلطان رشاد بسرير من الفضة يحمل أعلاه شعار الملك، وغرفة مطالعة ونوم أتاتورك مع بعض أغراضه مثل فنجان قهوة وقارورة فارغة للعطر وعلبة شفافة للدخان ولوحة لمدينة بروسه، وكل غرف النوم كانت في الطابق الثاني ماعدا غرفة نوم السلطان عبد المجيد فإنها في الطابق الأول، وهي غرفة كل ما فيها ثمين ومزين ومحفور، وكان هذا السلطان يضع في الغرفة علب ماء ساخن لاعتقاده أنها تطرد الحشرات، وقد عاش السلطان عبد المجيد في هذه الغرفة خمس سنوات فقط حيث توفي عام 1861م.

أما أجمل وأروع أقسام القصر بلا شك فهي قاعة العرش والاستقبال ففي هذه القاعة كانت تعقد الاجتماعات الهامة للسلطان وتجري الاحتفالات الرسمية تقوم القاعة على 56 عمودًا من الخام الاصطناعي وارتفاعها 36 متراً القبة مزينة بنقوش فائقة الجمال أشبه بنقوش فرساي وهي نموذج رائع للفن الباروكي، تنير القاعة 750 لمبة وتتسع لأربعة آلاف وتنفتح على مضيق البوسفور بباب كبير حيث كان السلطان يقف لاستقبال الضيوف وعند قاعدة القبة نوافذ تطل على البحر ومغطاة بالشعريات. لذا كانت النساء تستطيع مشاهدة الاحتفالات دون أن تُرى إلى جانب ذلك يوجد في أعلى القاعة وتحت جوانب القبة أربعة شرفات داخلية للزوار الأجانب.

في قاعة العرض هذه ثريا ضخمة لا نظير لها في العالم وتزن أربعة أطنان ونصف الطن مهداة من ملك روسيا نيقولا أما الأرض فتغطيها سجادة بمساحة 124م مصنوعة في بلدة هركة التركية المركز الشهير لصنع السجاد الفني.

تعلو جدران القصر بمختلف أجنحته لوحات رائعة لفنانين عالميين، ولا سيما في الصالون الوردي، والذي سمي كذلك لألوانه الوردية وهو جزء فائق الجمال من القصر له شرفة تطل على البوسفور وفيه باب على هيئة خزانة أمامه مزهرية خضراء ويؤدي الباب إلى الحمام وقد صنع بهذا الشكل حتى لا يفسد الانسجام والتناسق الفني للقاعة كما فيه طغراء بالحرف العربي فيهل زهور اصطناعية من البرونز المطلي بالذهب كما في القاعة الوردية شمعدانات وثريات زجاجية تزيدها رونقاً وبهاء.

وأما اللوحات فنذكر لوحة عن الحرب العثمانية – اليونانية عام 1879م، بريشة الفنان العالمي ورسام البلاط زونارو، وتصف الجنود العثمانيين وهم يهزمون اليونانيين، ولوحة تمثل (جول) وهي إحدى السريات وتحمل في يدها إناء فخم مشتعل لتضعه على رأس النرجيلة ولوحة (قرا فاطمة) إحدى المحاربات التركيات ضد الإنكليز في الحرب العالمية الأولى، ولوحة تمثل فرس السلطان عبد المجيد، ولوحة تمثل دخول السلطان محمد الفاتح إلى استانبول بعد فتح المدينة، ويبدو السلطان فيها على حصان أبيض يرافقه أستاذه الشهير آغا شمس الدين ذو اللحية وذلك تحت رواق مقنطر لأحد أسوار المدينة، ولوحة جميلة جدًا للسلطان محمد الفاتح يركب حصاناً أبيضًا كذلك مع أستاذه آغا شمس الدين ويراقب جر السفن إلى الجبال بمساعدة الأخشاب المغطاة بالدهن، وبهذه الطريقة استطاعت سفن الجيش العثماني أن تعبر بحر مرمرة عن طريق البحر أثناء محاصرة وفتح استانبول.

الزائر لقصر الدولما باهجة لا يمل التطوف في جو أخاذ من الدهشة والعظمة والأبهة إذ يخرج من كنفه فكأنه يغادر عالمًا من الأساطير التي لم تكن أيام عظمة العثمانيين المسلمين سوى واقعًا ملموسًا.



رقميون غيروا حياتنا

هذه المادة مختارة من كتابي (رقميون غيروا حياتنا)

كيفين سيستروم ومايكل كرايغر مؤسسا إنستغرام instagram



ناصر بن محمد الزمل

رئيس التحرير @nalzmal

تطبيق الانستغرام هو تطبيق لتبادل الصور، وتقاسم الفيديو على شبكة الانستغرام أو على الشبكات الاجتماعية، مثل الفيسبوك، وتويتر، وفليكر.

وهناك سمة مميزة هي أن حدود الصور شكل مربع، على غرار كاميرات كوداك INSTAMATIC وصور بولارويد، وعلى النقيض من نسبة الارتفاع 16:9 التي تستخدم عادة من قبل كاميرات الهاتف المحمول، ويبلغ حجم التطبيق 14 MB.

العودة إلى البداية، إلى كل من الشاب الأمريكي كيفين سيستروم والبرازيلي مايكل كرايغر من سان باولو.

ولد البرازيلي مايكل كرايغر MIKE KRIEGER في 4 آذار/مارس 1986 في مدينة ساو باولو البرازيلية، حيث عشق عالم برمجة الألعاب صغيرًا، ما جعله يقرر عام 2004 الانتقال إلى كاليفورنيا في الولايات المتحدة للالتحاق بجامعة ستانفورد العريقة، حيث التقى الشاب الأمريكي كيفين سيستروم الطالب في الجامعة نفسها ونشأت بينهما صداقة قوية نتيجة حبهما لعلوم البرمجة والحاسوب، حيث أطلقا معًا عام 2010 موقع إنستغرام INSTAGRAM .

ولد كيفين سيستروم KEVIN SYSTROM في 30 كانون الأول/ديسمبر 1983، وفي آذار/مارس 2010 حصل خريج جامعة ستانفورد كيفين سيستوم على تمويل أولي بمبلغ 500 ألف دولار من BASELINE VENTURES ANDREESSEN HOROWITZ بينما كان يعمل على تطبيق للتواصل الاجتماعي بالاعتماد على الموقع الجغرافي، كما هو الحال في FOURSQUARE لكن مع ميزة مشاركة الصورة، وكان اسمه BURBN .

بعد إطلاق التطبيق لم يكتب له النجاح، واستخدمه فقط بعض الأشخاص من معارف كيفين وأصدقائه، ووصفوه بأنه مجرد فكرة فاشلة أخرى.

في تموز/يوليو 2010 قام كل من كيفين ومايكل كرايغر الذي درس أيضًا في ستانفورد بالبدء بالعمل على تصميم تطبيق لمشاركة الصور.

أراد الاثنان صنع شيء وحيد جيد والتركيز عليه، ونظرا إلى مجال الصور، فوجدا أن مشاركة الصور على فيس بوك أو فليكر أو غيرهما من المواقع عملية يصعب القيام بها عبر الهواتف المحمولة، واستغرق الأمر فقط شهرين للعمل وإطلاق أول نسخة.

وأطلق تطبيق إنستغرام في إصداره الأول يوم 6 تشرين الأول/أكتوبر 2010 على متجر أبل لهواتف آيفون وبالمجان، واستمرت إضافة كثير من المزايا والتحسينات على التطبيق حتى أصبح لشركة إنستغرام مليون مستخدم لتطبيقها قبل نهاية عام 2010 ، ويبلغ عدد العاملين فيه 30 موظفاً.

وفي شهر نيسان/فبراير 2011 بلغ عدد المستخدمين 1.75 مليون، يشاركون أكثر من 290 ألف صورة بشكل يومي، في شهر تموز/يوليو 2011 بلغ عدد المستخدمين 6 ملايين شاركوا أكثر من 100 مليون صورة، في ذكرى مرور عام على إطلاق التطبيق، في تشرين الأول/أكتوبر 2011 كان عدد المستخدمين الجدد المسجلين في اليوم الواحد يبلغ 50 ألف مستخدم يوميًا، وفي كانون الثاني/يناير 2012 بلغ عدد المستخدمين لهذا التطبيق 15 مليون مستخدم، وبلغ عدد الصور المشاركة في الثانية الواحدة 60 صورة؛

في البداية كان دعم إنستغرام على الآي فون، والآيباد.



مايكل كرايغر



كيفين سيستروم

Instagram

والآي بود تاتش. وفي نيسان/إبريل 2012 أضاف إنستغرام دعمًا لمنصة الأندوريد (ANDROID 2.2) أو أعلى، ويتم توزيعه عبر متجر آيتونز وجوجل بلاي.

وقبل صدور خبر شراء فيس بوك، أعلنت إنستغرام أن عدد مستخدمي تطبيقها بلغ 30 مليون مستخدم، قبلها وتحديدًا في 3 نيسان/إبريل 2012، أطلقت الشركة نسخة من التطبيق لهواتف ومنصات أندرويد. وخلال أقل من 12 ساعة بلغ عدد مرات تنزيل التطبيق مليون مرة؛ وفي 12 نيسان/ إبريل 2012، اشترت فيس بوك هذه الشركة الصاروخية بصفقة بلغت مليار دولار نقدًا، وكذلك في الأسهم مع التعهد بتركها تعمل دون تدخل في إدارتها.

كانت الصفقة تميز بأنها كانت مصدرًا لضجة حتى قبل الكشف عنها، وكذلك فإن مبلغ الصفقة يتناقض مع ما دفعته ياهو لشراء موقع فليكر عام 2005 الذي كان 35 مليون دولار، والذي جعل موقع فليكر على قائمة الـ 50 موقعاً الأكثر زيارة حول العالم.

يقوم موقع إنستغرام على فكرة بسيطة، تثبيت تطبيق سهل وبسيط على هاتفك، تشغل هذا التطبيق وتلتقط صورة ما، ثم تكتب سطرًا (أو لا تكتب) لشرح خلفيات هذه الصورة، ثم ترسل الصورة للشبكات الاجتماعية الشهيرة مثل فيس بوك وتويتر، وترسلها إلى شركة إنستغرام لترفعها على خوادمها؛ حتى يستطيع أصدقاؤك وعبر الشبكات الاجتماعية أن يشاهدوا هذه الصورة، وكذلك داخل شبكة إنستغرام نفسها، ببساطة شديدة.

كان موقع تويتر وسيلة لتبادل الكلمات فقط، فهذا التطبيق وسيلة لتبادل الصور مع بعض الكلمات.

وقد حافظ مؤسسو إنستغرام على فريق صغير وذكي من المهندسين، وتأخروا ببناء شركتهم بوصفه كياناً متكاملاً، وهذه إحدى دعائم النجاح، استمر المهندسون في تطوير مقاييس الأداء الخاصة بهم، واستمروا في متابعتها، فمثلاً عليهم أن يعرفوا كم شخصًا انضم للخدمة هذا الشهر، وهل لا يزالون يستخدمون التطبيق؟، لم يرغبوا في إنستغرام أن يكون معدل تسجيل الأعضاء الجدد عاليًا فحسب، إنما أرادوا أن يصبح إنستغرام جزءًا من حياة أولئك الناس، ويستمروا في استخدامه دومًا.

التشابه مع فكرة تويتر لا يقف عند هذا الحد، فعبر هذا التطبيق صفر كبير، ما يعني أنه لا يملك وسيلة أو نموذجًا للتربح، تمامًا مثلما كان حال تويتر وتغريداته قبل أن يبدأ في بيع الإعلانات وتغريدات المستخدمين، أضف إلى كل هذا، دخول مؤسس تويتر، جاك دورسي، بماله لتمويل إنستغرام من باقة من مشاهير تمويل المشروعات الناشئة.

وهناك في الإنستغرام مشروع هاشتاغ عطلة نهاية الأسبوع، وهو عبارة عن تضم موضوعات معينة يختارها فريق إنستغرام، ويأتي في نهاية الأسبوع كل يوم جمعة؛ لإضافة الصور الإبداعية وفقًا للموضوع.

وعلى الرغم من أن تويتر تقدمت كثيرًا بعروض لشراء الشركة الفتية إلا أنها كانت لمن نصيب العملاق الاجتماعي فيس بوك الذي رأى فيها منافسًا قويًا على المدى البعيد، حيث رأت أن الملايين المتزايدة من المستخدمين تبرر هذا السعر، إذا كان هناك 30 مليون مستخدم من هواتف آيفون، فأقل تقدير سيكون 10 أو 15 مليون مستخدم مثلهم على أندرويد، وعلى أساس توقع استمرار هذه الزيادة المطردة، فقبل نهاية هذا العام رقم مثل 100 مليون مستخدم لن يكون مستغربًا عند تحقيقه، و إذا تم الافتراض أنه بعد عام من الآن بلغ عدد المستخدمين 200 مليون، فسيكون هناك حتمًا أكثر من راغب في الشراء وبأكثر من مليار دولار إذًا، فهذه ضربة حظ للمبادر الملياري ومؤسس موقع فيس بوك على المدى البعيد.

في كانون الأول/ديسمبر عام 2010، حصل التطبيق على مليون مستخدم، وبعد سنة، أي عام 2011 حصل التطبيق على زيادة 500 % من المستخدمين ليصل العدد إلى 5 ملايين مستخدم، وفي السنة الثالثة للتطبيق تضاعف العدد، خصوصًا مع إطلاق التطبيق لمنصة ANDROID ليتخطى عدد المستخدمين 30 مليون مستخدم، وفي تموز/يوليو عام 2011 ، رفع مستخدمو التطبيق 100 مليون صورة، وفي شهر آب/ أغسطس من العام نفسه وصل عدد الصور المرفوعة إلى 150 مليون صورة، أي خلال شهر واحد.

وفي أيار/مايو من عام 2012 ، تم الإعلان عما يأتي:

- في كل ثانية، يتم إضافة 58 صورة جديدة.
- وفي الثانية الواحدة كذلك، تحصل الشبكة على مستخدم جديد.
- تخطى التطبيق حاجز المليار صورة مرفوعة منذ أن تم افتتاحه.

ولمن لا يزالون يجهلون موقع INSTAGRAM عليهم بزيارته والتعرف إليه، فهو الشيء المفضل القادم في عام 2012.

في 27 شباط/فبراير 2013، أعلنت إنستغرام أن لديها 100 مليون مستخدم نشط، وذلك بعد سنتين ونصف من بداية إطلاقه في تشرين الأول/ أكتوبر 2010، وكانت هذه الزيادة قدرها نحو 10 ملايين مستخدم فيما يزيد قليلاً في الساعة مدة شهر.

فوياجر والقفزة التاريخية

منذ أكثر من 38 عامًا في الخامس من أيلول/سبتمبر 1977 أطلقت وكالة الفضاء الأمريكية ناسا مسبار (فوياجر Voyager)، في مهمة محددة حيث كان من المقرر له أن يزور كوكبي المشتري وزحل وكان أول مسبار يقوم بتصوير هذين الكوكبين بالإضافة إلى أقمارهما ثم انطلق ليصل أبعد مما خطط له صانعيه حيث مرّ بجانب كواكب المشتري وزحل وأورانوس ونبتون لينهي مهمته المقررة في عام 1989، ولا يزال فوياجر يرسل إلى الأرض معلومات حتى الآن.

وقد بدأت المركبة الأولى رحلة خروجها من النظام الشمسي سنة 1980، وهي الآن على مسافة ما تعادل 120 مرة مسافة الأرض عن الشمس.

وقد اعتقد العلماء في البداية بأن انتقال فوياجر إلى هذا المجال من الكون، حيث المؤثرات من بقية المجرة أكثر وضوحًا، سيكون تدريجيًا ومملاً. لكن ثبت أن الأمر أكثر تعقيداً من كل ما كان الباحثون يتخيلونه.

تم مد مهمة فوياجر1- ليصل إلى حدود المجموعة الشمسية. وقد تمكن فوياجر - 1 من إتمام هذه المهمة وبعد جدل استمر لمدة عام كامل حول تحديد موقع فوياجر1- وفي يوم 13 أيلول/سبتمبر 2013 تم إعلان اجتيازه حدود مجموعتنا الشمسية ليكون فوياجر1- أول مسبار يجتاز الغلاف الشمسي في تاريخ البشرية وأول مركبة من صنع الإنسان تصل إلى ما وراء نظامنا الشمسي. ليستمر في مهمة جديدة في الفضاء الشاسع بين النجوم يتوقع لها أن تنتهي بعد ضعف بطاريته في خلال 10 - 15 عام وقد كان للصدفة دور كبير في تحديد موقع مركبة فاويجر1- خصوصًا أن مقياسه الأيوني قد تعطل منذ ثلاثين عام قبل أن تضرب الرياح الشمسية جسيمين ليتمكن العلماء من قياس موقعه والتأكد من تجاوزه لغلاف المجموعة الشمسية.

هناك أيضًا مسبار الفضاء فوياجر2- الذي أرسل بعد فوياجر1- بأسبوعين ليؤدي نفس المهمة لكن من خلال مسارات مختلفة ويتوقع أن تخرج فوياجر2- من النظام الشمسي خلال ثلاث سنوات. المسبارين توجيههما صوب الفضاء العميق باتجاه مركز مجرة درب التبانة.

يعتمد المسبارين فوياجر على بطارية نووية من البلوتونيوم كما اعتمدا على الحصول على دفعات مقلاعية من خلال التي الدوران في مدارات حول الكواكب التي يقومان بزيارتها.

وعندما يسكت المسباران بعد ذلك فسوف يواصلان حركتهما في الفضاء الكوني. وكل منهما يحمل رسالة إلى الخارج عبارة عن قرص من النحاس مطلي بالذهب ومحفور عليه صور للإنسان، وموسيقى وتحيات من الأرض بعدة لغات. والقرص يشبه أسطوانة الموسيقى ويعمل بنفس طريقة الفونوغراف. ولكن هكذا كان ذلك هو الحال. ففي عام 1977 لم يكن أحد يعرف شيئًا عن القرص المضغوط.

ويبعد المسبار فوياجر - 1 عن الشمس حاليًا مسافة تقدر بنحو 11 مليار ميل. أما المسبار فوياجر - 2، الذي انطلق قبل 16 يومًا من شقيقه، فيبعد عن الشمس، من الجهة المعاكسة نحو 9 مليارات ميل.

ويحتوي كل مسبار على ذاكرة كمبيوتر لا تزيد على 68 كيلوبايت، أي أقل من تلك الموجودة في أصغر جهاز آيبود، الذي يحتوي على ذاكرة تصل إلى 8 غيغابايت، ما يعني 100 ألف ضعف الذاكرة الموجودة في المسبار فوياجر.

وكان الهدف الأصلي لمشروع رحلات فوياجر هو استكشاف الكوكبين زحل والمشتري، ونجح فوياجر - 1 في التقاط اندلاعات بركانية على سطح قمر أيو التابع لزحل، واشارات على وجود محيط تحت سطح قمر (يوروبا)، القمر الآخر التابع لزحل، ومؤشرات على وجود أمطار من غاز الميثان على سطح كوكب تيتان التابع للمشتري.

بعد ذلك، انطلق المسبار فوياجر -2 إلى كوكبي أورانوس ونبتون، في حين استغل المسبار فوياجر - 1 جاذبية كوكب زحل للانطلاق نحو حافة النظام الشمسي.

وبهذه النتائج، مازال المسباران يقدمان أكثر مما كان متوقعًا منهما برغم أنهما يعدان بدائيين تقنيًّا، مقارنة مع التقنيات المتاحة بعد 35 عاماً على إطلاقهما.

وحاليًا، لم يعد هناك طاقم خاص لمتابعة المسبارين، ولكن ثمة 20 موظفًا يعملون بدوام جزئي، على تحليل البيانات التي يستقبلها هوائي ضخم تابع لمختبرات الدفع النفاث التابعة لناسا.



البروفيسور ادستون رئيس علماء المشروع يقف أمام فوياجر



قرص من النحاس مطلي بالذهب يحمل تحيات أهل الأرض بعدة لغات

لمشاهدة فيديو فوياجر 1 اضغط هنا

ويستغرق وصول إشارة من فوياجر - 1 إلى الأرض حوالي 17 ساعة، في حين أنه يمكن استقبال الإشارة الصادرة عن فوياجر - 2 حوالي 13 ساعة.

يشار إلى أنه تم إيقاف العمل بالكاميرات التي تم تركيبها على المسبارين منذ سنوات. أما الوقود المستخدم فيهما، فيكفي حتى العام 2020.

وفيما يخص البطارية التي تمد فوياجر - 1 بالكهرباء، فهي تعتمد على الوقود النووي، الذي تقل التفاعلات النووية للنظائر المشعة فيها مع الوقت واستهلاك المزدوجات الحرارية الكهربائية، ما يقلل القدرة الكهربائية للمسبار بنسبة 1.4 في المئة سنويًا.

وتقدر تكلفة المشروع المتمثل في المسبارين، بحوالي 892 مليون دولار، بحسب قيمة الدولار في العام 1977، أي حوالي 3.7 مليار دولار حاليًا.

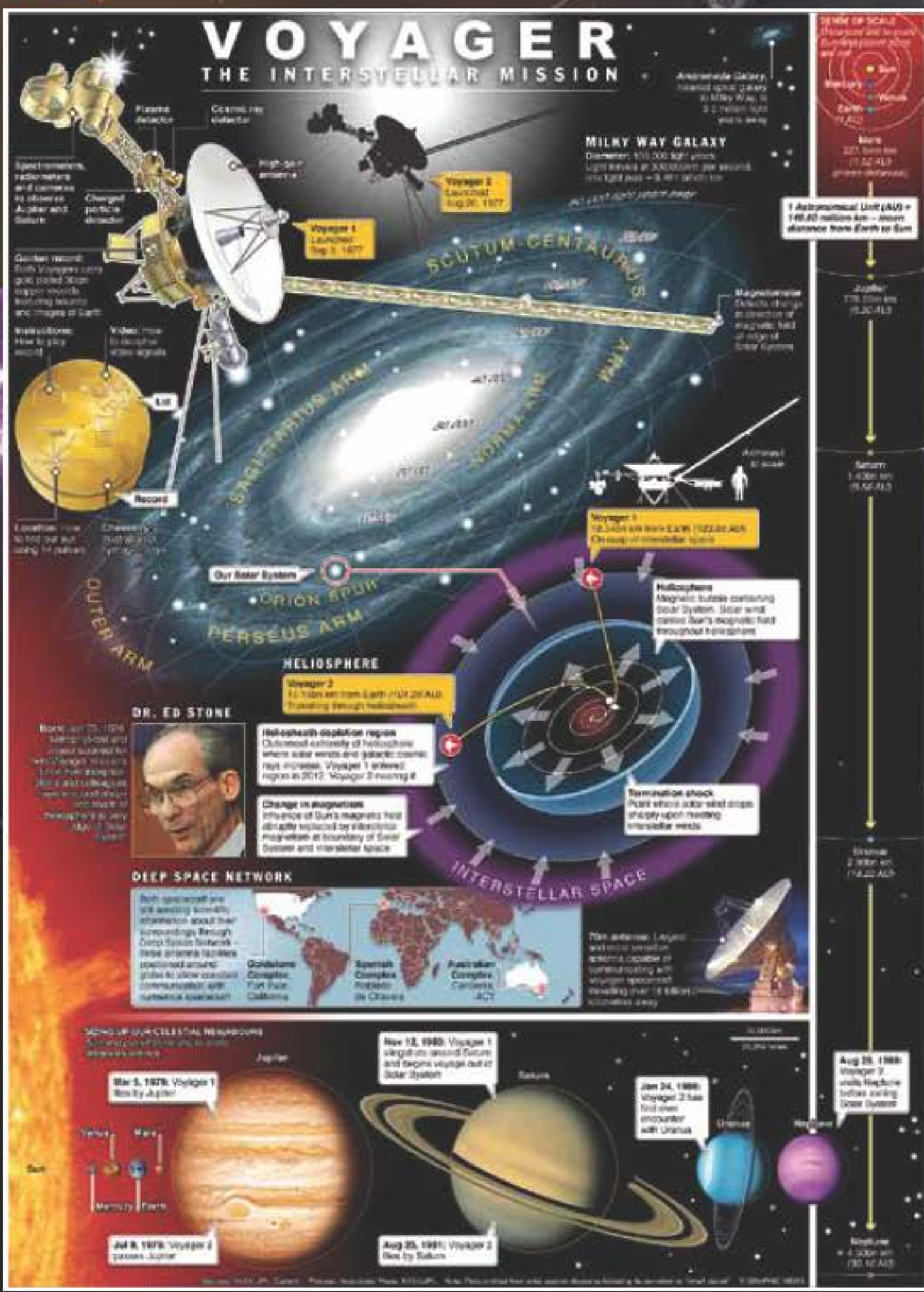
وسيواصل فوياجر استكشاف هذا الجزء المجهول من الفضاء وسيقوم بإرسال صور ورسائل إلى أن تنفد طاقته بعد نحو عشرة أعوام.

وقال البروفيسور ادستون رئيس علماء المشروع إن وضع مركبة فضائية وسط النجوم هي الخطوة الأهم بالنسبة لنا منذ بدأنا المشروع منذ 40 عامًا.

وأضاف في حديث لـ(بي بي سي) «انها ليست مجرد خطوة انها قفزة تاريخية لأنها ليست كأي رحلة فضائية إنما هي أشبه بالدوران حول الكرة الأرضية للمرة الأولى أو أول وطأة لقدم على سطح القمر لأنها المرة الأولى التي نبدأ فيها باستكشاف هذا العالم الغامض الواقع في المجرة بين الكواكب».

في نيسان/أبريل-أيار/مايو وتشرين الأول/اكتوبر-تشرين الثاني/نوفمبر 2013، أشارت البيانات إلى ارتفاع بمقدار مئة ضعف في عدد البروتونات (الجسيمات موجبة الشحنة) في كل متر مكعب في الفضاء وهو ما يشير الى خروج المسبار من المجموعة الشمسية التي تردد العلماء في الجزم به لفترة قبل أن يجزموا بأنه خرج بالفعل.

وكانت نظريات علم الفضاء أشارت إلى أن هذه الزيادة يمكن ملاحظتها في حالة تخطي المركبة الفضائية تأثير الجاذبية الأرضية وتتخلص من تأثير الجسيمات التي تصاحب الرياح التي تهب من محيط الشمس.



أنفوجرافيك يمثل مراحل رحلة فوياجر نحو الفضاء

أنت الغلا جازان

ميسون أبو بكر



أديبة وشاعرة ومذيعة في التليفزيون السعودي

mysoonabubaker@yahoo.com
@Mayabubaker

تعرفت إلى جازان قبل أن أزورها من خلال مبدعيها من كل الأطياف الفكرية والأدبية والعلمية سواء بحضورهم على خارطة المشهد المحلي والعالمي أو من خلال برامجي التي تشرفت فيها باستضافة عدد منهم كانوا إضافة حقيقية للبرنامج ولي شخصيًا.

كذلك كانت جامعة جازان مرآة للمنطقة من خلال فعاليات ثقافية وعلمية شارك بها طلابها ومبتعثوها عالميًا، ولن أغفل أن أذكر هنا الدور الذي أدته الفرقة الفلكلورية التي شاركت في عدد من الفعاليات في مناسبات عديدة من الرقصات الشعبية للمنطقة وقد أتحفت بها الحاضرين وجعلت من المكان الذي حضرت به ذاكرة راسخة لمن مروا به من فنانين قدموا لوحات ورقصات غاية في الإبداع تحكي حكاية المكان الذي أتوا به والإنسان.

تلك هي جازان التي طوقني أهلها الطيبون بالفل والمحبة حين لبيت دعوة جامعتها وناديها الأدبي سواء للمشاركة بالاحتفال باليوم الوطني أو لتلبية أمسية شعرية إعلامية وقد كان حضوري في المكان جسرًا لسعادة لا توصف وأنا أنتقل من رسمة في المخيلة إلى رؤيته واقعًا معاشًا.

جازان التي تتكئ على البحر الأحمر فتنعشك أنفاسه وأنت تسير برفقة الموج على الشاطئ الممتد والمتأهب لرفقة الغريب. جازان التي تتنوع تضاريسها بين بحر وجبل وسهل، وتتنوع ذاكرة الإبداع فيلوح لك مبدعوها سواء من ساكنيها والذين لم يتركوها، أو أولئك الذين ذهبت بهم سبل الحياة للعاصمة أو في الجامعات الممتدة على خارطة هذا الوطن الممتد من شرق القلب إلى غربه ومن شماله إلى جنوبه. جازان الرابضة على خطوط النار يحميها الله ويكللها بالأمن والأمان.

زهرة الجنوب وحدائق الفل وبساتين الشعر هي جازان. المدينة الاقتصادية وحلم المليك الذي تجلى في واقعها عبر منشآتها ومرافقها ومشاريعها التي كتب الله لها النجاح، لأنها لبت إرادة الإنسان فيها الذي يبذل من الجهد ما تكافئه الحياة عليه. والمرأة في جازان جزء من التنمية. المرأة الأكاديمية أو المثقفة أو العاملة او تلك التي تشتغل في أعمال تراثية وحرف كي لا ينسى تاريخ المنطقة العريق الضارب في أعماق الماضي.

لجازان أميرها الذي يتابع كل صغيرة وكبيرة ويعمل من أجل المدينة الاقتصادية وأمل أهلها المثابرين لتقديم منطقتهم بما يليق بها. لجازان رب يحميها في حين تئن جارتها اليمن وتتصارعها الخلافات وردة الجماعات التي اختلفت بعد وفاق كان يمكنه أن يجنب المنطقة الويلات.

ألوح بكف القلب لطالبات كلية الآداب واللغات الإنسانية وكلية الإعلام، للمبدعات اللاتي عزفن بأحرفهن أنشودة الوطن، للدكتورة الشاعرة ليلى الشبيلي، للإعلاميات المجدات ونادي جازان الأدبي الثقافي واللجنة النسائية والإعلاميات اللاتي يخطين خطوات سريعة في الفضاء الإعلامي مشاركات في تطريز المشهد بأحرف زاهية وفكر واع، تحية لفرسان التي وعدت أن أزورها في مغامرة البر والبحر، لفيفاء الشامخة وكل المناطق التي لا يتسع المجال بالإشارة إليها.

من آخر البحر للدكتور مهدي الحكمي:

جازان

كانت على موعد أن اللقاء هنا
فجئتُها تنزع الأميال والمدنا
حتى استقر بك المأوى فهل رمقت
عيناك أجمل منها للورى سكنا
تسبيك منها ربىً خُضرٌ وأفئدة
بيض وزرقة بحر هيّجت سفنا
ما بين شبر وشبر من مساحتها
طبيعة تستفز العين والأذنا
على ثراها مشى العشاق فافتتنوا
وأي عاشق حسن قط ما افتتنا
جازان أي قوافي الشعر يسعفني
إذا تهجيتُ فيها المشهد الحسنا

رحيل شعراء وروائيون ومفكرون 2014

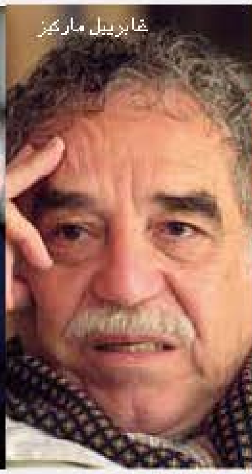
في كلّ عام، تشهد الحياة الثقافية، محليّة كانت أو عالمية، أحداثًا متنوعة بين مهرجانات ثقافية ومعارض وإصدارات جديدة وجوائز ورحيل مبدعين وتكريم فائزين...

نحاول هنا رصد الأحداث الثقافية في عام 2014.


د. عبد العزيز الخويطر


محمود شاكر


محمد ناجي


غابرييل ماركيز


زيغفريد لينتس



26 كانون الثاني/يناير 2014 وفاة الشاعر والكاتب والمترجم المكسيكي خوسي إيميليو باتشيكو، ولد في 30 حزيران/يونيو1939، من كبار شعراء المكسيك في النصف الثاني من القرن العشرين، حصل على جوائز أدبية محلية ودولية عديدة، ودرّس في جامعات المكسيك والولايات المتحدة الأمريكية وكندا والمملكة المتحدة.

9 شباط/فبراير 2014 وفاة الشاعر اللبناني جوزيف حرب، وهو من أبرز الشعراء اللبنانيين الذين تجاوزت قصائدهم حدود الوطن، ولد في قرية المعمارية من قضاء الزهراني في الجنوب اللبناني عام 1944، تعلم في المدرسة الأنطونية، درس الأدب العربي والحقوق في الجامعة اللبنانية، مارس التعليم، وعمل في الإذاعة اللبنانية.

18 شباط/فبراير 2014 وفاة الشاعر اللبناني أنسي لويس الحاج عن 77 عامًا بعد صراع مرير مع مرض السرطان، ولد في 1937 ، له ستّ مجموعات شعرية (لن) 1960 ، (الرأس المقطوع) 1963 ، (ماضي الأيام الآتية) 1965 ، (ماذا صنعت بالذهب ماذا فعلت بالوردة) 1970 ، (الرسولة بشعرها الطويل حتى الينابيع) 1975 ، (الوليمة) 1994 وله كتاب مقالات في ثلاثة أجزاء هو (كلمات كلمات كلمات) 1978 ، وكتاب في التأمل الفلسفي والوجداني هو (خواتم) في جزأين 1991 و 1997 ، ومجموعة مؤلفات لم تُنشر بعد، و(خواتم) الجزء الثالث قيد الإعداد.

2 آذار/مارس 2014 وفاة إبراهيم محمد صالح المعروف بأبو عرب، ولد في 1931 ، وهو شاعر ومنشد الثورة الفلسطينية الكبرى.

11 آذار/مارس 2014 وفاة رسام الكاريكتير العراقي أحمد الربيعي، ولد في 1968، له العديد من النتاجات الفنية والمواضيع التي دأب على نشرها في عدة صحف عراقية منذ أن بدأ بالإنتاج الفني عام 1987.

10 أبريل/نيسان، توفيت الروائية البريطانية سو تاونسند صاحبة سلسلة القصص الشهيرة (أدريان مول)، عن 68 عامًا، بعد صراع قصير مع المرض.

11 نيسان/أبريل 2014 توفي الكاتب والصحافي البريطاني باتريك سيل من هذا العام بعد صراع مع المرض، اهتم سيل بقضايا الشرق الأوسط وخلّف وراءه الكثير من المؤلفات والمقالات البارزة في هذا المجال.

17 نيسان/ أبريل من العام 2014 توفي غابرييل غارسيا ماركيز عن عمر ناهز 87 عامًا، والمعروف أنّ الراحل روائي وصحافي وناشر وناشط سياسي كولومبي، حصل على نوبل عام 1987 ، ويُعدّ واحدا من أشهر كتاب الواقعية السحرية في العالم.

29 أبريل/نيسان 2014، رحل الكاتب اليساري المصري البارز سعد زهران، مترجم رواية (عناقيد الغضب) الفائزة بجائزة بوليتزر عام 1940، لد زهران عام 1926، وخلف سعد زهران مؤلفات منها (في أصول السياسة المصرية)، وترجمات منها كتاب (بناء حضارة جديدة) للأمريكي ألفن توفلر، و(الإنسان بين المظهر والجوهر) للفيلسوف الألماني إريك فروم.

12 سبتمبر/ أيلول 2014، وفاة الكاتب الصحفي المصري الساخر أحمد رجب، عن عمر ناهز 86 عامًا، بعد معاناة طويلة مع المرض، ولد أحمد رجب معوض متولي في 20 نوفمبر/تشرين الثاني 1928، كان أحمد رجب يكتب زاوية يومية قصيرة في جريدتي (الأخبار) اليومية، و(أخبار اليوم) الأسبوعية، لمدة نصف قرن بعنوان (1/2 كلمة)، مشبعة بروح السخرية المؤلمة.

25 أيار/مايو 2014 وفاة الدكتور عبد العزيز بن عبد الله بن علي الخويطر، ولد في 1918، يعد الخويطر أول سعودي يحصل على شهادة الدكتوراه من بريطانيا وكان ذلك عام 1938، ومن نتاجه الأدبي خمس مجلدات بعنوان (أي بني) وهي بمثابة الموسوعة التراثية الكاملة، ومن مؤلفاته كتاب (وسم على أديم الزمن) وهو عبارة عن سيرة ذاتية، وأصدر مؤخرًا كتابًا تحت عنوان (النساء رياحين) تحدث فيه عن تأثير المرأة ودورها الحقيقي والمأمول.

28 أيار/مايو 2014 وفاة الشاعرة الأمريكية مارجريت آن جونسون وشهرتها مايا أنجيلو، ولدت في 4 نيسان/أبريل 1928، وهي شاعرة وكاتبة أمريكية أصدرت سبع سير ذاتية وخمسة كتب في فن المقال والعديد من المجموعات الشعرية، تنسب إليها قائمة من المسرحيات والأفلام والبرامج التليفزيونية التي امتدت نحو أكثر من خمسين عام، وحصلت أنجيلو على عشرات الجوائز ذلك بالإضافة إلى حصولها على أكثر من ثلاثين شهادة دكتوراه فخرية، تشتهر بسلسلة التراجم الذاتية التي تنصب على مرحلة طفولتها وتجاربها الأول في مرحلة المراهقة، وتناولت سيرتها الذاتية الأولى (أعرف لماذا يغرد الطائر الحبيس) حياتها منذ لحظة الميلاد وحتى سن السابعة عشر، ومن الجدير بالذكر أن هذه السيرة منحتها اعترافًا وإطراءً عالميًا وشهرة واسعة.

15 حزيران/يونيو 2014 الكاتبة المصرية فتحية العسال عن عمر ناهز 79 عامًا، ولدت في 20 شباط/فبراير 1933، وهي عضو مجلس إدارة اتحاد الكتاب ورئيس جمعية الكاتبات المصريات وأمين عام اتحاد النساء التقدمي، بدأت الكتابة الأدبية في عام 1957 واهتمت بالقضايا الاجتماعية وقضايا المرأة بشكل خاص.

30 حزيران/يونيو 2014 وفاة الشاعر والصحافي والناقد المصري حسن توفيق ولد في 31 آب/أغسطس 1943 في القاهرة، أصدر ديوانه الأول بالاشتراك مع الشاعر الفلسطيني الشهير حاليًا (عزالدين المناصرة) والشاعر المصري (محمد مهران السيد) وهو بعنوان: (الدم في الحدائق) في شهر كانون الأول/ديسمبر عام 1968 عن دار الكاتب العربي بالقاهرة، وأثار الديوان ضجة نقدية كبرى بعد أن هاجمه (الصحافي الورداني) و(الشاعر صالح جودت) الذي وصف الشعر الحر التفعيلي بأنه (شعر غضروفي).

16 آب/أغسطس 2014 وفاة مصطفى حسين رسام الكاريكاتير المصري، ولد في 7 آذار/مارس 1935، وهو فنان ورسام كاريكاتير اجتماعي سياسي يومي في جريدة الأخبار المصرية وهو صاحب أشهر الشخصيات الكاريكاتيرية التي تحولت إلى مسلسلات تليفزيونية كوميدية منها مسلسل فطوطة وناس وناس.


...وسي باتشيكو


مصطفى حسين


سميح القاسم


بي دي جيمس


مايا أنجيلو


فتحية العسال


جورج جرداق


عبد الوهاب المؤدب

19 آب/أغسطس 2014 وفاة الشاعر الفلسطيني سميح القاسم عن 75 عامًا. ولد لعائلة درزية في 11 أيار/مايو 1939. أحد أهم وأشهر الشعراء العرب والفلسطينيين المعاصرين الذين ارتبط اسمهم بشعر الثورة والمقاومة من داخل أراضي العام 48، مؤسس صحيفة كل العرب ورئيس تحريرها الفخري، عضو سابق في الحزب الشيوعي.

6 تشرين الثاني/نوفمبر 2014 وفاة الشاعر اللبناني جورج جرداق بعدما دخل في غيبوبة لمدة شهر واحد عن عمر يناهز 83 عامًا. والمعروف أن جرداق هو صاحب قصيدة (هذه ليلتي) التي غنتها أم كلثوم عام 1968، ومن أهم مؤلفاته: (علي صوت العدالة الإنسانية) ستة مجلدات، (صلاح الدين وريكاردوس قلب الأسد) رواية تاريخية، (نغم ساحر) شعر.

7 تشرين الأول/أكتوبر 2014 وفاة الكاتب الألماني زيغفريد لينتس عن 88 عامًا، ولد عام 1926 في ليك ببولندا. وهو يعد واحدًا من أهم كتّاب ألمانيا المعاصرين، وأبرز المؤرخين لحقبة ما بعد الحرب العالمية الثانية.

- في 7 تشرين الأول/أكتوبر 2014 وفاة الشاعر مارك ستراند، أحد أبرز الشعراء الأمريكيين المعاصرين، عن 80 عاماً. كان الشاعر قد حصل على أرقى الجوائز الأميركية والعالمية مثل: جائزة «بوليتزر» (1999).

28 تشرين الأول/أكتوبر 2014 وفاة الشاعر اللبناني سعيد عقل. ولد في 4 تموز/يوليو 2014. يعد من أبرز الشعراء اللبنانيين المعاصرين. عمل في التعليم والصحافة.

6 تشرين الثاني/نوفمبر 2014 وفاة المفكر التونسي الفرنكوفوني عبد الوهاب المؤدب عن 68 عامًا بعد صراع مرير مع المرض. وكان الراحل من المفكرين التنويريين الذين اهتموا بقضية العلاقة بين الشرق والغرب، ودافع عن إسلام الانفتاح والاعتدال والتسامح في وجه الأفكار الظلامية المتشددة.

19 تشرين الثاني/نوفمبر 2014 وفاة الروائي المصري محمد ناجي عن 68 عامًا في مستشفى بالعاصمة الفرنسية باريس حيث كان يتعافى من آثار جراحة زرع الكبد. ولد عام 1946. كتب الشعر ثم تفرغ لكتابة الرواية منذ بداية التسعينيات وكانت باكورة رواياته (خافية قمر) التي اختارها كثير من النقاد والأدباء المصريين كأفضل رواية تصدر في عام 1994.

23 تشرين الثاني/نوفمبر 2014 وفاة المؤرخ السوري محمود شاكر في منزله بالعاصمة السعودية الرياض.

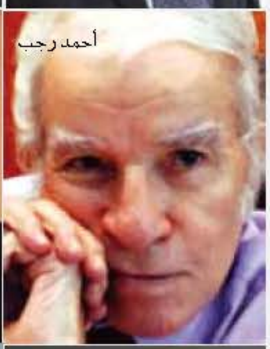
وعمل الشيخ محمود شاكر أستاذًا للجغرافيا والتاريخ الإسلامي في كلية العلوم الاجتماعية بالرياض والقصيم، وكان قد أعدّ برنامجًا إذاعيًا في إذاعة القرآن أطلق عليه "جغرافية العالم الإسلامي"، وله أكثر من مائتي مصنّف في التاريخ والفكر الإسلامي والجغرافيا، وكما شارك في وضع مناهج وخطط دراسية في علمي التاريخ والجغرافيا. ولد أبو أسامة محمود بن شاكر في حرستا شمال شرقي دمشق في شهر رمضان عام 1351هـ 1932م.

27 تشرين الثاني/نوفمبر 2014 وفاة الروائية الإنجليزية بي دي جيمس أو فيليبس دورثي جيمس. ولدت في 3 آب/أغسطس 1920. هي روائية إنجليزية، اشتهرت بسلسلة روايات بوليسية بطولة الشرطي والشاعر آدم دالغليش. المؤلفة المشهورة لها تاريخ حافل من روايات الجريمة والقصص المثيرة والخيال العلمي التي اشتهرت بكتابتها، وحصلت على اعتراف دولي في العام 1980، كما نالت العديد من الجوائز ووسام شرف الآداب في العام 2005. الروائية ألفت 20 كتابًا، أشهر رواياتها (غرفة القتل)، و(الكبرياء)، و(الأطفال من الرجال)، وقد باعت ملايين الكتب في جميع أنحاء العالم.

30 تشرين الثاني/نوفمبر 2014 وفاة الكاتبة والباحثة والأستاذة الجامعية المصرية رضوى عاشور بعد صراع مع المرض، عن عمر يناهز 68 عامًا. تميز مشروعها الأدبي، في شقه الإبداعي، بتيمات التحرر الوطني والإنساني، إضافة للرواية التاريخية. تراوحت أعمالها النقدية، المنشورة بالعربية والإنجليزية، بين الإنتاج النظري والأعمال المرتبطة بتجارب أدبية معينة. تمت ترجمة بعض أعمالها الإبداعية إلى الإنجليزية والإسبانية والإيطالية والإندونيسية.

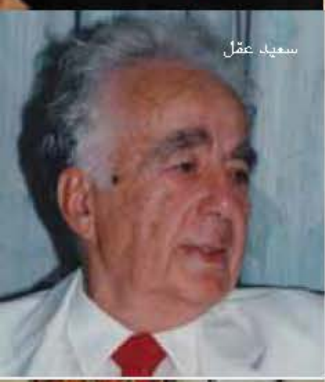

سعد زهران

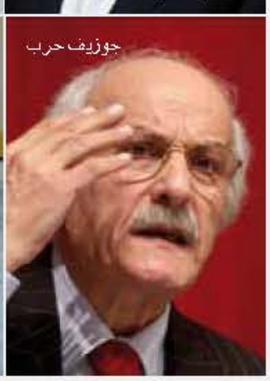

أبو عرب


أحمد رجب


رضوى عاشور

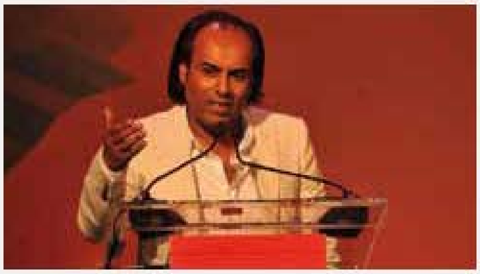

أنسي الحاج


سعيد عقل

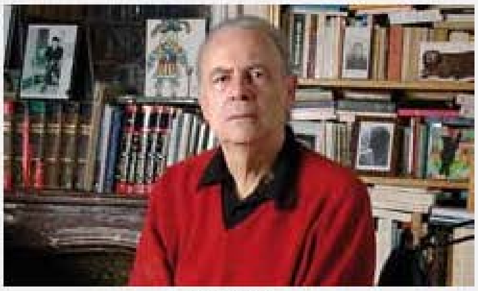

جوزيف حرب


أحمد الربيعي

جوائز وتكريم 2014



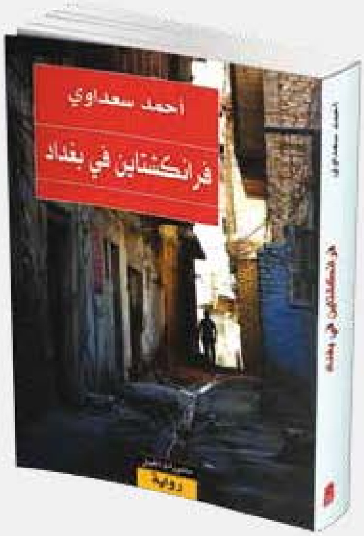
أحمد سعداوي



باتريك موديانو

- بعد ست سنوات على فوز الفرنسي جان ماري غوستاف لوكليزيو، ذهبت جائزة نوبل هذا العام لمواطنه باتريك موديانو (1945) لتكون فرنسا هي الدولة الأكثر فوزًا بجائزة نوبل للآداب.

- فاز العراقي أحمد سعداوي هذا العام بالجائزة العالمية للرواية العربية (بوكر) عن روايته (فرانكشتاين في بغداد) عن دار الجمل.



كتارا
katara
valley of cultures

- إطلاق جائزة كتارا للرواية العربية، هي جائزة عربية سنوية جديدة، أطلقتها المؤسسة العامة للحي الثقافي – كتارا مطلع العام 2014، وهي تقوم بإدارتها وتوفير الدعم والمساندة والإشراف عليها بصورة كاملة من خلال لجنة معينة تُدير الجائزة التي تهدف إلى ترسيخ حضور الروايات العربية المتميزة عربيًا وعالميًا.

مؤسسة الفكر العربي
Arab Thought Foundation

- أعلنت مؤسسة الفكر العربي في تشرين الثاني/نوفمبر 2014 من مقرّها في بيروت أسماء الفائزين بجوائزها المتنوعة، وقد نال الباحث المصري خالد عزب جائزة (أهمّ كتاب عربي) عن كتابه (فقه العمران)، وفاز بجائزة الإبداع العلمي الباحثان ألفرد نعمان وعصام خليل (لبنان) عن مشروع (تطوير دواء MM-MTA للعلاجات الطبيّة)؛ وفاز بجائزة الإبداع التقني مشهور بني عامر (الأردن) عن (النظام العلاجي الذكي)، أما جائزة الإبداع الاقتصادي فحصل عليها سالم النجفي (العراق) عن كتاب (سياسات الأمن الغذائي العربي في حالة الركود في اقتصاد عالمي متغيّر)؛ ونال اليمني عبدالرحمن السقاف جائزة الإبداع المجتمعي عن برنامج (حضرموت للتمويل الصغير)؛ فيما فاز بجائزة الإبداع الإعلامي السوري عبدالسلام هيكل عن موقع (اقتصادي دوت كوم)، ونال جائزة الإبداع الأدبي نجم عبدالله كاظم (العراق) عن كتاب (نحن والآخر في الرواية العربيّة المُعاصرة)، بينما فازت المطربة اللبنانية ريما خشيش بجائزة الإبداع الفني عن عملها الفنّي (هوى).



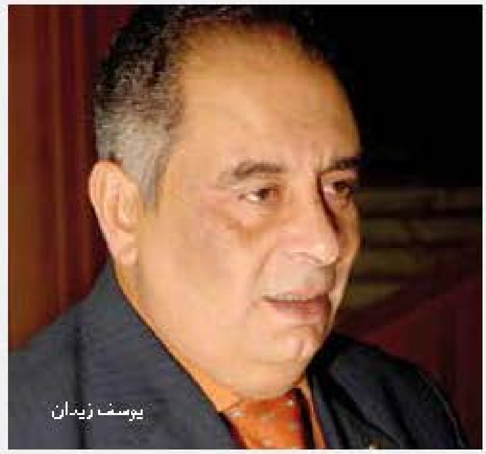


كامل داود

- حققت رواية الجزائري كامل داود (ميرسو، تحقيق مضاد) عن (دار أكت سود) نجاحًا باهرًا في الأوساط الثقافية الفرنسية والفرنكوفونية، خصوصًا أنها تستعيد حقبة الاستعمار الفرنسي للجزائر من خلال أجواء رواية (الغريب) لألبير كامو، وقد فازت الرواية بجائزة القارات الخمس، وهي من أرقى الجوائز التي تمنح للأدب الفرونكوفوني في العالم، وكانت من ضمن الأعمال المرشحة بقوة لجائزة (غونكور) 2014، غير أنّ الكاتبة ليدي سالفير خطفت منه الجائزة الفرنسية الأشهر بفارق صوت واحد.

اعتزال 2014

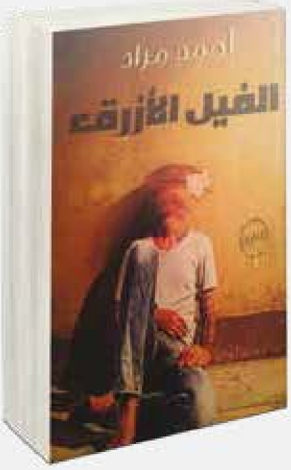
- أعلن الكاتب المصري يوسف زيدان اعتزاله العمل الثقافي، على خلفية تعيين إسماعيل سراج الدين، مستشارًا ثقافيًا للحكومة. لكنّ هذا لم يمنعه من إصدار رواية جديدة بعنوان (نور) لتُتمّم ثلاثيته الروائية (محال)، و(غونتنامو).


يوسف زيدان

من الرواية إلى السينما 2014

- بعد نجاح رواية (الفيل الأزرق) عن (دار الشروق) للكاتب المصري الشاب أحمد مراد ووصولها إلى اللائحة القصيرة لجائزة بوكر العربية، عُرض منتصف هذا العام فيلم مقتبس عن الرواية بالعنوان نفسه من بطولة كريم عبد العزيز ونيللي كريم وخالد الصاوي، إخراج وحيد حامد، وكانت رواية مراد الأولى (فرتيغو) قد تحوّلت قبل ثلاث سنوات تقريبًا إلى مسلسل عُرض في شهر رمضان بالعنوان نفسه أيضًا من بطولة الفنانة هند صبري.


أحمد مراد



- أصدر الكاتب الجزائري المعروف واسيني الأعرج روايته السيرذاتية: (سيرة المنتهى: عشتها كما اشتهتني) عن مجلّة (دبي الثقافية)، لكنّ طبعات الكتاب نفدت خلال أيام، وقد صدرت أخيرًا طبعة جديدة من الرواية عن دار الآداب، وقعها في معرض بيروت للكتاب على مدار ثلاثة أيام في جناح دار الآداب، ويعد واسيني الأعرج (1954) من أهم الكتاب الجزائريين المعاصرين. قدّم أعمالاً روائية ودراسات أدبية ونقدية مثل: (ما تبقى من سيرة لخضر حمروش)، (أصابع لوليتا)، (البيت الأندلسي)، وحصل على جوائز عربية عدة.

- بعد انقطاع سنوات طويلة عن الشعر، أصدرت الكاتبة الجزائرية أحلام مستغانمي ديوانها الجديد (عليك اللهفة) عن دار نوفل، ليأتي بعد مجموعة من الروايات كان آخرها (الأسود يليق بك)، وعن هذا الديوان الذي تمّ توقيعه في أكثر من معرض بحضور حشود من محبّي الروائية والشاعرة الجزائرية المعروفة، توجهت صاحبة (ذاكرة الجسد) إلى القرّاء قائلة: «على مدى عمر خنت الشعر... كنت دائمة الانشغال عنه بكتابة ما يفوقه شاعرية... حرصت أن تكون الحياة هي قصيدتي الأجمل.. لا تبحثوا في هذه النصوص عن أشعاري... ما هذه المجموعة سوى مراكب ورقية لامرأة محمولة على أمواج اللهفة». وتردّدت أخبار عن تعاون جمع بين الكاتبة والفنان مروان خوري الذي عمل على تلحين قصائد الديوان بغية إصدارها في (قرص مدمج - سي دي) يحمل عنوان الكتاب نفسه.

- في ظل الثورة الرقمية التي يعيشها العالم ونعيشها نحن وكيف أحدثت انقلابًا خطيرًا بحياة الناس، صدر في هذا العام 2014 عن شركة العبيكان للنشر كتاب بعنوان: (رقميون غيروا حياتنا) للكاتب ناصر بن محمد الزمل، ويحوي الكتاب 56 شخصية قامت بتغيير حياة البشرية.

- بالتزامن مع إعلان فوزه بجائزة نوبل للآداب لعام 2014، صدرت روايتان للكاتب الفرنسي باتريك موديانو باللغة العربية عن منشورات ضفاف، هما: (الأفق) و(عشب الليالي).

- أصدر الكاتب والناقد إبراهيم العريس موسوعته الشاملة (تراث الإنسان) عن مركز الشيخ إبراهيم ابن محمد آل خليفة- البحرين، وهي مؤلفة من 12 مجلدًا تحوي دراسات ومقالات وتحليلات لأهم الأعمال والنتاجات الثقافية والفكرية الموزعة على في مجالات كثيرة مثل الفلسفة والسينما والمسرح والشعر والرواية والموسيقى والفكر السياسي والتراث العربي/ الإسلامي والأوبرا والهندسة وعلم العمارة..

- (لبنان هاتر الرؤساء) هو عنوان الكتاب الصادر هذا العام عن دار رياض الريّس للنشر للكاتب غسان شربل رئيس تحرير صحيفة (الحياة)، وهو يضم حوارات مع سياسيين ورؤساء تطرقوا إلى الأزمات التي واجهها لبنان في الفترات التي كانوا خلالها في سدّة الحكم، ومن بين هؤلاء: وزير الخارجية الأسبق فؤاد بطرس، ريمون إده، رئيس وزراء لبنان الأسبق صائب سلام، ورئيس وزراء لبنان إبان الاجتياح الاسرائيلي لبيروت عام 1982 شفيق الوزان، ورئيس مجلس النواب الأسبق كامل الأسعد ونظيره حسين الحسيني...

- في 2014 صدر عن شركة العبيكان للنشر كتاب بعنوان: (أطالس الأماكن في القرآن الكريم) لخبير الأطالس سامي المغلوث، الكتاب جاء بأسلوب فني معاصر، يعتمد على الخريطة المُعبّرة، والصورة ذات العلاقة بالمكان، والنص الموثق، وكان قد تطرق الكاتب في أحد فصول كتابه (أطلس تاريخ الأنبياء والرسل) للأماكن والمواقع التي ذُكرت في القرآن الكريم.

- وفي 2014 صدر عن شركة العبيكان للنشر كتاب للكاتب محمد بن عبد الله الفريح بعنوان: (القوة الهادئة).

- في ظلّ الأزمات العصيبة التي تمرّ بها الدول العربية، ومنها اليمن، تأتي رواية علي المقري (بخور عدني) الصادرة عن دار الساقي لتكشف لنا وجه اليمن الكوزموبوليتي إبّان الحرب العالمية الثانية، وهي خاضعة للاحتلال البريطاني، عبر شخصيات تنتمي إلى بيئات اجتماعية وثقافية وعرقية مختلفة، فمنها الرجل الفرنسي (غريب مسيحي) الهارب من حرب بلاده إلى عدن، مدينة السحر والغموض والجمال، والفتاة اليهودية صاحبة الصوت الجميل، والعدني المسلم المتفتح على بقيّة الثقافات... عبر ثيمتي الحرب والحبّ، يرسم علي المقري فضاء بلد حضاري سرعان ما فقد كوزموبوليتيته بعيد الاستقلال وغرق في صراع الهويات والأعراق.

- رواية (ابنة سوسلوف) عن (دار الساقي) للكاتب اليمني حبيب عبد الربّ سروري من الروايات التي تنطلق

الإصدارات 2014